

خالد سعود الزليد



سألت الشبلي في لحظة إغفاءة: هل شهدت صلب الحلاج؟ قال: بلى
شهدت مولده، وشهدته وهو يتخلق في رحم الحقيقة ليكون للخلقة مثلاً.
قال الحلاج: حسب الواحد أفراد الواحد له.
وقال الحلاج: ركعتان في العشق لا يصح وضوءهما إلا بالدم.

ووجهت وجهي محرابها
وكعبة من لم يجد بابها
وأرجف بالبيت من رابها

هجرت الطلوة وأصحابها
وأوقفت قلبي لها قبلة
فإن يزّن بالحرف مُستكثب

هجرت منزلي ولن أعود ما بدا صمّ
كم رحلة لرحلة
وقفة إلى قم

خَلَّفُهَا

دَنُوتُ مِنْكَ قَابَ قَوْسَيْنِ وَلَمْ

أَعُدُّ أَرَى

لَا اللَّاتَ لَا الْعَزَى وَلَا مَا يُقْتَرَى

فَلَنَسْقُطَ الْقَمَمُ

هَجَرْتُ مَنْزِلِي وَلَنْ أَعُودَ مَا بَدَأَ صَنَمُ

وَرَبِّ مُغْتَبِطٍ فِي جَنَّةِ الْجَسَدِ

فَلْيُضَعِّقِ الطَّوْدُ وَلْيُنَقِّ اهْوَى مَدَدِي

بَيْتِي وَلَا صَانَ قَدَسَ اللَّهِ مِنْ أَحَدٍ

عِجَالًا فَكَسَّرْتُ الْوَاحِي وَلَمْ أَعُدْ

أَفْنَيْتَنِي بَكَ حَتَّى لَمْ أَعُدْ جَسَدًا

وَحَسْبُ مِثْلِي إِفْرَادًا لِسَيِّدِهِ

خَلَفْتُ هَارُونَ فِي قَوْمِي فَمَا حَفَظُوا

وَاسْتَزَعَفُوهُ وَشَادُوا مِنْ خَلِيَّتِهِمْ

هَذَا دَمِي يَجْرِي عَلَى الْأَرْضِ اشْرَبُوا

يَا أَيُّهَا الْأَحْبَابُ مِنْ دَمِي اشْرَبُوا

هَدِيَّةُ الدِّمَاءِ لَا تُكْذِّبُ

فَكَمْ تَعَذَّبَ الَّذِينَ لَمْ يُجَرِّبُوا

يَا لَيْتَهُمْ، لَكُنْهُمْ مَا حَرَّبُوا الدِّمَاءَ

وَلَمْ يَرْوِكْ مَقْلَةً وَلَا فُلًا

وَلَوْ تَذَوَّقُوا

لَا سْتَعَذَّبُوا الْعَذَابَ ثُمَّ لَمْ يَعَذِّبُوا



تعويذة في زمن الاخضرار

شعر
د. خليفة الوقيان



http://Archivebeta.Sakhr.it.com

تَفَجَّرُ
أيها الغضبُ المَهْجَرُ
أيها الألقُ المَغَيَّبُ
في المدى المَخْنُوقِ
في الأفقِ المَعْقَرِ.



تَفَجَّرُ
إن دودَ الأرضِ يزحفُ
والدَّبا المسعورُ يحصد حقلَكَ الأخضرُ.

جداولك التي تنساب
موسيقى وأغنيّة
تهدم جرفها
أغفت
على أشلاء أمنيّة
نأى عن ليلها الميزهر.
ووجه الشمس يُغتم
تنسج الغربان في قسماته
رؤيا ظلاميّة
يُعشش للعناكب
في أخاديد السنن المقتول
ليل شائئة أغبر.
نأت عن دوحك المُخضَل
بالجوري والفُلّ
هائم تستحم
برشّة الطلّ
بلابل بالشذا تسكّر
وفي الأعشاش زُعْب
ترقب العقبان
تخشى المخلّب الجنون
يعجن لحمها بالريش
يسفك دمعها الأحمر.



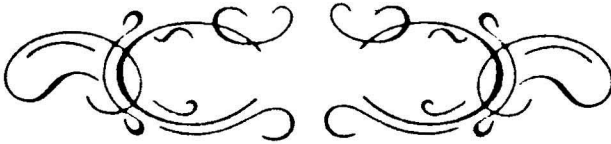
تَفَجَّرَ
قد دُجِجَتِ الآنَ
مَرَاتٍ وَمَرَاتٍ ،
تُرَاوِدُكَ الذَّنَابُ السَّوْدُ
تَسْرِقُ مِنْكَ نَبْضَ الرَّوْحِ
تَنَاسُوشُ لِحَمَاكَ الْمَهْدُورَ
أَشْتَاتُ السَّبَاعِ .. النَّمْلِ
تَشْرَبُ نَزْفَكَ الْمُسْفُوخَ
وَلِلْجَزَارِ شَوْقٌ عَارِضٌ لِلنَّحْرِ
لِلسَّكِينِ نَضْلٌ جَائِعٌ يَزَارُ.



تَفَجَّرَ
إن أفعى الدار تخرج
من شقوق ... صخور جدرانك
ثَقُوبٍ عَرِيْشِكَ الْقَشِّ
نَسِيجَ لِحَافِكَ الْهَشِّ
تَلُوبُ تَسْنُ حَدَّ النَّابِ
تَنْفُثُ سَمَّهَا الْأَصْفَرُ
تَمِجُ النَّارَ فِي أَزْهَارِ بَسْتَانِكَ
تُصَوِّحُ غَرْسَكَ الْاِخْضَرُ.



تَفَجَّرُ
إِنْ لَيْلًا قَاتِلًا
يَطْوِي الْمَدَى
يَحْتَرُّ أَعْنَاقَ النُّجُومِ .. الْبَدْرُ
يَسْقِي شَفْرَةَ الْخِنْجَرِ
يَجِيءُ يُطِلُّ
مَحْمُولًا عَلَى اسْمِ اللَّهِ
- جَلَّ اللَّهُ -
يَرْقَى سِدَّةَ الْمُنْبِرِ.



وتنبت الحياة

سنان بل

الى د. عبد الله العتيبي ..
والزمان العربي !

محمد مسعود العجمي

وحده، متربعا على عرش مملكة (عبقكاس) ، يدير شؤنه ويفكر في نفسه
و... و... و... وشؤون رعيته

وجه زوجته المرعوب، واندفاعها نحوه، يرغمانه على النهوض واحتضانها
تصرخ باكية :

— لقد أرعبني سهيل الجياد وأقض مضجعي .

تبتلعها نوبة بكاء، يحتضنها، يهدئ من روعها، ويقسم

ويرتفع صوت النادي :

— يا أهل مملكة عبقكاس .. يا أهل مملكة عبقكاس .. بأمر مولانا ، تجمع
كافة الجياد في مملكتنا قراها وضواحيها .
يا أهل مملكة عبقكاس .. كل من يخالف أوامر مولانا يفصل عن جسده
الرأس .

يا أهل عبقكاس .. يا أهل عبقكاس ..
يتعد الصوت ، دائراً في كل مكان وزقاق .

* * *

حشرت كافة الجياد في مملكة عبقكاس في الاسطبلات والزرائب التي
أقيمت لهذا الغرض .. ولم يبق خارجها أي جواد ...
وبدأ الناس الانتظار وكثر السؤال .

ARCHIVE

وارتفع صوت النادي

يا أهل عبقكاس بأمر مولانا ، أمد الله في عمره وأبقاه .. ورحمة بكم ورأفة
بجالكم ، على صاحب كل جواد أن يعلمه عدم الصهيل ، يعلمه الصمت
خلال اسبوع ومن لم يستطع يتعهد لنا بالرجوع ..
يا أهل عبقكاس بأمر ...

وتزاحم الرجال على الاسطبلات .. وأخرجوا الجياد فرحين ، استماتوا في
تلقينها الصمت وعدم الصهيل ..

وقبلت بعض الجياد الصمت ولم تصهل
ورفضت الجياد الأصيلية أن تصمت ورغم المحاولات ظلت تصهل ..
وتصهل .. وتصهل ..

وبعضهم رفض أن يعلم جواده الصمت ، قتله بيده وغسل جسده بالدموع .
وبعد أسبوع أعيدت الجياد الأصيلية ، مرة أخرى الى الاسطبلات وعاد

الحديث على كل لسان وكثر السؤال .

— ستقتل !

— بل ستنزح حناجرها .

— عقار جديد يرخى الحبال الصوتية فيخرج الصهيل فحيحاً

— بل سيمنع عنها الطعام وتموت .

* * *

وحذك تنظر الى القاع ، تفتسك آلام الخوف ، والرعب الآتي والرعد الذي
يجلجل بعيداً بعيداً ، يرحل دونما بارقة أمل في الاقتراب .
ويرعبك أيضاً الجذب المتنامي عبر أطراف الصحراء والواعد أيضاً
بالتناسل .

ما زلت وحيداً ، يسحقك اليأس والأمل القصيم ، توغل في ذاتك ويلفك
الظلام ومع ذلك تستطيع الرؤية .

ويأتيك — عبر الصمت الممتد — أصوات وهميات وصهيل جياد ..

تنهض وبسرعة تنبطح أرضاً (في الظلام لا تقف عندما تسمع حركات
مرعبة ، اتخذ طولك أرضاً . قالها أبوك في مرة سابقة) ، عيناك رغم صغرهما
أفق ، أنفاسك صمت ، ودهر لحظتك .

يرتفع صهيل حزين لجياد قادمة ، أصوات خشنة لرجال غلاظ ، قساة ، عيناك
تعودان على الظلام ولم تعد الرؤية مستحيلة .

تقترب الجياد من مرمى بصرك ، خلفها الرجال ، لم تكن مسرجة ، عفرت
أنوفها في اللجام ، يرفع أحدهم يده ، توقف الجياد ويتوقف الرجال ..

تتمتع وتعرف الجياد .. الجياد الأصلية التي حشرت قبل أيام ..

يرتفع صوت الرجل بقسوة :

— هنا

يصمت الرجال ، تصهل الجياد ويخرسها اللجام المشدود ، يرتفع صوته مرة
أخرى :

— ليستعد الرجال

أصوات بنادق تلتقم أصوات الذخيرة .

تهز رأسك (فهمت) وتطفح ذاكرتك بما اخترنته قبل أيام ..

— لقد رفضت الجياد أن تمنع من الصهيل

متحمساً أجبت قبل غيرك

— أصيلة .

يقاطعك صوت أجش :

— لم يعد للجياد الأصيلة حق الرفض في زمن الإغتراب ..

يتحلق حولك قلة من الرجال يشاركونك الضعف وامتهان رفض الواقع

وضيق اليد وأيضاً في صدورهم العريضة التي تتسع لكل هواء العالم النقي .

تمتد أيديكم متكاثفة وتقسمون على مواصلة رفض الواقع .

ينبهك صوت قريب ، مخاطباً الرجل الأول .

— كافة الرجال على أتم الاستعداد لتنفيذ المهمة

تنظر حولك ، بسرعة عجيبة ، صفت الجياد على حافة المنحدر ، معصوبة

العينين ، مقيدة ، وجهها نحوك ووجهك الى السماء ، في حلقك غصة وفي

عينيك إبهال .

ويرتفع الصوت الأجش مرة أخرى .. سؤالاً !

— جاهز؟

إجابة موحدة ..

في نفس اللحظة يرفع الرجل كفه إلى أعلى ، تخرج من مخبئك ، ينهر

الرصاص تركض صائحاً ، تندرج الجياد الأصيلة الى قعر المنحدر وتخفي ..

ما زالت تصرخ ، تركض نحو المنحدر ، يصدونك .. تصرح بهستيريا ويتحلقون

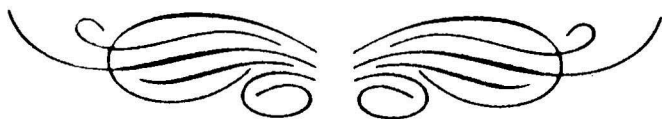
حولك .. ويعودون بدونك .

* * *

في مكانك تنبت عشبة برية تعبق برائحة الندى وتجمع بين الحمرة الضاربة
والبياض الناصع .. والإصالة .
وفي قعر المنحدر تنبت سنابل طويلة ، ترتفع بشموخ ترفض الانحناء وتقاوم
الريح .

محمد مسعود العجمي — لوس انجلوس

مارس ١٩٨٤



في
اللفظة
والنحو
والأدب

المقبس

الحلقة التاسعة



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

خالد سعود الزيد



٦٩ - إن التي زعمت فؤادك ملها :

هذه قصيدة لعروة بن أذينة وهو من شعراء الحجاز في العصر الأموي .
كان فقيهاً ، عالماً ، ناسكاً ، وقد غلب على شعره الغزل . ظل شعره مفقوداً
لولا ما حفظه صاحب (منتهى الطلب) محمد بن المبارك بن ميمون
البغدادي . وكتاب منتهى الطلب ما زال مخطوطاً . جمع الدكتور (يحيى
الجبوري) شعر (عروة) وحققه تحقيقاً يشكر عليه وأصدره في ديوان . وتعتبر
قصيدته هذه من عيون الشعر في الغزل .

إِنَّ الَّتِي زَعَمْتَ فُؤَادَكَ مَلَّهَا
 خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَى لَهَا
 فِيكَ الَّذِي زَعَمْتَ بِهَا وَكَلَامُهَا
 يُبْدِي لِصَاحِبِهِ الصَّبَابَةَ كُلَّهَا
 وَيَبِيْتُ بَيْنَ جَوَانِحِي حُبُّ لَهَا
 (١) لَوْ كَانَ تَحْتَ فِرَاشِهَا لَأَقْلَمْتُهَا
 وَلَعَمَرُهَا لَوْ كَانَ حُبُّكَ قَوْفُهَا
 يَوْمًا وَقَدْ ضَحِيَتْ إِذَا لَأَظْلَمْتُهَا (٢)
 وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ
 شَفَعَ الْفُؤَادُ إِلَى الضَّمِيرِ فَسَلَّمْتُهَا (٣)
 بَيْضَاءُ بَاغِرْهَا النِّعِيمُ فَصَاغَهَا
 بِلِبَاقَةٍ فَأَذَقَهَا وَأَجَلَّمْتُهَا (٤)
 لَمَّا عَرَضْتُ مُسَلِّمًا لِي حَاجَةً
 أَرَجُو مَعُونَتَهَا وَأَخْشَى ذُلَّهَا (٥)
 مَنَعْتُ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي
 مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَمْتُهَا (٦)
 قَدْنَا فَقَالَ: لَعَلَّهَا مَعْدُورَةٌ
 مِنْ أَجْلِ رِقَبَتِهَا فَقُلْتُ لَعَلَّهَا (٧)

٧٠ - من فتاوي الإمام الشوكاني :

الإمام الشوكاني ولد في (شوكان) في اليمن عام ١٧٥٨ وتوفي في
 صنعاء عام ١٨٣٤ م. كان حجة من حجج الإسلام ورهبانه، ووجهاً من
 وجوه الحق وبنيناه. بلغ في الاجتهاد الذروة. عظيم الفكر والفهم، صحيح
 العقيدة. صَلَّبَ في الله، مع سماحة هي سماحة الاسلام، وملامح الأئمة

العظام . أفتى على مذهب الإمام (زيد) عليه السلام وعلى المذاهب الأربعة وغيرها من المذاهب الاسلامية المشتهرة . وقد حدثني من أثق به في عام ١٩٨٣ حين كنت في صنعاء قال : (بعد أن تقرر في عصر الثورة أن تكون مقبرة صنعاء الكبرى جزءاً من الطريق العام حضرت نقل رفات المقبرة . وكان ذلك في عام ١٩٦٥ م (على ما أذكر والتوهم مني) فشهدت الإمام (الشوكاني) في قبره وهوتام الصورة كالتائم، لم يمس التراب جسده (الطاهر) وقد نقل على حاله إلى مقبرة أخرى . وكان يوم نقله يوماً مشهوداً رحمه الله).

من فتاوى الإمام الشوكاني المشهورة ما ننقله من كتابه (البدر الطالع) قال : (السيد أحمد بن علي بن محسن بن الامام المتوكل على الله اسماعيل بن القسام الصنعاني، ولد تقريباً سنة ١١٥٠ خمسين ومائة وألف . واشتغل بطلب العلم بعد أن قارب الخمسين من عمره . ثم قرأ على في النحو، والصرف، والمنطق، والمعاني، والبيان، والحديث، والتفسير وأدرك إدراكاً كاملاً لاسيما في العلوم الآلية . وفهمه جيد وفكره صحيح وتصوره حسن وإدراكه كامل . وأكب على الاشتغال على نحو عشرين سنين مع جماعة من الطلبة ثم جرى بينه وبين بعضهم ما يجري بين أمثالهم من المنافسة فانزعج ومع كثرة تخيله ظن أنني مؤثر لمن نافسه عليه . فصار بعد ذلك يروي ما قد حفظه عني من اجتهاداتي الجارية على نمط الدليل التي يخالف ما عليه غالب من لا تميز له . وكان لديه كتاب لي عارية أحسنت اليه بعاريته فرأى فيه بخطي في مسألة الفرقة الناجية كلاماً مضمونه أنهم ليسوا بعض هذه المذاهب الاسلامية على التعيين بل هم من تمسك بالشريعة المطهرة واهتدى بهدي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم على أي مذهب كان وفي أي عصر وجد . ودفعت قول من قال أنهم فرقته كما وقع لكثير من المتعصبين ، فأقام هذا القيامة وما زال يعرضه على كل من له اشتغال بالعلم فلم يوافقه أحد على ذلك فعاد يعرضه على المقصرين والعوام ويوهمهم بأوهام لا حقيقة

لها فكادت تثور فتنة وقى الله شرها . ثم طلبت منه ارجاع كتابي فها ساعد ، كل هذا وله من الفهم والعرفان نصيب تام وهو لا يخفى عليه خطأ نفسه وبطلان ما زعمه ولم يرع حق التعليم وبعد ذلك ترك الاشتغال بالعلم ولم يبق عليه من رونقه شيء) انتهى قول الإمام الشوكاني رحمه الله .
وصدق الله العظيم : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً .

٧١ - ما قيل في مزج الخمرة :

يقال في الخمر إذا خلط بها الماء مُزِجَتْ . والمزج عام لا يخص الخمرة وحدها . قال البوصيري رحمه الله .

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِرَانٍ بِذِي سَلَمٍ مَزَجَتْ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمٍ

والمزج والميزاج واحد . قال تعالى : إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا .

وان مزجت حتي رَقَّتْ ، قيل : شَعِشَتْ . وهو من قولهم : ظَلَّ شَعِشَاعٌ ؛ إذا كان رقيقاً لا كثيفاً . فإن أريد أن الماء كسر حدتها وسورها قيل : شُجَّتْ . قال كعب بن زهير :

شُجَّتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءٍ مَخْنِيَةٍ صَافٍ بِأَبْطَحِ أَضْحَى وَهُوَ مَشْمُولٌ

وان أريد المبالغة في المزج قيل : قُتِلَتْ .

٧٢ - التآني في إصدار الحكم :

قال عمر بن عبد العزيز : إذا أتاكَ الخصم وقد قُتِلَتْ عينه ، فلا تحكم له حتى يأتي خصمه ، فلعله قد قُتِلَتْ عيناه جميعاً ! .

٧٣ - كلمة في القرآن للإمام الطوسي :

قال الإمام (الطوسي) رحمه الله في مقدمة تفسيره المسمى (التبيان) :

إعلم أن القرآن معجزة عظيمة على صدق النبي عليه السلام ، بل هو من أكبر المعاجز وأشهرها . غير أن الكلام في إعجازه . وجهة إعجازه واختلاف الناس فيه ، لا يليق بهذا الكتاب لأنه يتعلق بالكلام في الأصول وقد ذكره علماء أهل التوحيد وأطنبوا فيه واستوفوه غاية الاستيفاء . وقد ذكرنا منه طرفاً صالحاً في شرح الجمل ، لا يليق بهذا الموضع ، لأن استيفاءه يخرج به عن الغرض ، واختصاره لا يأتي على المطلوب ، فالإحالة عليه أولى .

والمقصود من هذا الكتاب علمُ معانيه ، وفنونُ أغراضه . وأما الكلام في زيادته ونقصانه فما لا يليق به أيضاً ، لأن الزيادة فيه مُجمَعٌ على بطلانها ، والنقصان منه ، فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه ، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا وهو الذي نصّره المرتضى (ره) ، وهو الظاهر في الروايات ، غير أنه رُوِيَ روايات كثيرة ، من جهة الخاصة والعامة ، بنقصان كثير من أي القرآن ، ونقل شيء منه من موضع إلى موضع ، طريقها الآحاد التي لا توجب علماً ولا عملاً والأولى الإعراض عنها ، وترك التشاغل بها لأنه يمكن تأويلها ، ولو صحت لما كان ذلك طعنًا على ما هو موجود بين الدفتين ، فإن ذلك معلوم صحته . لا يعترضه أحد من الأمة ولا يدفعه .

ورواياتنا متناصرة بالحث على قراءته والتمسك بما فيه ، وردّ ما يرد من اختلاف الأخبار في الفروع إليه . وقد رُوِيَ عن النبي (ص) رواية لا يدفعها أحد ، أنه قال : (إني مُخَلَّفٌ فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بها لن تضلوا : كتابَ الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) . وهذا يدل على أنه موجود في كل عصر ، لأنه لا يجوز أن يأمر بالتمسك بما لا تقدر على التمسك به . كما أن أهل البيت ومن يجب اتباع قوله حاصل في كل وقت . وإذا كان الموجود بيننا مُجمَعاً على صحته ، فينبغي

أن نتشغل بتفسيره ، وبيان معانيه ونترك ما سواه .

وأعلم أن الرواية ظاهرة في أخبار أصحابنا بأن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح عن النبي (صلى الله عليه وآله) وعن الأئمة (عليهم السلام) الذين قولهم حجة كقول النبي (ص) وأن القول فيه بالرأي لا يجوز. وروى العامة ذلك عن النبي (ص) أنه قال : (من فسر القرآن برأيه وأصاب الحق. فقد أخطأ)، وكره جماعة من التابعين وفقهاء المدينة القول في القرآن بالرأي : كسعيد بن المسيب وعبيدة السلماني ، ونافع ، ومحمد بن القاسم ، وسالم بن عبدالله ، وغيرهم . وروى عن عائشة أنها قالت : لم يكن النبي (ص) يفسر القرآن إلا بعد أن يأتي به جبرائيل (ع).

٧٤ — ليس من زينة الحياة الدنيا :

نظر أعرابي إلى ولد له قبيح ، فقال له : يا بني إنك لست من زينة الحياة الدنيا .

ARCHIVE

٧٥ — ولد قليل التوفيق : <http://Archivebeta.Sakhi.com>

قال رجلٌ لولده وهو في المكتب : في أيِّ سورة أنت ؟ قال : لا أقسم بهذا البلد ، ووالدي بلا ولد . فقال : لعمرى من كنت أنت ولده فهو بلا ولد .

٧٦ — جئنا نقتبس من وجهك :

جلس (مصعب بن الزبير) بباب داره بالبصرة يوماً . فجاءت امرأة ووقفت تنظر إليه . فقال لها : ما وقوفك يرحمك الله ؟ فقالت : إنظفاً مصباحنا فجئنا نقتبس من وجهك مصباحاً . (وكان مصعب من أحسن الناس وجهاً).

٧٧ - إليه ينتهي الحسن :

قال أنس رضي الله عنه : ما رأيت من ذى لمة سوداء ، في حلة حمراء ، أحسن من رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم . ومدحه صلى الله عليه وآله وسلم حسان قال :

وأحسن منك لم تر قط عيني وأجمل منك لم تلد النساء
خُلِقْتُ مُبَرَّأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ

٧٨ - عبارة صوفية :

يا محبوساً في سجن الغفلة ، لو أشرفت على وادي الدجى لرأيت خيام
القوم مضروبةً على شاطئ بحر (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون) .
ولسمعت أطيّاراً أشجانهم على أغصان أحزانهم تترنم بألحان (وبالأسحار
يستغفرون) .

٧٩ - مدينة يثرب :

قال ياقوت : هي مدينة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بدأ أولاً بصفتها
مجملاً ثم نفصل ؛ أما قدرها فهي في مقدار نصف مكة ، وهي في حرة سبخة
الأرض ولها نخيل كثيرة ومياه ، ونخيلهم وزروعهم تسقى من الآبار ، وللمدينة
سور والمسجد في نحو وسطها ، وقبر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في شرقي
المسجد وهو بيت مرتفع ليس بينه وبين سقف المسجد إلا فرجة وهو مسدود
لا باب له وفيه قبر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وقبر أبي بكر وقبر عمر ،
والمنبر الذي كان يخطب عليه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قد عُشي بمنبر
آخر والروضة أمام المنبر بينه وبين القبر ومصلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ،
الذي كان يصلّي فيه الأعياد في غربي المدينة داخل الباب وبقية العرق
خارج المدينة من شرقيها وقبأ خارج المدينة على نحو ميلين إلى ما يلي

القبلة، وهي شبيهة بالقرية، وأخذ جبل في شمالي المدينة، وهو أقرب الجبال إليها مقدار فرسخين، وبقرها مزارع فيها نخيل وضياع لأهل المدينة، ووادي العقيق فيما بينها وبين الفرع، والفرع من المدينة على أربعة أيام في جنوبها، وبها مسجد جامع، غير أن أكثر هذه الضياع خراب وكذلك حوالي المدينة ضياع كثيرة أكثرها خراب وأعذب مياه تلك الناحية آبار العقيق، ذكر ابن طاهر بإسناده إلى محمد بن إسماعيل البخاري قال: المديني هو الذي أقام بالمدينة ولم يفارقها، والمَدَنِي الذي تحول عنها وكان منها، والمشهور عندنا أن النسبة إلى مدينة الرسول مَدَنِيٌّ مطلقاً وإلى غيرها من المدن مَدِينِيٌّ للفرق لا لعله أخرى، وربما ردّه بعضهم إلى الأصل فنسب إلى مدينة الرسول أيضاً مَدِينِيٌّ.

٨٠ - وفي كل شيء له آية:

قال أبو العتاهية:

فيا عجباً كيف يُنْقَضَى إلّا له أُمٌّ كيف يَجْحَدُهُ الجاحدُ
وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنه الواحدُ
ولله في كلِّ تحريكٍ وتسكينٍ في الورى شاهدُ

٨١ - جواب مُفْجَم:

قال يهوديٌّ لعلِّي بن أبي طالب عليه السلام: ما لكم لم تلبثوا بعد نبيكم إلا خمس عشرة سنة حتى تقاتلتم؟ فقال علي: ولم أنتم لم تحبّ أقدامكم من البلل حتى قلتم: يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة.

٨٢ - لم يبلغه أن الزنا حرام:

زنى رجل بجمارية فأحبّلها. فقالوا له: يا عدوّ الله، هلاً وقد ابتليت

بفاحشة عزلت؟ قال : قد بلغني أن العزل مكروه .

٨٣ - رَحِمَ مَجْفُوءَةً :

جاء إلى معاوية رجلٌ فقال : سألتك بالرحم التي بينك وبينني إلا ما قضيت حاجتي ؟ فقال له معاوية : أَمِنْ قريش أنت ؟ قال : لا . قال : فأَيُّ رحمٍ بيني وبينك ؟ قال : رحم آدم عليه السلام قال : رحم مجفوءة والله لأكوننَّ أَوَّلَ مَنْ وصلها . وقضى حاجته .

٨٤ - أبيات في الحمرة :

قال ابن هشام رحمه الله في شرح (بانت سعاد) :

قال عمرو بن كلثوم :

الْأَهْبَى بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِينَا وَلَا تُبْقِ خَوَرَ الْأَنْدَرِينَا
مَشْعَشَعَةً كَأَنَّ الْحَصَّ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ومعنى هبى قومي من نومك . والصحن القدح الصغير . واصْبَحِينَا بفتح الباء أي اسقينا بالغداة والأندرين بالبدال المهملة موضع بالشام ويقال بالرفع أندرون ، وقيل إنما اسم الموضع أندرو لكنه نَسَبَ إليه أهله فقال : الأندرين ثم حذف ياء النسب للتخفيف كما في قوله تعالى (ولو نزلناه على بعض الأعجمين) وقول الشاعر :

وما عملى بسحر البابلينا

والمعنى لا تبقيها لغيرنا وتسقينا سواها ، ومشعشة حال أو بدل من خور أو مفعول لاصبحينا ويجوز رفعها بتقديرهى والحص مهمل الحرفين مضموم الأول الورس وقيل الزعفران . وسخينا إما اسم منصوب على الحال من الماء ،

وهو قول أبي عمرو الشيباني، قال كانوا يسخنون لها الماء في الشتاء وإما فعل وفاعل. والجملة جواب لإذا، أي إنها إذا مُرِجَتْ أحدثت فينا السخاء قبل أن نشرها، وهذا أبلغ من قول عنترة.

وإذا شربتُ فإنني مستهلكٌ مالي وعرضي وافِرٌ لم يُكَلِّمْ وإذا صُحُوتُ فما أَقْصَرُ عن ندى وكما علمتِ شمائلى وتكرمى

وقول عنترة أعدل وأحسن. والعرض الحسب. والكلُّم الجرح. وفي البيت الثاني احتسب من اعتراض يَرِدُ على بيت عمرو إذ ظاهره أنه لولا الخمر لم يكن فيهم سخاء. والشمائل جمع شِمال بكسر الشين وهي الخلق قال:

ألم تعلمي أن الملامة نفعها قليلٌ وما لومي أخى من شماليا

وقال حسان رضى الله عنه:

إِنَّ التِّي ناولتني فرددتُها قُتِلَتْ قُتِلَتْ فهاتِها لم تُقْتَلِ
كِلْتاهُما حَلَبُ العَصِيرِ فعاطني بزحاجةٍ أرخاها للمفصل

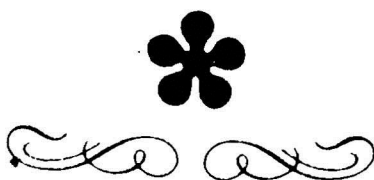
قوله قتلت معناه مُرِجَتْ بالماء وأما قوله كِلْتاهُما حَلَبُ العَصِيرِ فإنه يعني به الخمر والماء، فالخمر عصيرُ العنب والماءُ عصيرُ السحاب قال الله تعالى (وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَاجًا). انتهى قوله باختصار.

٨٥ - وصف البعوض:

قال (ابن شهيد) يصف البعوض: (تنقُضُ العزائم وهي منتفوضة. وتُعْجِزُ القُوى وهي بعوضة. ليُرِينَا الله عجائبَ قدرته. وضعفنا عن أضعف خليقته).

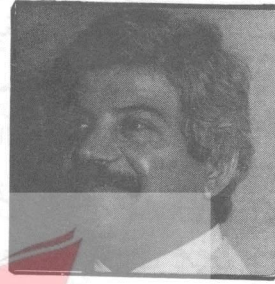


- (١) يقال: أقلتته الرعدة: أصابته. أي، لوبات ما في ضلوعي من حب وشوق لها تحت فراشها لارتعدت فزعة واضطربت جزعاً وولعاً.
- (٢) ضحيت: أدركتها شمس الضحى.
- (٣) ويروي: شفع الضمير لها التي فسّلها.
- الوساوس: حديث النفس. يقول: إذا خطر ببالها ما أنساها حبي أحياناً هتف الضمير بالشفاعة لها عندي فأذهب هذه الوساوس من قلبي وانتزعها لذلك فإنني لن أسخط عليها أبداً.
- (٤) باكرها النعيم: أراد أنها لم تعش إلا في النعيم ولم تعرف إلا الخفض، وإنها لم تلاق بؤساً فتخشع وتضرع ويؤثر ذلك في جمالها وتعامها، والبكور هو التقدم في كل وقت. (أمالى المرتضى ٤١٣/١).
- وقال البكري في السمط: بلباقة، يقال: رجل لبق ولبيق، وهو الحاذق بالشيء، والمصدر اللباقة واللبق قال الشاعر:
- وكان بتصرفه القناة لبيقاً
- وقال ابن الأعرابي: ومعنى قوله فأدقها وأجلها: دق منها: حاجبها وأنفها وخصرها، وجل عضداها وساقها وبوصها، وهذا كما قال الشنفرى:
- فدقت وجلّت واسبركت وأكملت فلو جرت إنسان من الحسن جتت
- (٥) ويرى: مسلماً في حاجة. والذل (بالضم والكسر) ضد الصعوبة: أراد سهولة قضائها وتذليلها.
- (٦) يريد: أن تحبها وإن كانت نزرة قليلة، فإنها عندنا كثيرة جليّة. وهذا كما قال العباس بن قطن:
- أليس قليلاً نظرة أن نظرتها اليك، وكلا ليس منك قليل
- (٧) الرقبة: الحراسة. أي: عليها حراس فهي تخشى حراسها من الوشاية بها.



مقدمة عامّة

بقلم الدكتور
طارق
عبدالله
حباد



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

١ — لا شك في أن للترجمة دوراً كبيراً في إثراء الثقافات ونقل الأفكار الجديدة، فهي نافذة الثقافة القومية على الحضارات الأخرى وانجازاتها، والترجمة كذلك مقياس لحيوية الثقافة وقدرتها على التفاعل مع عطاء الحضارات الأخرى، ففي السنوات الذهبية للدولة العباسية نشطت حركة الترجمة من اليونانية والسريانية والفارسية والهندية الى اللغة العربية، وأنشئت دور للترجمة بذل لها الخلفاء العطاء والرعاية، وقدموا لها كل العون في عملها، واليها يعزى قدر كبير من نمو وتطور الحضارة الاسلامية في العصر العباسي. كذلك عن طريق الترجمة حفظ العرب تراث اليونان الفلسفي والعلمي ونقلته أوروبا في عصر النهضة الى

اللاتينية. وفي العصر الحديث قامت النهضة العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين على أكتاف الترجمة التي نشطت في الشام ومصر وبواسطتها تم نقل العديد من المؤلفات العلمية والفلسفية والأدبية الى اللغة العربية.

٢ - في دولة نامية ومتطورة دائما كالكويت، تبرز أهمية الترجمة في مجالات عديدة أقرها الى نظرنا مجال التعليم، وبخاصة التعليم العالي، حيث الطلب المتزايد على العديد من النصوص الدراسية في مختلف مجالات العلوم. وينصب معظم هذا الطلب على ترجمة النصوص من اللغات الأجنبية التي كتبت بها الى العربية وذلك تلبية للحاجة التعليمية التي تتطلع دوما الى تطوير مادتها وتطعيمها بالجديد.

كذلك في المجال الثقافي العام نلاحظ أن الصحافة تولي أهمية خاصة للمقالات المترجمة عن الصحف الأجنبية الى اللغة العربية، كما تلجأ وسائل الاعلام مثل التلفزيون والسينما الى عرض برامج وأفلام أجنبية مصحوبة بترجمة عربية. ولا شك أن كل هذا يدل على الحاجة الملحة الى الأشكال المختلفة للترجمة والتي بواسطتها يطلع المتعلمون على آخر الآراء والمبتكرات والأفكار في الثقافات الأخرى.

٣ - وربما يضاف الى كل ذلك الحاجة اليومية الى خدمات الترجمة والتي تشعر بها الدولة في سفاراتها ومؤسساتها في الدول الأخرى، وفي المنظمات والمحافل الدولية، وفي المؤتمرات العالمية. هذا ناهيك عن حاجة وزارات الدولة ومؤسساتها في داخل الكويت الى مثل هذه الخدمات علاوة على الطلب المتزايد على خدمة الترجمة من قبل المؤسسات والشركات الخاصة والمواطنين. ونستنتج من كل هذه الملاحظات أهمية الترجمة في الحياة اليومية للدولة وللأفراد والدور الكبير الذي تؤديه كوسيلة للاتصال وانجاز المعاملات، وكذلك يتبين لنا الدور الهام الذي تقوم به الترجمة وما تؤديه عملية نقل الأفكار من لغة أخرى

الى نتائج بعيدة المدى مثل تطوير الحضارة وتنمية الثقافة وارتقاء العلوم والآداب.

٤ - ومن خلال ادراك عميق لكل ما تقدم، ولدت فكرة هذا الاصدار الخاص بالترجمة. وقد تطورت الفكرة في أعقاب قيام كاتب هذه السطور بتنظيم مائدة مستديرة في الترجمة بقسم اللغة الانجليزية وآدابها بجامعة الكويت عام ١٩٧٨-١٩٧٩ دعا فيها نخبة من أساتذة القسم الى القاء محاضرات تتناول جوانب متعددة للترجمة، كما أسهم هو فيها بمحاضرة منشورة في مكان آخر في هذا العدد. وبعد انتهاء المائدة المستديرة طلب الى جميع الحضور المهتمين بالترجمة أن يسهموا بمقالاتهم لمشروع هذا الإصدار الخاص، وقد وصلت المقالات التي ترونها فيما بعد وأضيفت لها هذه المقدمة في محاولة لاستكمال اطار موضوع البحث. ولعل القارئ يلاحظ أن المقالات التي بين يديه تحاول تقديم شيء جديد يعتمد على اعطاء الصورة العامة والجوانب المتخصصة لموضوع الترجمة وذلك من خلال التناول المركز لعدة جوانب مختلفة لمشاكلها وأبعادها، إلا أن هناك جداول وانهاراً تتسرب من مقال إلى آخر وتصل المقالات جميعها بحماس كاتبها لموضوعهم واهتمامهم الذي يتجلى في الجهد الكبير الذي بذلوه في البحث والتقديم، كما يعكس تأثرهم الواضح بالدراسات الأوروبية في ميدان الترجمة، أو متابعتهم الحديثة لها.

٥ - تنقسم المقالات هنا الى ثلاثة اتجاهات رئيسية أدرجها كاتب هذه السطور في منظومات كل منها ذات عنوان عام فالمنظومة الأولى والمدرجة تحت عنوان «في خصوصيات الترجمة» تضم مقالات تبحث في الجوانب الفنية للترجمة وما تثيره من مشكلات لغوية وثقافية يومية معقدة تبحث عن الحل. ففي كل مرة يتناول فيها المترجم نصاً معيناً فإنه لا يواجه أنماطاً لغوية مختلفة فحسب، بل هو يجابه بعداً حضارياً

وثقافيا يحتضن النص موضع الترجمة، وما لم يكن مدركا بوجود المعضلة الثقافية التي تصاحب عملية الترجمة، فلن يكون عطاؤه النهائي ذا قيمة كبيرة. كما أن الترجمة لا تقتصر على مجرد الاستبدال الآلي لعبارات بأخرى، بل تتعداها الى تمحيص ذكي ومدرك للمعاني والمفاهيم التي تمثلها هذه العبارات في لغتها الأصلية، وما يمكن أن تؤول اليه في اللغة المترجمة اليها. ونستشف من مقالات هذه المنظومة أن الترجمة تتطلب السيطرة على لغتين كما تتطلب معرفة واسعة بالمادة موضوع الترجمة علاوة على خلفية جيدة في التراث القومي وتراث وثقافة لغة النص الأصلي، وذلك كي يستطيع المترجم أن يتوصل الى نص يعكس أكبر قدر من المماثلات اللغوية والمتوازيات الثقافية للنص الأجنبي. وتتضح هذه المعضلات بحدة في الترجمة الآلية، ومن هنا نفهم حدود الآلة وعجزها عن لمح البعد الثقافي واللغوي للنصوص المراد ترجمتها وتبين لنا مقالات المنظومة الأولى علاقة الترجمة بالدراسات اللغوية وذلك من خلال بحوث تتناول مقارنة لغوية لعناصر مختارة من لغة المصدر ولغة الهدف بالإضافة الى دراسة مشاكل المقابلات اللغوية (أو التكافؤ في الترجمة) علاوة على الإشارة الى بعض المشاكل الناشئة عن استحالة الترجمة.

٦ — أما المنظومة الثانية والتي تأتي تحت عنوان العنوان العام « الترجمة كتراث وكواقع ». فتتضمن مقالات تتناول الموضوع من زوايا النظرية والتطبيقية، تاريخا وفلسفة وسياسات معمولا بها ونظرة مستقبلية. وتحكم مقالات هذه المنظومة رؤيا تاريخية فلسفية عالمية وقومية للترجمة ومساراتها. ففي القرون الماضية وحتى الربع الأخير من القرن العشرين تركز اهتمام معظم دارسي الترجمة على إيجاد أوصاف تطلق على المترجم وعملية الترجمة ونتائجها. فهناك فريق وصفها بأنها « فن » وآخر قال عنها أنها « صنعة » وذهب فريق ثالث الى اطلاق لقب

«العلم» عليها. إلا أنه يتبين من بعض المقالات في هذا الكتاب أن بعض الاتجاهات تحبذ التعريف السلبي للترجمة ووصفها بأنها ليست ذلك النشاط الابداعي كما أنها لا تنتمي إلى الفن المقلد. ومنذ أوائل الستينيات برزت متغيرات هامة في دراسات الترجمة صحبت التطور الذي طرأ على الدراسات اللغوية وعلم الأساليب في النقد الأدبي والذي أدى إلى نشوء منهجية نقدية، وكذلك إلى دراسة أعمال المدرسة البنيوية الروسية. وتجدر الإشارة إلى أن أهم الانجازات في دراسات الترجمة في القرن العشرين تنبع من الدراسات التي تمت في روسيا في العشرينات من هذا القرن، ومماثلتها من انجازات مدرسة براغ اللغوية وأتباعها. وقد أدت هذه الجهود إلى تبلور نظرية في الترجمة تبعتها عن كونها نشاطاً ترفيهياً يقوم به كل من تمتع ببعض المعرفة باللغة الأجنبية ووصفها بأنها «أصعب مهمة يمكن أن يضطلع بها كاتب» (١). وتتميز النظرية الحديثة للترجمة بتركيزها على محاولات التفريق بين الاصطلاحات التي تدل على الترجمة وتعريفها وذلك من خلال منظور علم اللغة، فنجد كاتفورد يوضح أن: «في الترجمة نجد استبدالاً لمعاني النص الأصلي بمعان أخرى في لغة النص المترجم، وليس تحويلاً لمعاني النص الأصلي إلى معان أخرى بلغة النص المترجم ونجد في التحويل عملية زراعة معاني النص الأصلي في لغة النص المترجم، ويجب التمييز بوضوح بين هاتين العمليتين في أية نظرية للترجمة» (٢).

وفي هذه المنظومة الثانية من المقالات نجد أيضاً اتجاهها في التركيز على تاريخ الترجمة من جانب يمكن اعتباره مرتبطاً بالتاريخ الأدبي وتشتمل على تمحيص لنظريات الترجمة المختلفة من زاوية نقدية مقارنة وكذلك تقدم عرضاً لعمليات تشجيع الترجمة ونشرها في العصور المختلفة، ودور الترجمة وأهمية المترجمين عبر عصور معينة إضافة إلى الواقع

٧ — أما مقالات المنظومة الثالثة فتندرج تحت ما يمكن تسميته بتفاعل النص مع الثقافة المترجم اليها وفيها دراسة للنصوص بعينها كما أنها تتضمن تناولا لتأثير ترجمة بعض النصوص والأنواع الأدبية والكتاب في ثقافة اللغة المترجم اليها، وتثير مشاكل تتعلق بمبادئ النقد الأدبي التي تسود الترجمة كقضايا الاختيار والذوق والمسائل الأسلوبية.

وفي هذه النوعية من المقالات نجد دراسات في ترجمات الشعر والتي تتناول ميدانا هاما من الترجمة الأدبية كما أنها تستعرض النظريات المختلفة والأسس العملية التي تنتمي اليها هذه المترجمات ومقارنات بين أديب وآخر واسهام كل ذلك في تطور النظرية الأدبية للترجمة. ويتوضح من هذه الدراسات التأثير الواضح لنظرية أفلاطون عن الوحي الالهي في الشعر ونفوذها على المترجمين، حيث أنها فتحت الباب على مصراعيه لمفاهيم مثل «تمثل روح النص» و«اعادة خلق النبض» في الترجمة مما يذكرنا بأن على المترجم اخضاع النص الأصلي لعملية تناسخ لغوية وفكرية وتلزمه بالتعامل مع نصه على كلا المستويين الفني والفلسفي وهو أمر يضعه أمام امتحان مهني عسير تجاه الكاتب والقارئ معاً.

٨ — في الختام أؤكد على القول بأن هناك مجالات واسعة لم يشتمل عليها هذا الاصدار الخاص، وتتعلق بميادين الترجمة المختلفة مثل مشاكل الترجمة العلمية والسينمائية والفورية، ومشاكل المصطلحات والمعاجم، والمعضلات التي تثيرها عملية كتابة الأسماء الأجنبية بحروف عربية وغيرها من القضايا. ولعل العذر في أنه لا يمكن تغطية موضوع شاسع كهذا في مساحة محدودة كتلك التي بين يدينا، كما أن عزاءنا أن في المستقبل سعة وبخاصة أن حقل الترجمة بكر لا زالت تتناوله الدراسات والتجارب. وما يبعث على التفاؤل أن هذا الميدان قد أثبت

خصوصية وعطاء ملفتين للنظر.

على أنه مهما بلغ مدى التقدم النظري فيه، ومهما تنوعت الأحكام والأوصاف سواء للترجمة أو عليها، فإن المترجمين دون سواهم لا زالوا يقومون بالكثير من العبء ويواجهون يوميا سيلا من المشاكل المعقدة التي لم تتطرق اليها الدراسات والتي تنتظر اعمال الفكر والقلم. ولعل قيمة جميع النظريات والأبحاث التي يبتدعها الدارسون تتحدد في المقام الأخير فيما تمثله من قيمة عملية تطبيقية، فيجب ألا ننسى أن الترجمة ما هي إلا نشاط فكري تجريبي في المقام الأول.



-
1. cf. Randolph Quirk, *The Linguist and the English Language* (London: Edward Arnold, 1974).
 2. cf. J.C. Catford, *A Linguistic Theory of Translation* (London: Oxford University Press, 1965).

طبيع الترجمة

د. نايف غرما

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

مقدمة :

١ - ليست هذه المقالة موجهة لعلماء اللغة بوجه خاص، فكثيرون منهم يعرفون ما سيرد فيها معرفة تامة، بل هي مكتوبة لاولئك العلماء والمثقفين والدارسين عموماً الذين لهم اهتمام اما بالأدب أو بالترجمة أو بكليهما، إلا أنهم ليس لديهم فكرة واضحة عن علم اللغة الحديث. وتهدف المقالة الى عرض بعض الأفكار التي انبثقت عن علم اللغة الحديث، والتي نعتقد بفائدتها لكل امرئ له علاقة بالترجمة. إلا أنها تهدف الى أكثر من ذلك لأننا اذا لم نربط تلك الأفكار بدراسة الأسلوب، الذي يعتمد في جوانبه المختلفة على الأدب كما يعتد به في علم اللغة، فإن عرضنا لمقومات عملية الترجمة يبقى عرضاً قاصراً، ينقصه الشمول اللازم.

٢ — هنالك نكتة شائعة عن آلات الترجمة (Translation Machines) تروى على الوجه التالي :

يقال ان احدى آلات الترجمة غذيت بالمثل الانجليزي التالي :

The Spirit is willing, but the flesh is weak.

الذي يعني تقريباً ما يعنيه بيت الشعر العربي الشهير:

(واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجساد)
وذلك لترجمتها الى اللغة الروسية، وبعد أن تم ذلك أعيدت الجملة المترجمة وغذيت بها آلة ترجمة أخرى لإعادة ترجمتها الى اللغة الانجليزية، فكانت النتيجة الجملة التالية :

The vodka is good, but the meat is poor

(أي شراب الفودكا جيد، إلا أن اللحم سيء)

سنحاول في هذه المقالة أن نبين الأسباب التي تجعل أخطاء من هذا النوع، بل وأساء منها، تقع في الترجمة، كما سنتقدم ببعض الاقتراحات عن أفضل الطرق لتلافي تلك الأخطاء وسنحاول أن نفعل هذا بالنظر في طبيعة الترجمة، أي في العناصر التي تتكون منها عملية الترجمة.

٣ — لقد شهد تاريخ العالم موجة اثر أخرى من موجات الترجمة الواسعة للتراثات المختلفة، كالترجمة من الاغريقية الى السريانية الى العربية، ومن هذه الى اللاتينية، فاللغات الاوروبية الحديثة — وهذه الموجات تتعلق بجزء واحد من العالم فقط، هو هذا الجزء الذي نعيش فيه. وفي الوقت الحاضر، يقدر عدد الاشخاص الذين يعملون كلياً أو جزئياً بالترجمة بما ينوف عن مائة ألف رجل وامرأة. كما أن الكتاب المقدس ترجم و يترجم الى أكثر من ثمانمائة لغة، ولدينا الآن عدة ترجمات

مستابعة لروائع القصص وأمهات الكتب العالمية الأخرى^(١). كما أن ترجمة الكتب والمقالات العلمية تسبب صداعاً دائماً لتلك الدول النامية التي تحاول جادة أن تلحق بالركب العالمي في هذه الميادين.

٤ — ولكن على الرغم من كل هذا النشاط الهائل، وفيما عدا إعداد بعض المعاجم الثنائية والثلاثية اللغة، وبعض القواميس المتخصصة، لم يحدث أن وُضعت حتى الآن نظرية أو أسس علمية لتوجيه ومساعدة المترجمين في ميادين المعرفة المختلفة. وليس لدينا في هذا المجال إلا بعض الملاحظات الشخصية لبعض المترجمين الأفراد، وإلا بضع مقالات تتناول هذا الجانب أو ذاك من عملية الترجمة. ولم تكتب الكتب القيمة القليلة عن الموضوع إلا في السنوات القليلة الماضية. أما تفسير هذه الظاهرة فليس أمراً متعذراً أو صعباً.

٥ — إن عملية الترجمة، كما نفهمها في العصر الحاضر، تتألف من إعادة صياغة رسالة عُبر عنها بإحدى اللغات، إلى لغة أخرى، بشكل مناسب وأمين. أما الأمانة فإنها تعني الدقة التامة وتشير إلى المضمون والشكل معاً، ولكن المضمون هو الأهم هنا، بينما تشير المناسبة بشكل رئيسي إلى الشكل.

ولكن شكل اللغة ومضمونها هما بالضبط ما يبحثها علم اللغة الحديث. إلا أن علم اللغة علم حديث، كما أن اهتمامه بالمضمون، أي بالمعنى، في فرعه المدعو علم معاني اللغة (أو السمانتيكا اللغوية)، اهتمام أكثر حداثة. أما الشكل، من الناحية الأخرى، فقد كان وما زال موضوعاً للدراسة والبحث منذ أقدم العصور، وتبعاً

* الأرقام التي ترد بين قوسين هنا وفي بقية المقال تشير إلى أرقام الحواشي والتعليقات المدرجة في ختام المقال، فيرجى الرجوع إليها هناك.

لذلك، فقد كان المترجمون يولونه اهتماماً ربما كان أكبر بكثير من اهتمامهم بالمضمون، مع العلم أن هذا المضمون لا يمكن فصله عن الشكل في حالات كثيرة، كما هو الحال بوجه خاص في الشعر وبعض أشكال التعبير النثري الأخرى.

٦ — لقد جعل التقدم والتطور الحديثان في علم اللغة من الممكن أن ننظر إلى عملية الترجمة بعمق وشمول أكبر من السابق، وأن نستخدم في دراستها بعض الأفكار التي توصل إليها علماء اللغة، سواء كان ذلك على مستوى تركيب اللغة (أي الشكل) أو على مستوى المعنى (أي المضمون). إن وجهة النظر الحديثة تعتبر الترجمة نوعاً من التدريب اللغوي، وتعتبر دراسة الترجمة محاولة لفهم طبيعة المعنى ووجوه المختلفة من جهة، ومن الجهة الأخرى تعتبرها دراسة لطبيعة الكلام المتصل (٢)، وأنواعه، وتركيبه، ومميزاته، علاوة على أنها محاولة لفهم مميزات الأساليب المختلفة.

وعلى هذا، يمكن القول بأن الترجمة ليست علماً محضاً، ولا فناً محضاً، ولكنها مزيج من الاثنين. ففي بعض الأحيان تظن أهمية المضمون، وفي أحيان أخرى تظن النواحي الجمالية على الكلام. لنبدأ دراستنا الآن، إذًا، بالنظر في الرسالة أو المضمون الذي يعبر عنه كلام متصل، وذلك عن طريق النظر في طبيعة المعنى وأبعاده، وفي الطريقة التي يعالج فيها علم اللغة الحديث هذه الناحية.

أولاً: المضمون:

طبيعة المعنى:

إن المعنى الكامل لكلام متصل، أو لفقرة، أو جملة، أو لجزء من جملة،

أو حتى لكلمة واحدة في بعض الأحيان، هو، عادة، حصيلة عدة أنواع من المعنى هي التالية :

١ - فهناك ما يسمى بالمعنى **المُعْجَمِي**، أي ذلك المعنى الذي يمكننا الحصول عليه من المعجم. وكما سيتضح بعد قليل، فحتى هذا النوع من المعنى ليس مفهوماً واحداً لا يتجزأ، أو فكرة بسيطة واحدة. فعظم المفردات لها أكثر من معنى واحد، كما أن بإمكاننا أن نخلل حتى المعنى الأساسي للكلمة الى سمات مميزة أصغر منه، بالإضافة الى أن هناك بعض الكلمات التي لها معنى معجمي قليل جداً بحروف العطف، وحروف الجر، وبعض الظروف، والافعال الناقصة أو المساعدة وما إليها.

٢ - ثم هناك ما يسمى بالمعنى **النحوي / الصرفي** الذي ينطبق في الغالب على الجمل وأجزائها كأشباه الجمل وما إليها، ولكن يمكن أن ينطبق أيضاً على بعض الكلمات المشتقة. فكلمة معلم مثلاً، يتألف معناها من المعنى المعجمي للفعل علّم، ثم المعنى الصرفي للميم المضافة الى أول الفعل بالإضافة الى تغيير فتحة اللام الى كسرة. أو المعنى الصرفي لوزن مُفَعِّل، وهذا المعنى هو: «فاعل» فعل التعليم.

٣ - كما أن هناك ما يسمى بالمعنى **الحضاري**، الذي يضاف الى المعنى الأساسي للكلمة عن طريق الحضارة التي تؤلف اللغة أهم عناصرها. وهذا المعنى له علاقة عادة برد الفعل **العاطفي** الذي يديه أفراد جماعة معينة (عائلة، قبيلة، قرية، مدينة، قُطر.. الخ) تجاه تلك الكلمة. ولكن هناك نواحي أخرى لهذا النوع من المعنى سنعرضه في الصفحات القادمة.

٤ - ثم هناك ما يسمى بالمعنى **الاجتماعي**. وهذا المعنى يضاف أيضاً الى المعنى الأصلي للكلمة أو التعبير أو الجملة الخ، بأن يفرضه المقام الذي

يشمل المشاركين في الكلام، وعلاقة بعضهم ببعض، والظروف العامة المحيطة بالكلام، كالزمان، والمكان وما إليها، والوظيفة التي يؤديها الكلام، وغير ذلك.

٥ - وأخيراً: هنالك تأثير الأسلوب الذي، سواء مباشرة أو غير مباشرة، يُضفي على الكلام لونا معينا كالموضوعية، أو الجدية، أو المزاح، أو الهجة، أو خفة الروح، الخ، كما يؤثر في رد فعل القارئ للرسالة التي يحملها الكلام.

لنبداً الآن بالنظر في هذه النواحي الخمس بشيء من التفصيل، على أن نبين في نهاية كل ناحية، وفي ختام المقال، الانعكاسات المباشرة أو غير المباشرة للأفكار اللغوية الجديدة على عملية الترجمة، مع الإشارة بوجه خاص الى اللغتين العربية والانجليزية.



ARCHIVE

١ - المعنى المعجمي: لقد كان المعنى موضوع الدراسات والبحث منذ قرون طويلة، إلا أن دراسته كانت تعتبر، حتى وقت قريب، فرعاً من فروع الفلسفة، ولم تظهر محاولات دراسية علمية على المستوى اللغوي إلا منذ مدة قصيرة. وعلى الرغم من قصر المدة، فقد أصبحت لدينا حصيلة هائلة من الدراسات في الموضوع ونتجت عنها مجموعة من النظريات والمناهج. ولذلك فليس في مقدورنا، حتى لو أردنا، أن ندرس أياً من تلك النظريات بكثير من التفصيل في مقامنا هذا. ولذلك فسقتصر كلامنا على وصف موجز جداً لأحدث مناهجين أو ثلاثة مناهج في دراسة المعنى، لكي نبين كيف يمكن الاستفادة منها في الترجمة. ولكننا نجد حقاً علينا أن نقول هنا، قبل أن نبدأ بإعطاء بعض الأمثلة المحددة، أن الأفكار العامة الجديدة، التي تمخض عنها علم اللغة الحديث، هي التي ربما تثبت أهميتها، وتتمكن من تقديم العون للعاملين في

حقق الترجمة، أكثر بكثير من القواعد والأمور التفصيلية الأخرى التي تم التوصل إليها عن طريق هذه الدراسات اللغوية الحديثة.

والأن نبدأ بتكرار ما قلناه سابقاً من أن معنى احدى الجمل مثلاً ليس مجموعة معاني الكلمات المفردة التي تتألف منها. ولو كان الامر كذلك لكان معنى الجملتين التاليتين، اللتين تتألفان من نفس الكلمات، هو نفسه في الحالتين :

عيسى رأى موسى — و — موسى رأى عيسى

ففي هذه الحالة يجب أن نضيف المعنى النحوي لكل من الجملتين (وهو أن عيسى هو فاعل الفعل بينما موسى هو الذي يقع عليه الفعل في الجملة الأولى، بينما هو العكس في الجملة الثانية) لكي نستطيع التمييز بين المعنيين. وهذا الكلام لا ينطبق على الجمل فحسب، بل على أجزاء منها كالتعبير الاصطلاحي (idioms)، والأفعال المتبوعة بظروف (Phrasal verbs) في اللغة الانجليزية، وحتى على كلمات مفردة. فكلمة (Greenhouse) مثلاً لا تعني بيتاً أخضر اللون، ولا علاقة للتعبير الاصطلاحي (be under the weather) بالطقس من قريب أو بعيد، كما أن الكلمة (understand) لا علاقة لها بالوقوف أو بالوضع السفلي. وفي بعض الحالات، كما في المثال الأول أعلاه تكون العلاقة النحوية بين أجزاء الكلمة أو التعبير، لا المعنى المعجمي، هي التي تحدث الفرق في المعنى بينما تكون المكونات الحضرارية أو الاجتماعية للمعنى هي العوامل الحاسمة في حالات أخرى.

(أ) عندما توصل بعض علماء اللغة الى هذه الحقيقة، قام بعض اتباع المدرسة اللغوية الغربية الحديثة المسماة «مدرسة القواعد التحويلية التوليدية» في السنوات الأخيرة بمحاولة وضع أسس «نظرية لغوية متكاملة» (٣) تستطيع أن تشمل في خطتها عنصر المعنى بالإضافة الى العناصر الأخرى التي تتكون منها

نظريتهم المشهورة الآن. ولكن هذه المحاولة لم تنجح لسوء الحظ، بل انها بدت غير واقعية، وشديدة التعقيد، حتى أن كثيراً من اللغويين لم يتمكنوا من فهمها، كما أنها لم يكن باستطاعتها أن تفسر جميع جوانب المعنى.

بجانب هذه المحاولة، يمكن القول ان المنهاجين الحديثين الرئيسيين لدراسة معاني أو دلالات الكلمات هما: **طريقة التحليل الى المكونات الاولى** (Componential Analysis) و**الطريقة التشكيلية** (Structural Approach). وكل من هذين المنهاجين يؤكد على بعد مختلف من أبعاد المعنى العجمي. فبينما يؤكد الأول على ما يسمى بإشارة الكلمة (Reference) أي ما تشير اليه الكلمة في العالم الخارجي، يُؤكّد الثاني على **المعنى اللغوي** للكلمة (sense)، أي العلاقة التي تقوم بين الكلمة والكلمات الأخرى في السياقات اللغوية المختلفة التي تقع فيها.

(ب) أما أول هذين المنهاجين، وهو المنهاج الذي تبناه وقّعده أنصار «مدرسة القواعد التحويلية التوليدية» مؤخراً، فهو في الواقع قديم جداً. فهو المنهاج المستخدم في صناعة المعاجم بوجه عام، وان لم يكن حتى الان مبنياً على أسس علمية أو على نظرية لغوية واضحة. وبموجب هذا المنهاج، يعتبر معنى الكلمة حصيلة عدد من العناصر الصغيرة (Semantic features) أو السمات المميزة له عن غيره من المعاني. ويستعمل هذا المنهاج لتفسير بعض الظواهر اللغوية كالترادف، وتعدد المعاني، والتضاد، والشمول (أي شمول معنى كلمة لمعنى كلمة أخرى، كالزهر والقرنفل مثلاً) الخ. كما يستعمل لتفسير بعض العلاقات التي تقوم بين الكلمات التي تؤلف مجموعة مقفلة وتغطي حقلاً خاصاً من حقول المعنى كمجموعة الألفاظ التي تشير الى القرابة مثلاً. ويمكن أن نستعمل هذا الحقل كمثال لتوضيح هذا المنهاج الذي نتحدث عنه. فجميع الألفاظ التي تدل على القرابة يمكن تحليلها على أساس

أربعة عناصر هي: أولاً: بحسب الجنس، ذكراً كان أم أنثى، ثم بحسب علاقات القرابة الثلاث: ابن / شقيق / والد، كما يرى في الجدول التالي (٤).

السمات المميزة لمعاني الفاظ القرابة

والد ..	شقيق ..	ابن ..	ذكر / أنثى	
		ابن	ذكر	ابن
		ابنة	انثى	ابنة
	شقيق		ذكر	أخ
	شقيقة		انثى	أخت
والد			ذكر	أب
والد			انثى	أم
	شقيق / شقيقة	ابن	ذكر	ابن أخ / أخت
	شقيق / شقيقة	ابنة	انثى	بنت أخ / أخت
والد	شقيق		ذكر	عم / خال
والد	شقيقة		انثى	عمة / خالة
والد	شقيق / شقيقة	ابن	ذكر	ابن عم / ابن خال
والد	شقيق / شقيقة	ابنة	انثى	بنت عم / بنت خال

ويتضح من الجدول أيضاً، كيف يفترض أن يعمل هذا المنهاج في التحليل. فليس من الضروري أن نذكر جميع سمات المعنى لكل كلمة مفردة، خصوصاً تلك التي تشترك فيها جميع الكلمات، مثل السمة: «بشري»، وكذلك تلك السمات التي لا تنطبق على أي من الألفاظ كالخيار بين الذكر/ والانثى في حالة كلمة (Cousin) باللغة الانجليزية. بعبارة أخرى، علينا ألا نذكر من سمات معنى كل كلمة إلا ما

يميزها عن غيرها، بحسب هدف الدراسة اللغوية التي نقوم بها. فإذا لم نفعل ذلك، فإننا أحياناً لا نجد نهاية لعدد السمات التي يتوجب علينا أن نذكرها لنعطي المعنى الكامل للكلمة. وفي الواقع انا نجد كثيراً من الحشوفي تعريف كثير من المفردات في المعاجم المختلفة. انظر معنى كلمة (Giraffe) في ثلاثة أو أربعة من المعاجم الانجليزية مثلاً، لكي تتعرف على مقدار الاختلاف بين تعريف وآخر.

أهمية هذه الناحية للمترجمين :

على الرغم من أننا نعرف الان أن هناك كثيراً من الأمور المشتركة بين جميع لغات العالم (ه) إلا أننا ندرك أيضاً بأنه لا بد أن تكون المجتمعات التي تتحدث بلغات مختلفة قد قسّمت العالم، عالم الواقع، بطرق مختلفة (٦). وهذا لا ينطبق على عالم الظواهر الطبيعية فقط، بل يشمل أيضاً عالم الأفكار، والقيم، والمعتقدات. ومن ثم، فإننا لا نجد فقط كلمات في إحدى اللغات لا نجدها في لغة أخرى بسبب الاختلاف بين البيئتين الطبيعيةين، بل نلاحظ أيضاً فروقاً في حقول المعنى التي تغطيها كلمات تبدو متشابهة في اثنتين من اللغات مثلاً، بحسب السمات التي يشملها معنى كل من تلك الكلمتين. وهذه إحدى الحقائق التي تولد صعوبات كبيرة للمترجمين، وتسبب في كثير من الأخطاء الشنيعة. لنأخذ بعض الأمثلة على هذا الكلام.

فإذا عدنا الى حقل علاقات القرابة مثلاً ثانية، وجدنا أن بعض اللغات تفتقر الى كلمة واحدة تعادل كلمة «أخ» باللغة العربية مثلاً، لأن في هذه اللغات كلمة تدل على «الأخ الأكبر» وأخرى تدل على «الأخ الاصغر» بينما لا توجد كلمة واحدة تشمل المعنيين معاً. وإذا أخذنا مثلاً آخر من اللغة الانجليزية هو كلمة (nephew)، نجد صعوبة في ترجمتها الى اللغة العربية إلا اذا عرفنا ما اذا كانت الكلمة تشير الى ابن الاخ أو ابن

الاخت. وهذا ينطبق على كلمة (niece) أيضاً. كما أن من الضروري توضيح كلمة (uncle) و (aunt) باللغة الانجليزية، قبل أن نتمكن من ترجمتها الى عم أو خال / أو عمّة أو خالة. أما كلمة (Cousin) الانجليزية فإنها تسبب إرباكاً لمن يرغب في ترجمتها الى اللغة العربية. لنأخذ مثلاً آخر. ان الكلمات الانجليزية (seat) (bench) (sofa) (stool) (chair) كلمات محددة المعاني في تلك اللغة. والواقع أن الكلمة الاولى وهي (seat) تحتوي على سمات المعنى المشتركة بين جميع الكلمات الأخرى، ولذلك يمكن بالفعل استخدامها بدلاً من أي منها. أما في اللغة العربية فإن المرادف الظاهر لهذه الكلمة، وهي كلمة «مقعد»، لا يشترك في نفس السمات أو يستعمل في نفس السياقات، بل يبدو أن كلمة أخرى هي «مجلس» تقوم بهذه المهمة. أما مرادف كلمة (sofa) فهي «أريكة»، إلا أن كلمة «كرسي» باللغة العربية أكثر شمولاً من كلمة (Chair) الانجليزية. فهي تشمل «كرسي العرش» (Throne)، والكرسي الرسولي (The Apostolic See)، وكرسي المملكة أي عاصمتها (Capital)، إضافة الى كرسي العمود أي قاعدته (Base or Pedestal). ولا يبدو أن هناك مرادفاً لكلمة (bench) في العربية القديمة، إلا أن كلمة «دكة» الحديثة نسبياً أصبحت تستعمل بهذا المعنى. أما الكلمة الأخيرة (stool) فليس لها أي مرادف على الإطلاق، فنقول «كرسي بلا ظهر أو ذراعين».

ويمكننا بالطبع اعطاء أمثلة عكسية، أي كلمات عربية ليس لها مرادفات باللغة الانجليزية لأن هذه الظاهرة موجودة في جميع اللغات.

(ج) أما المدرسة التشكيلية فإن اصحابها يؤكدون على أهمية السياق الكلامي (verbal context) أي المحيط اللغوي الذي تقع فيه

كلمة ما. ولا شك أن السياق من أهم العوامل التي يمكن أن تميز بين المعاني المختلفة لكلمة معينة. لننظر الى الجمل التالية مثلاً، التي ترد في كل منها كلمة واحدة هي (chair)، ولكن بمعان مختلفة بحسب السياقات المختلفة):

1. He bought a **chair** at the furniture store (كرسي) —
2. He was condemned to the **chair**. (الكرسي الكهربائي) —
3. Please address the **chair**. (رئيس الجلسة) —
4. He was appointed to the **chair** of philosophy (وظيفة استاذ في جامعة)

كما أن المعاني المختلفة لكلمة «ساق» العربية مثلاً لا تظهر إلا في السياق:

— فإذا قيل: كسرت ساق الرجل، فهم أن الكلمة تعني ما بين الركبة والقدم في الإنسان.

— وإذا قيل: ساق الشجرة طويل ومستقيم، قصد بالكلمة جزء الشجرة ما بين الأصل والأغصان.

— وفي قول علي كرم الله وجهه في حرب الشراة: لا بد لي من قتالهم ولو تلفت ساقي، فالمقصود بكلمة «ساق» هو النفس.

— وإذا قيل: قامت الحرب على ساق، قصد أنها اشتدت.

— وعبرة: قام عليّ على ساق حتى أتم الأمر، قصد أن الرجل غني بالأمر واجتهد فيه.

— ويقال: بنى القوم بيوتهم على ساق واحدة، أي على صف واحد.

— كما يقال: مثلث متساوي الساقين، أي الضلعين.

وهلم جرا. (انظر المعجم الوسيط، ج ١، ص ٤٦٤).

كما يمكن للسياق أن يميز بين المترادفات مثل: (Bear & carry)، وبين الكلمات المتشابهة صوتاً، المختلفة معنى مثل

(flour / flower) أو المتشابهة صوتاً وكتابة والمختلفة المعنى
مثل (bank) (ضفة النهر) و (bank) (مصرف) . كما يلعب
السياق دوراً هاماً جداً في حل الغموض الذي يمكن أن يوجد في بعض
الجمل . فالجملـة الانجليزية She cannot bear children
جملة غامضة لأنها يمكن أن تعني إما :

١ - انها لا تستطيع انجاب الاطفال . (لأنها عاقرة) ، أو

٢ - انها لا تستطيع تحمل الاطفال . (لأنها لا تطيقهم) .

ويمكن حلّ هذا الغموض باضافة السياق اللغوي المناسب لكل من
المعنيين فنقول :

She cannot bear children because she is sterile

وهنا يكون المعنى : انها لا تستطيع انجاب الاطفال . كما نقول :

She cannot bear children when they cry

ويكون المعنى هنا : انها لا تطيق الأطفال .

لا نعتقد ان هناك داعياً لمزيد من التفصيل ، فالفكرة واضحة ، واهميتها
للمترجمين بينة جلية . ولكن لنا ملاحظتين في هذا المقام هما :

أولاً : ان كلا الطريقتين المذكورتين اعلاه مفيدتان ، وينبغي استخدامها
معاً (v) . والواقع ان هذا هو الاتجاه السائد في الوقت الحاضر . بل
أصبحوا الآن يدخلون بعض العناصر ليس من السياق اللغوي فقط ،
بل من المقام (context of situation) الذي يشمل
الموقف الفعلي الذي يقال فيه الكلام ، وذلك عند تحليلهم لمحمل
الكلام .

ثانياً : هذان المدخلان لدراسة المعنى وتحليله ليسا المدخلين الوحيدين
المستخدمين ، بل هناك مداخل أخرى ، كما سيتضح في الحال .

٢ - المعنى الحضاري : (Cultural Meaning) :

كثيراً ما يستخدم هذا التعبير للإشارة الى جميع أنواع المعنى الأخرى — باستثناء المعنى المعجمي، والمعنى القواعدي — التي لها علاقة برود الفعل العاطفية للكلمات. ولكن، بما أن هناك على الأقل مظهراً واحداً من مظاهر المعنى يمكن عزله ومعالجته على اعتبار أنه لا علاقة له بالعواطف أو بالحضارة، بينما هناك مظاهر أخرى لها علاقة بالحضارة، وليس لها علاقة بالعواطف، فأنا أفضل الإبقاء على هذا المظهر منفصلاً، على أن نقيم مظهراً آخر ندعوه المعنى الاجتماعي ونعالجه على حدة أيضاً.

لنحاول أولاً إيضاح ما نعنيه بكلمة حضارة (Culture) كما تستعمل في علوم اللغة في العصر الحاضر، وكما سنستخدمها في هذا المقال. فقد حدد عالم اللغة ساير (٨) كما حدد ادوارد هول عالم الانثروبولوجيا معنى هذه الكلمة بأنها تشير الى «حياة شعب من الشعوب»، أي الى مجموع نماذجه السلوكية المكتسبة، والى مواقفه من الأشياء والأفكار، كما تشير الى الامور المادية الأخرى (٩)، أي أنها، باختصار وتعنى مجمل أسلوب الحياة الذي يعيشه مجتمع لغوي، أي مجتمع يتكلم لغة معينة. وهذا المعنى، فإن اللغة تصبح في نفس الوقت مؤشراً الى حضارة مجتمع معين، كما تصبح واحدة من وظائفه المتعددة.

لقد أصبح من الثابت الآن، نتيجة للدراسات النظرية والتجريبية، ان جهل الإنسان بحضارة أجنبية — بالمعنى الواسع للكلمة المذكورة بأعلاه — يكون عقبة أكيدة تحول دون فهمه لذلك الشعب الذي يعيش تلك الحضارة (١٠). كما ثبت بأن هذا الجهل يعيق تعلم اللغة الأجنبية التي يتكلمها ذلك الشعب (١١). وقد جرت دراستان حديثتان على الأقل لتأكيد هذه المقولة بالنسبة للطلاب العرب الذين يتعلمون اللغة الانجليزية كلغة أجنبية (١٢).

ولكي نوضح وجهة النظر هذه، لا نجد داعياً حتى للإشارة إشارة عابرة الى ذلك الحقل الواسع جداً من السلوك غير اللغوي (الذي يسميه ادوارد هوبس: «اللغة الصامتة»). كما أننا سنتجاهل الجدل الذي بدأه بنيامين وورف (وما زال مستمراً) بقوله أن بُنية اللغة نفسها تشير الى أنماط حضارية وفكرية خاصة بالشعب الذي يتكلم تلك اللغة. ولن نعرض هنا إلا إلى ناحية معروفة لدى الجميع، وهي ناحية المفردات (vocabulary).

فبادئ ذب بدء، من الطبيعي — ما دامت اللغة بوجه عام، والمفردات بوجه خاص، تعمل كمؤشر للحضارة — ألا تتوافر مفردات في لغة ما تشير الى أشياء وأمور غير موجودة في تلك الحضارة، سواء كانت أشياء حسية، أو أنماطاً سلوكية، أو مفاهيم وأفكاراً الخ.. وإذا وجدت تلك المفردات، فإن دلالاتها تكون عامة جداً. كما أن العكس صحيح أيضاً، أي إذا كان لذلك المجتمع اهتمامات خاصة في نواح معينة من البيئة أو السلوك البشري الخ، فمن الطبيعي أن تتكاثر المفردات التي تدل على تلك النواحي. فلدى مجتمع الاسكيمو، مثلاً، عدد كبير من المفردات التي تدل على أنواع مختلفة من الثلج والجليد يصعب ترجمتها الى لغات أخرى، كاللغة العربية أو لغات الأقوام الأخرى التي تعيش في بلاد لا تعرف حتى الثلج الطبيعي المتساقط من السماء. ولماذا نبتعد كثيراً لنوضح كلامنا؟ فبإمكاننا أن نجد في معجم للمترادفات الانجليزية مثل، معجم روجيت (Roget's Thesaurus) أكثر من ألف كلمة تشير الى البحر، والسفر في البحر وما الى ذلك (١٣)، بينما نجد في معجم عربي مشابه (هو فقه اللغة للثعالبي) مائتين وعشرين كلمة تدل على البيئة الصحراوية (١٤)، وتسعين كلمة تدل على الخيل (١٥) ومائة وتسع كلمات تدل على الجمال (١٦)، وثلاثين كلمة تدل على الشعاب (١٧). وجميع هذه الأشياء كانت، ولا تزال، ذات أهمية بالغة بالنسبة للعربي البدوي الذي يعيش في الصحراء.

لا داعي للاستطراد في اعطاء الأمثلة، فالفكرة واضحة، ولا نعتقد أنها بحاجة الى مزيد من الاثبات. إلا أن هناك ثلاث مناطق لغوية، تبرز فيها صعوبات خاصة للمترجم، بسبب من تشعبها بالمعنى الحضاري، وتستحق الإشارة السريعة اليها في هذا المقام. وهذه المناطق هي:

(أ) **الكتابات الأدبية والنصوص الدينية**: وهذه تكون عادة مكتظة بالاشارة التاريخية، والخرافية، والدينية، والادبية.

(ب) **العبارات الاصطلاحية (idioms) والأمثال**: انظر مثلاً الى العبارات الانجليزية التالية بعين المترجم من الانجليزية الى العربية:

bold as a coot/ cold as charity/ drunk as a fiddler/ drunk as a Lord/
proud as Lucifer/ Warm as a toast/ etc.

أو الى العبارات العربية التالية، بعين المترجم الى لغة أجنبية: وعند جهنمة الخبر اليقين/ كالمستجير من الرمضاء بالنار/ مواعيد عرقوب/ كمجير ام عامر/ ترك الحبل على الغارب/ الحديث ذو شجون/ .. الخ.

<http://Archivebeja.Sakhrit.com>

(ج) **الكلمات المحرمة (Taboo)**:

ونعني بهذه الكلمات تلك التي يجري تجنبها والاستعاضة عنها بكلمات يعتقد بأنها أكثر تهدياً. هذا حقل معروف جيداً، ولا نجد داعياً للتفصيل فيه، بل سنقتصر على ايراد مثل أو مثلين لإيضاح الفروق بين الحضارات المختلفة.

ففي المجتمعات اليهودية والمسيحية مثلاً يتجنب الناس استخدام اسم الله أو ذكره إلا في المناسبات الجدية جداً. أما في المجتمعات الاسلامية فإن الأمر بعكس ذلك تماماً، فإن لفظ الجلالة يستخدم بكثرة، بل لا تكاد جملة تخلو منه، ويعتبر ذكر الله في هذه المجتمعات جالباً للبركة. كما أن الظاهرة التي كانت واضحة في معظم البلدان العربية حتى وقت قريب والتي ما

زالت شائعة بين بعض قطاعات الشعب حتى الان، هي تجنب ذكر اسم الزوجة أو حتى النطق بلفظة «زوجتي» «أو مراتي»، والاستعاضة عن ذلك بتعابير أخرى مثل «الجماعة» أو «العيال» أو «أهل البيت» أو حتى «الحرمة» أو «بعيد عنك» وما شابهها. وهذا يذكرنا بالعصر الفكتوري في بريطانيا عندما كان استخدام كلمة «رجل» محظوراً حتى لو لم تكن تشير الى المرأة بل الى الطاولة مثلاً كقولنا: «رجل الطاولة». (The leg of the table).

أما انعكاس المعنى الحضاري على عملية الترجمة فهو أمر واضح جداً، ولا داعي لأن نذكره بالتفصيل في هذا المقام.

٣ - المعنى الاجتماعي (Social Meaning) :

واقصد بهذا التعبير في هذا المقام أموراً ثلاثة هي :

١ - إن نوع اللغة التي يستخدمها فرد من الأفراد غالباً ما تعكس بوضوح ثقافته، ومهنته، وسنه، ودينه، وجنسه (ذكراً كان أم انثى) والقطر أو البلدة أو المنطقة التي ينتمي اليها، كما انها كثيراً ما تعكس وضعه ومركزه الاجتماعي. وهذه المعاني جميعاً معايير اضافية تظهر في كلام المتحدث، بالاضافة الى المعاني الأخرى المذكورة سابقاً.

٢ - كما أن أسلوب الكلام (register) الذي يستخدمه المتكلم يدل في معظم الأحيان على العلاقة الاجتماعية القائمة بين المتحدثين. لقد تمكن الدارسون حتى الان من تحديد خمسة أساليب على الأقل، ومن وُصف كل منها وصفا تفصيلياً. وهذه الأساليب هي : الاسلوب الجاف، والاسلوب الرسمي، والاسلوب غير الرسمي، والاسلوب العادي، والاسلوب الودي الحميم (١٨). وتتضمن هذه الاساليب بالطبع طريقة المخاطبة. وهي تختلف من مجتمع الى آخر، وتخلق صعوبات

كبيرة أمام المترجمين. وفيما يلي وصف موجز لهذه الأساليب الخمسة، كما هي مستخدمة في اللغة الانجليزية:

(أ) الأسلوب الجاف (frozen) يكون في العادة موضوعياً لا دخل لشخص المتكلم أو المتحدث فيه، ويبدو فيه عدم الاكتراث بشخص المخاطب. فالعلاقة هنا بين المتحدثين علاقة رسمية جداً.

(ب) الأسلوب الرسمي (formal) يستخدم عند التحدث في موضوع جدي مع مجموعة من الناس معظمهم غرباء بالنسبة للمتحدث.

(جـ) الأسلوب غير الرسمي (informal) يمكن أن يستخدم في نفس المقام السابق المذكور في (ب) اعلاه، ولكن المستمعين في هذه الحالة معروفون للمتحدث.

(د) الأسلوب العادي (casual) هو أسلوب الكلام المستخدم بين الاصدقاء والمعارف الذين قلما تستعمل معهم جمل تامة، بل تستخدم أشباه جمل، ومفردات فقط في كثير من الأحيان.

(هـ) الأسلوب الودي الحميم (intimate) هو أسلوب الكلام المستخدم في المنزل بين أفراد الأسرة الواحدة.

وعلى الرغم من أن هذه الأساليب الخمسة تنطبق على جميع المجتمعات تقريباً إلا أن الكلام المستخدم في كل منها، والتعابير، والكليشيات وغيرها، تختلف اختلافاً كبيراً من مجتمع الى آخر. ويمكن للقارئ أن يتصور مدى الصعوبة التي يقابلها المترجم اذا اضطر الى نقل طرائق الخطاب التالية من اللهجة المصرية الى أية لغة أجنبية كالانجليزية مثلاً:

ياسي (محمد)، يا فندي، يابيه، ياسطى، ياريس، ياعم، ياحج، ياأخ، يامعلم، ياولد، يانت، يااستاذ، يامحمد، يابوحيد، ياخالى، ياخى، ياأخينا، ياسيد، انت، الخ.

٣ — اللغة تتكون من أشكال ذات وظائف، ومعظم هذه الوظائف اجتماعية في طبيعتها. والواقع ان كثيراً من التعابير والمصطلحات اللغوية ليست لها وظيفة أخرى غير إقامة وتقوية الترابط الاجتماعي كأنواع التحية، وكثير من الكليشيات، والدردشة، وكلفة الطقوس الدينية في بعض المجتمعات.

وهنا ايضاً، مع أن في كل لغة من اللغات الامكانيات اللازمة للتعبير عن جميع الوظائف اللغوية، إلا أن الأشكال اللغوية التي تستخدم ربما تختلف كثيراً أو قليلاً ما بين لغة وأخرى، بكل ما يعنيه ذلك من المشاكل والصعوبات بالنسبة للمترجمين.

(٤) المعنى البُنْيَوِيّ (النحوي / الصرفي)

(Grammatical or Structural meaning)

ان ما نرمي الى ايضاحه هنا هو ما يلي:

- ١ — إن لبُّيَّة اللغة (أي لقواعدها) معنى خاصاً.
- ٢ — ان نفس التركيب اللغوي يمكن أن يعبر عن عدد من العلاقات النحوية، وتبعاً لذلك فإن له معاني مختلفة؛
- ٣ — ان نفس المعنى يمكن التعبير عنه بأشكال مختلفة من البُنْيَى اللغوية.

- ٤ — ان المعنى يكمن في أصل الجملة (Kernel Sentence) أي في البنية العميقة للجملة.
 - ٥ — ان على المترجم، لكي يصبح قادراً على فهم وترجمة بعض الجمل المعقدة من ناحية البنية، ان يستخدم طريقة خاصة لهذا الغرض.
- لنبدأ الان بالنقطة الأولى.

١ — للقواعد معنى:

أولاً: ان معاني بعض الجمل تتغير بتغير مبناها دون أي تبديل في مفرداتها،

كاجملتين العربيتين :

رأى عيسى موسى / رأى موسى عيسى

أو كاجمل الانجليزية التالية :

a. Tom hit Bill / Bill hit Tom

b. Naturally he did it/ He did it naturally

c. Did you go?/ You did go?

وأكثر ما ينطبق هذا على اللغات غير المعربة ، ولكن الأمثلة عليه متوافرة حتى في لغة معربة كاللغة العربية ، كالجمل المذكورة اعلاه والجمل التالية ، وكثير غيرها .

هذا أخي يدرس معكم / أخي يدرس هذا معكم

لا . في البيت رجل / لا رجل في البيت

ثانياً : ان قصيدة (Jabberwocky) الشهيرة التي وردت في كتاب لويس كارول الذي عنوانه «من خلال المرأة» ، والتي تتكون في معظمها من كلمات خنفسارية لا معنى لها ، ولكنها منظومة على الطريقة الانجليزية في تركيب الجمل ، كما يظهر لمن ينظر فيها ملياً :

'Twas brillig, and the slithy tones,

Did gyre and gimble in the wabe,

All mimsy were the borogoves,

And the mome raths outgrabe. (etc.)

ان هذه القصيدة لا تحتوي من اللغة الانجليزية إلا على سوابق ولواحق أو كلمات صغيرة معانيها المعجمية قليلة جداً ، ولكنها تستخدم كثيراً في المساعدة على تركيب الكلمات في جل أو المعلمة بالأسود الخ حسب الطباعة . أما باقي الكلمات من أسماء وأفعال وصفات .. الخ . فهي ليست انجليزية ، ولذلك فلا معنى لها البتة . ومع ذلك فإن من يقرأ القصيدة (وهو ملم باللغة الانجليزية طبعاً) يمكنه أن يفهم شيئاً منها ، وما هذا إلا المعنى الناتج عن علاقة الكلمات النحوية بعضها ببعض . أي المعنى النحوي .

٢ - لعل من أفضل الأمثلة على التركيب اللغوي الواحد الذي ينطوي بالفعل على علاقات نحوية متعددة، تركيب الاضافة في اللغة العربية وما يماثلها باللغة الانجليزية .
لننظر معاً الى الأمثلة التالية :

التركيب	العلاقة النحوية موضحة في الاصل
ارادة الله	الله يريد
خراب العالم	شخص ما (أو شيء ما) يخرب العالم
كلمة الشرف	الكلمة هي الشرف
حاكم البلاد	شخص ما يحكم البلاد
بحيرة جنيف	البحيرة في جنيف
يوم الحساب	اليوم الذي يحاسب فيه الناس
مكان الاجتماع	المكان الذي سيعقد فيه الاجتماع
خادم الشعب	(هو) يخدم الشعب
روايات توفيق الحكيم	توفيق الحكيم كتب الروايات
رغيف الخبز	الرغيف مصنوع من الخبز

ان تركيب الاضافة في لغة ما، ليس من الممكن بالضرورة ترجمته الى نفس التركيب في لغة أخرى، ولذلك فإن على المترجم أن يفهم العلاقات النحوية التي تقوم بين مفردات ذلك التركيب لكي يتمكن من ترجمته الى اللغات المختلفة .

٣ - لعل من البديهي القول بأن المعنى الأساسي الواحد يمكن التعبير عنه بتراكيب لغوية مختلفة. ولذلك فانا نكتفي بمثال واحد هنا، فالجمل التالية جميعها تؤدي المعنى الاساسي ذاته .

- اشترى محمد منزلاً.
- اشترى منزل محمد.
- هذا هو البيت الذي اشتراه محمد.
- هذا هو البيت الذي تم شراؤه لمحمد.
- ان ما اشتراه محمد هو المنزل.
- محمد هو الذي اشترى المنزل.
- ان الشخص الذي اشترى المنزل هو محمد.
- تم شراء منزل لمحمد.
- انه لمنزل ذاك الذي اشتراه محمد.
- محمد اشترى منزلاً.
- اشترى لمحمد منزل ... الخ.

لا شك أن من الممكن التعبير عن المعنى الأساسي لهذه الجمل جميعاً في جميع لغات العالم، إلا أن الصعوبة هنا تكمن في نقل ظلال المعنى التي تعبر عنها هذه الجمل إلى اللغات الأخرى، لأن من المحتمل جداً أن تعبر عنها تلك اللغات بطرق مغايرة.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

٤ — ان نظرية القواعد التحويلية التوليدية

(Generative Transformational Grammar) التي بدأها

تشومسكي تقول ان من الممكن ارجاع أي تركيب لغوي مهما بلغ تعقيده الى أصل بسيط (kernel). بل ان جميع الجمل المستخدمة في لغة ما يمكن ارجاعها الى عدد محدود جداً من أصول الجمل البسيطة، دعاها (kernels)، وان الجمل الأكثر تعقيداً مشتقة من هذه الأصول عن طريق قواعد تحويلية (Transformations). كما تقول النظرية بأن معاني الجمل تكمن في أصولها، حيث تتضح علاقات المعنى تماماً.

ليس هذا مجال بحث النظرية أو مناقشتها أو معارضتها كما يفعل الكثيرون هذه الأيام (١٩) .

ولكن يجب الاعتراف بأن هذه الناحية من النظرية تعتبر أهم ما قدمته النظرية برمتها الى علم اللغة الحديث، وانها ما زالت بين مؤيد ومعارض حتى اليوم رغم مضي قرابة ربع قرن على بدء المناقشة بها .

وربما كان من المفيد هنا أن نذكر أصول الجمل التي تقول النظرية أن جميع جمل اللغة الانجليزية يمكن ارجاعها اليها : وهذه هي :
(أ) الجملة المؤلفة من فعل لازم وفاعله .

a. John wrote quickly.

(ب) الجملة المؤلفة من فعل متعدد وفاعل ومفعول به .

b. John ate an orange.

(ج) الجملة المؤلفة من فعل متعدد لمفعولين وفاعل ومفعولين .

c. John gave Tom an apple.

(د) الجملة المؤلفة من مبتدأ خبره ظرف أو شبه جملة .

d. John is in the market.

<http://Archivebeta.Salghrit.com>

(هـ) الجملة المؤلفة من مبتدأ خبره صفة .

e. John is ill.

(و) الجملة المؤلفة من مبتدأ خبره اسم عام .

f. John is a man.

(ز) الجملة المؤلفة من مبتدأ خبره اسم محدد (٢٠) .

g. John is my father.

٥ — يقول /يوجين نايدا/: «من وجهة نظر المترجم، هناك شيء أهم من وجود أصول بسيطة للجمل في كل لغة من لغات الأرض، ألا وهو أن اللغات تتفق وتشابه على مستوى هذه الأصول أكثر بمراحل من اتفاقها وتشابهها على مستوى الجمل الطويلة المعقدة. وهذا يعني

اننا اذا استطعنا ارجاع الجمل المعقدة الى أصولها، فإن بإمكاننا أن نترجمها بسهولة أكبر مما لو لم نفعل، وبأمانة أكثر». وهذا هو المبرر الذي يتخذ هذا العالم المختص بالترجمة للدفاع عن الطريقة التي يوصي بها للقيام بعملية الترجمة. وهذه الطريقة تتكون من خطوات ثلاث هي:

(أ) ارجاع الجمل في اللغة التي نترجم منها الى أصولها، سعياً وراء فهم كامل لمعانيها.

(ب) نقل المعاني الى أصول الجمل في اللغة التي نترجم اليها بأقل ما يمكن من التغيير، آخذين بعين الاعتبار الاختلاف في الاصطلاحات، والأمثال، والأساليب البلاغية، والتعابير المقننة والكلشيات وما إليها.

(ج) إعادة تركيب الرسالة بموجب البنى الخارجية للغة التي نترجم إليها، مع الاهتمام الخاص بالأبعاد الإضافية المختلفة للمعنى الذي يمكن أن تتضمنه الجمل في اللغة الأولى، بالإضافة الى الأسلوب المستخدم في النص الأصلي.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

هذه هي الطريقة التي يقترح يوجين نايدا وغيره ان نستخدمها للاستفادة من المفاهيم الجديدة التي قدمتها لنا نظرية القواعد التحويلية التوليدية.



لقد كنا حتى الان نبحث في طبيعة الترجمة من ناحية المضمون أو الرسالة بشكل رئيسي. وقد آن الآوان لكي نلتفت الى الشكل أو الاسلوب المستخدم في كل من النصوص المختلفة، وأن نوسع مجال بحثنا بحيث يشمل الكلام المتصل (discourse) بعد أن كان حتى الان مقتصرأ على الجملة الواحدة تقريباً.

ثانياً : الشكل : الأسلوب :

على الرغم من أن أهم ما يجب أن يشغل المترجم نفسه به هو المضمون أو الرسالة التي يرغب الكاتب في إيصالها الى القارئ، أو التحدث في إيصالها الى المستمع، فإن بعض أنواع الكلام أو الكتابة، كالأدب والأدب الشعبي والدين، يتميز كل منها بأسلوب خاص، يكون في كثير من الأحيان جزءاً لا يتجزأ من الرسالة نفسها. وفي مثل هذه الحالات، ينبغي ألا يورط المترجم نفسه في عمل من هذا النوع إلا إذا أنس في نفسه الكفاءة والمقدرة التامة على القيام بالعمل. لأن هذه الترجمة تتطلب قدرات معينة، وخلفية معينة، وتدريباً خاصاً للقيام بها، كما أن من الواجب أن يتخذ قرار مبدئي في نوع الأسلوب الذي ينبغي استخدامه في الترجمة، وذلك قبل البدء بالعمل أصلاً.

ان مبحث الأسلوب مبحث واسع جداً ويتطلب جهداً خاصاً ومجالاً أوسع من المجال الحالي لاعطائه حقه كاملاً، ولذلك فلن يمكننا في هذه المعالجة سوى أن نبدي بعض الملاحظات السريعة وأن نثير بعض الأسئلة التي نأمل أن نتمكن نحن أو غيرنا من المحققين من الأجابة عليها في فرصة أخرى قريبة.

(١) أنواع ومميزات الكلام المتصل :

الكلام المتصل (discourse) إما أن يكون نثراً أو شعراً.
أ — أما النثر، فيمكن القول بوجه عام أنه ينقسم الى أربعة أنواع هي :
الوصف، السرد، الجدل، العرض أو التقرير. والأخير يشتمل في العادة على واحد أو أكثر من الأنواع الأخرى.

وهناك بعض الصفات التي يتميز بها الكلام المتصل، والتي تبدو شائعة في معظم اللغات : كطرق البدء في البحث والانتهاه منه، وكطرق التعبير عن

العلائق الزمانية والمكانية والمنطقية الخ . ومع أن هذه الصفات تبدو واحدة في لغات كثيرة، إلا أنها ليست كذلك في الواقع، كما يدل على ذلك أي بحث مقارنة بين أساليب البلاغة العربية والانجليزية مثلاً. ولا تختلف اللغات في أنواع الثرفقط، بل يتعدى الاختلاف ذلك الى الأهمية الوظيفية لكل من تلك الأنواع. ومثال ذلك أن الشعر القصصي الملحمي (epic poetry) كان يستخدم عند الاغريق القدماء لوصف الأحداث الهامة. ولكنه لم يعد يستخدم لذلك في وقتنا الحاضر، ولذلك يعتقد يوجين نايدا، أن أفضل ترجمات الشاعر الاغريقي هوميروس في عصرنا الحاضر هي الترجمات الشعرية لا الشعرية (٢٢).

ولكن لعل أهم فرق بين الكلام المتصل المنثور في اللغات المختلفة يكمن في الطريقة التي يُعرض فيها موضوع البحث ويطور في كل من تلك اللغات. وعلى الرغم من أننا يمكن الا نتفق مع كابلان في وصفه لتلك الطرق، إلا أن الأشكال التالية التي يعبر بها عن تلك الطرق جديدة بالدراسة وباهتمام المترجمين بشكل خاص. (٢٣)

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>



(ب) أما الشعر أو اللغة الشعرية بوجه عام، فإنها تتميز بصفات مشتركة مثل: وحدة الموضوع، والجدة والابتكار في استعمال اللغة، وبساطة التركيب. إلا أن الميزة التي تولد صعوبة خاصة للمترجمين، علاوة على أسلوب الشعر، هي مدى تعقيد اللغة الشعرية بمعنى أنها تتميز بمستوياتها المختلفة سواء من حيث الجرس، أو الصرف، أو النحو، أو اختيار المفردات،

أو المعاني. وهنا نلاحظ عادة مستويين من المعنى: المعنى الحرفي، والمعنى المجازي، كما نلاحظ تلاعباً بالألفاظ يكاد يستحيل ترجمته في معجم الأحيان.

(٢) مكونات الأسلوب:

وهنا لا يمكننا ذكر أي من التفاصيل. بل يكفي القول أن أسلوب الكلام المتصل يتأثر بعدة عوامل منها: البنية الخاصة للغة المستخدمة، وغنى اللغة بالمفردات أو فقرها فيها مع ميل مفردات كل لغة إلى التركيز على جوانب هامة من حياة المجتمع، ومراكز اهتمامه الخاصة، والعوامل المختلفة التي تكون في مجموعها حضارة ذلك المجتمع، علاوة على الغرض من كتابة النص النثري أو الشعري، والناس الذين يُخاطبهم ذلك النص... وعوامل أخرى كثيرة. وهذه العوامل هي التي تلون الأسلوب، وتضفي عليه طابعه الخاص، وهذا الكلام ينطبق على جميع اللغات بلا استثناء.

(٣) أنواع الأساليب:

ونتيجة للعوامل المختلفة التي ذكر بعضها باعلاه، فإن الأسلوب يمكن أن يكون موضوعياً جامداً، أو رسمياً، أو ودياً.. الخ (أنظر اعلاه)، كما يمكن أن تستخدم فيه تراكييب ومفردات لا تناسب إلا الأطفال أو النساء أو العجزة الخ. كما يمكن أن يكون الأسلوب أدبياً أو رمزياً، أو يعبر عن لغة فئة معينة من فئات المجتمع، (كلغة الملونين في امريكا مثلاً)، أو لهجة خاصة الخ، كما يمكن أن يكون بعيداً عن اللغة المتعارف عليها لدرجة أن أجزاء من الجمل، لا جهل كاملة تستخدم فيه (كما هو الحال في كتابات جيمس جويس، باللغة الانجليزية).

(٤) كيف نعالج الأسلوب عند الترجمة؟

ان من الواضح أن بعض أنواع الأساليب أيسر ترجمة من غيرها، فليست هناك صعوبات تذكر، مثلاً، في ترجمة اللغة العلمية أو التاريخية، سوى في

استخدام بعض المصطلحات الخاصة جداً. إلا أن لغة القرآن الكريم مثلاً أو لغة الشعر العربي القديم، بل الحديث منه أيضاً، لغة يصعب ترجمتها الى اللغات الأخرى. وهذا ينطبق على روايات شكسبير مثلاً وعلى معظم الشعر الأجنبي عند محاولة ترجمته الى اللغة العربية.

ونود أن نقترح هنا أن الأسلوب المستخدم في الترجمة ينبغي أن يعتمد على ما يلي:

أ — الأسلوب المستخدم في الأصل.

ب — الجمهور الذي وجه اليه الأصل، مقارنة بالجمهور الذي ستوجه اليه الترجمة.

ج — الهدف من الترجمة.

وعلى ضوء هذا يتقرر نوع الأسلوب الذي يستخدم في ترجمة النص.

ثالثاً: الخلاصة:

في نهاية هذا البحث، نود أن نثير بعض الاسئلة، التي أصبحت الأجابة على بعضها واضحة مما ورد حتى الان، بينما تبقى اسئلة أخرى معلقة، مؤقتاً على الأقل، وهذه الاسئلة هي:

(أ) ان اتقان لغة واحدة اتقاناً تاماً، حتى لو كانت اللغة القومية، واتقان حضارتها أمر عسير للغاية، كما أن اتقان لغة أخرى وحضارتها أمر أكثر عسراً، ولكن إتقان لغتين وحضارتين يكاد يكون أمراً متعذراً. إلا أن هذا الاتقان هو بالضبط ما تتطلبه عملية الترجمة الممتازة، وما هو مطلوب توفره في المترجم الممتاز. وهذا هو ما كنا نحاول حتى الان إيضاحه في هذا البحث، وهو أن عملية الترجمة لا تتطلب فقط معرفة وثيقة جداً بمحور اهتمام علماء اللغة في العصر الحاضر، بل تتطلب أيضاً معرفة وثيقة جداً بما يهتم به الأدباء والنقاد والمختصون في الأساليب في عصرنا الحاضر. أليس هذا كافياً لكي يوضح

(Machine translation) الأسباب التي تمنع الترجمة الآلية)
من حل المشكلة ؟

(ب) كثيراً ما يقال، دون تفكير عميق، أن أفضل أنواع الترجمة هي تلك الترجمات التي تبدو كأنها نصوص أصلية غير مترجمة، ولكن ما مدى صحة هذا القول في ضوء ما ذكر باعلاه ؟ بل هل مثل هذه الترجمة ممكنة أو حتى مقبولة في الحالات التي يكون فيها أسلوب النص الأصلي مهماً بالنسبة لذلك النص ؟

(جـ) وأخيراً، ألا يجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار أكثر من أي شيء آخر نوعية الجمهور الذي ستوجه اليه الترجمة، وذلك عندما نكون في مرحلة اتخاذ القرار المبدئي بالنسبة لنوع الأسلوب الذي سنستخدمه في ترجمتنا ؟ فلدينا مثلاً ترجمات لشعر هوميروس باللغة العربية الفصحى وبأسلوب أدبي رفيع . ولكن اليس من المنطقي أن نترجم هوميروس أيضاً الى الشعر النبطي أو الشعر العامي، أو اللهجات العربية المختلفة، لكي نوجه الترجمة الى نفس الجمهور الواسع الذي يستمتع الى سيرة عنترة بن شداد وابي زيد الهلالي اللتين تشبهان شعر هوميروس الى حد كبير من حيث المضمون ومن حيث الجمهور الذي وجهت اليه كل من تلك الآثار الأدبية الخالدة ؟ بل، ألا ينبغي علينا، في الواقع، أن نستخدم أساليب مختلفة في ترجمة نفس النص، وذلك بموجب الجمهور الذي ستوجه الترجمة اليه ؟

نعتقد أن علينا أن نتوقف هنا ونترك للقارئ الكريم فرصة للتفكير في هذه الاسئلة، وكلنا أمل أن نكون قد تمكنا في اطلاعه على بعض العناصر الهامة التي تتكون منها عملية الترجمة .



1. See: Eugene Nida, **The Theory and Practice of Translation**, (Leiden: Brill), 1974.
2. "Discourse" means here: connected speech, paragraph or longer.
3. See: J. Katz and P.M. Postal, **An Integrated Theory of Linguistic Description** (M.I.T. Press), 1976.
4. Pyles/Algeo, **English: an Introduction to Language**. (N.Y., Harcourt, Brace), 1970, p. 197.
5. See: (a) J. Greenberg, **Language Universals** (The Hague: Mouton), 1966.
(b) ———, (ed) **Universals of Language** (M.I.T Press), (M.I.T. Press), 1968.
6. E. Sapir, **Culture, Language and Personality**: ed. by Mandelbaum, (Berkley & L.A. University of California Press), 1949. pp. 65-77.
7. D. Bolinger, **Aspects of Language** (N.Y. Harcourt, Brace & World) 1968, p. 246.
8. Sapir, op. cit., pp. 78-119.
9. Edward Hall: **The Silent Language** (N.Y. Doubleday), 1959. pp. 43.
10. See for instance:
 - a. Dell Hymes (ed.) **Language in Culture and Society** (N.Y. Harper & Row), 1966.
 - b. Edward Hall, op. cit.
 - c. Sapir, op. cit.
 - d. Lee Whorf, **Language Thought and Reality**, ed J.B. Carroll, (M.I.T. Press), 1969.
 - e. J. Bram, **Language and Society**, (N.Y., Random House), 1955.
11. See: a. R. Lado, **Linguistics Across Cultures**, (Univ. of Michigan Press), 1968.
b. ", **Language Teaching** (McGraw Hill), 1964.
c. ", **Language Testing** (Longman), 1962.
12. See: a. H.B.M. Al-Sawaf, **An Investigation into the Cultural Problems Associated with the Teaching of English Literature Texts prescribed for Iraqi Secondary School Pupils**. (Univ. of London, Ph.D. Thesis), 1968.
b. N.N. Kharma, **Some Cultural and Linguistic Problems** (Univ. of London, Ph.D. Thesis), 1972 pp. 27-85.
13. Roget's Thesaurus, (Longman), 4th ed., 1963, 167-169 & 214-216.
14. Al-Tha'aliby, Abu Mansur, **Fiqh Al-Lughah** (Cairo) 1954, pp. 264-274.
15. Ibid, pp. 150-154.
16. Ibid, pp. 155-158.
17. Ibid, pp. 159-160.
18. See: Martine Joosse, **The Five Clocks** (Indian Univ.), 1962 and Eugene Nida, op. cit. pp. 128-129.
19. See: (a) R. Hudson, **Arguments for Non-Transformational Grammar** (Univ. of Chicago Press), 1976.
(b) Robinson: **The New Grammarian's Funeral** (C.U.P.) 1977.

20. Nida, op. cit., p. 40
21. Ibid, p. 33, and chapter 7, pp. 121-162.
22. Ibid, p. 133
23. Robert B. Kaplan, "Cultural Thought Patterns in Inter-Cultural Education," *Language Learning*, Vol. XVI, Nos. 1 & 2, p. 15.

In addition to those references mentioned in the notes, here is a select bibliography of relevant material.

1. Andreyer, N.D.: "Linguistic Aspects of Translation"; in H.G. Lunt (ed), *Proceedings of the Ninth International Congress of Linguists*, (The Hague: Mouton), 1964.
2. Arrowsmith, W. & R. Shattuck (eds.) *The Craft and Context of Translation* (N.Y. Doubleday, Anchor Books), 1964.
3. Bolinger, D. : "The Atmoization of Meaning", *Language* 41 pp. 555-573.
4. Catford, J.C. : *A linguistic Theory of Translation*, (London: O.U.P.) 1965.
5. Fodor, J. & J. Katz: *The Structure of Language* (N.J. Prentice-Hall) 1964.
6. Lamb, Sydney: "Kinship Terminology and Linguistic Structure." in E.A. Hammel (ed.): *Formal Semantic Analysis* (Special Publication of American Anthropologist 67, No. 5, part II) 1965.
7. Lyons, J. : *Structural Semantics* (Oxford: Blackwell), 1963.
8. Nida Eugene: *Towards a Science of Translation*, (Lieden: Brill), 1964.
9. Nida Eugene: *Language Structure and Translation*, (Stanford Univ. Press), 1975.
10. Nilsen, L & A.P. Nilsen: *Semantic Theory* (Newbury House), 1975.
11. Palmer, F.R.: *Semantics* (London: Cambridge Univ. Press), 1976.
12. Sapir, E.: *Language* (N.Y. Harcourt Brace), 1921.
13. Savory, Theodore: *The Art of Translation*, (London: Jonathan Cape), 1969.
14. Sebeok, Thomas (ed.): *Current Trends in Linguistics*, Vol. III. (The Hague: Mouton), 1966.
15. Ullmann, S.: *Semantics* (Oxford: Basil Blackwell), 1962.
16. Vygotsky, L.S. *Thought & Language*, By E. Hanfman & G. Vakar, (Cambr. Mass: M.I.T. Press), 1962
17. Weinrcieh, Uriel: "On the Semantic Structure of Language" in J. Greenberg (ed.): *Universals of Language* (M.I.T. Press) 1963.



الترجمة

ومعوقات التكافؤ

د. محمد اكرم سعد الدين

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

مدخل*:

«لو أننا ترجمنا المصطلح اللغوي الانكليزي (Context of Culture) على أنه (الاطار الحضاري)، لجردنا ذلك المصطلح من بعض ما فيه من مضامين، ولاضفنا عليه من انثروبولوجية الأمة العربية مضامين ليست فيه. لذلك فإن المنطق يضطرنا الى تفكيك كلمة (Culture)

• ترجمة المصطلحات والنصوص الواردة في هذا البحث هي من ترجمة كاتب البحث.

الى عناصرها الأولية، وتوسيع ترجمة ذلك المصطلح لتصبح (اطار عادات وأعراف ومعتقدات وثقافة مجموعة بشرية ما). وفي هذه الترجمة نجد أن اللغة المصدر قد تعرضت لفقد كمي في اقتصادها اللغوي، في حين تعرضت اللغة الهدف لانفلاش كمي في اقتصادها اللغوي. في مثل هذه الحالات وغيرها يتعرض مفهوم التكافؤ (Equivalence) في الترجمة الى محكة الأكبر. (سعد الدين، ١٩٨٢).

١ - الترجمة في منظور لغوي عام :

الترجمة عملية عقلية معقدة تبدأ بالفهم وتنتهي بالافهام. وعلى المساحة الممتدة بين استقبال النص المصدر (Source Text) على صورة اشارات سمعية أو بصرية أو لمسية (طريقة بريل، مثلاً) وارساله على صورة نص هدف (Target Text)، يعمل فكر المترجم على مجموعة من المحاور الافقية والشاقولية، تلتقي جميعاً في كلّ متكامل يحقق عملية نقل النص (Transfer) من نظام يحمل اللغة المصدر (Language bearing system) الى نظام لغوي آخر، يشابه والنظام الأول في العموميات اللغوية (Language universals) ويختلف عنه في الخصوصيات اللغوية (Language specifics)، التي تميز لغة عن غيرها من اللغات. وفي عملية الفهم، يمارس فكر المترجم عملية تحليل النص (Text analysis) على مجموعة اصطلاحية من الاصعدة، اتفق اللغويون على تسميتها بالاصعدة التحليلية (Levels of analysis). وفي عملية الاعداد للافهام، التي تتواكب وترابط مع عملية الفهم ارتباطاً تكاملياً، يمارس فكر المترجم عملية تركيب النص (Text synthesis) على أصعدة متماثلة في العموميات اللغوية وأصعدة متقاربة في الخصوصيات اللغوية، تمكن المترجم من نقل الرسالة (Message) التي يوجهها المرسل في المستقبل بصورة تكاد تصل بالنص الهدف الى مرحلة

التكافؤ مع النص المصدر. فرحلة التكافؤ أمر يقترب من الاستحالة المنطقية لأن التكافؤ الكلّي يعني في محصلته اسقاط الخصوصيات اللغوية التي تحدد هوية كلّ من اللغة المصدر واللغة الهدف. ولا يمكن أن يتحقق التكافؤ الكلّي إلا في شروط شبه مستحيلة، وهي أن تكون الرسالة محمولة على عموميات لغوية تنطبق تمام التطابق مع اللغة الهدف.

فما هي المعوقات التي تتدخل في عملية التكافؤ؟؟؟

وما هي العمليات الاجرائية التي يتوجب على المترجم أن يقوم بها على طريق الوصول بالنص الهدف الى أقرب درجة من التكافؤ مع النص المصدر؟؟؟

٢ - بين اللغة وأطرها:

قبل الخوض في تلك التفاصيل، يتوجب علينا أن نعرّج على نظرتنا الى اللغة.

الكلام والكتابة حدثان فيزيائيان يجسدان القوالب التي تنصب فيها مادة اللغة. واللغة نظام منسجج من مجمل امكانيات العقل البشري في توليد اللغات. وتعتمد اللغة من حيث تبادلها بين المستقبل والمرسل على مبدأ الاعتناق اللغوي (Linguistic empathy) لأن المستقبل هو مرسل، يجد ذاته. واللغة نظام يحمل مؤشرات لغوية ومؤشرات دلالية تمتد جذورها في اطار اللغة الأكبر، وهو حضارة المجموعة البشرية التي تستخدم لغة ما. وفي عمق تاريخ المجموعة البشرية الناطقة بلغة معينة، وفي عمق عاداتها وتقاليدها وأعرافها وبيئتها وثقافتها تكمن جذور معوقات التكافؤ. هذا بالإضافة الى الخصوصيات اللغوية الصغرى التي تحدد خطوط الاختلاف بين اللغات على مستوى السطح التجريدي المرمّز للغة.

وليس الحديث عن العلاقة الوثيقة بين اللغة واطارها المجتمعي أمراً جديداً في اللغويات، فقد كتب ادوارد ساير (١٩٥٦)، ما ترجمته :

(٢: ١) «ليس من لغتين تبلمان حدا من التشابه يصل بها الى اعتبارهما تجسيدا متمائلا لحقيقة اجتماعية واحدة. فالعلمان اللذان يعيشهما مجتمعان مختلفان هما عالمان متميزان، وليسا عالما متمائلا الصقت بها يافطنان مختلفتان».

كما كتب جيرمي فيرث (١٩٥٧) عن العلاقة بين اللغة والحضارة، وذلك في تبياناه لعمل الدارس اللغوي في تحليل المعاني. فقال ما ترجمته:

(٢: ٢) «تتكون عملية التحليل من عملية تأطير متسلسل للحقائق، اطارا ضمن اطار أكبر يكون فيها كل اطار انعكاسا وظيفيا للاطار الأكبر، وتجد تلك الاطر مكانا لها فيما يمكن أن نطلق عليه مصطلح الاطار الحضاري».

ولم يكن فيرث في طرحه لهذه المفاهيم الرائد الأول في هذا المضمار. فقد سبقه الى ذلك برونسلاو ملىنوسكى (١٨٨٤-١٩٤٢) الذي عرض لهذه المفاهيم في عام ١٩٢٣، وذلك في مجمل عرضه للدراسة التي أجراها على لغة سكان جزر كير يوني. وفي تلك الدراسة بين ملىنوسكى دور الاطار المجتمعي (Social context) في فهم اللغة، وبالتالي ترجمتها. وقد تبين لملىنوسكى أن أية ترجمة مجدية للنص كانت تتطلب منه أن يسقط عبارات السطح التجريدي المرمز على الخلفية المجتمعية والحضارية لتلك المجموعة البشرية. كما تبينت له أهمية العلاقة بين النص المجرد وأطره المجتمعية، وذلك من خلال ترجمته لنص، بدا، ولأول وهلة، كأنه (قصة احدى الرحلات) ولكنه تأكد حين أسقطه على الاطار المجتمعي أنه لم يكن كذلك، وإنما كان (قصيدة في الفخر).

وكان رومان ياكوبسن من أوائل اللغويين الذين تناولوا موضوع التكافؤ الكامل واستحالته. فكتب (١٩٥٩) ما ترجمته:

(٢: ٣) «لو أننا ترجمنا الى الانجليزية العبارة الماثورة

(Traduttore traditore) على أنها (The

، - المترجم خائن - translator is a betrayer

فإننا نكون قد جردنا تلك الحكمة الإيطالية المورثة من مضمونها الجناسي. لذلك فإن الموقف المنطقي يفترض أن نطرح تلك الحكمة الماثورة في جملة توضيحية أكبر، نخب فيها على سؤاين هما: مترجم أية رسالة؟؟ وما هي القيم التي نخونها المترجم؟؟».

وقد خرج ياكوبسن، في نهاية المطاف، الى القول باستحالة التكافؤ حتى في حالة التكافؤ الظاهري بين مترادفات اللغة الواحدة.

وكان من اللغويين الذين درسوا موضوع التكافؤ دراسة مستفيضة اللغوي يوجين نايدا (١٩٦٤)، فتوصل الى تصنيف التكافؤ تحت عنوانين رئيسيين هما.

(١) (Formal Equivalence) . وهو ما يمكن أن نترجمه على أنه

تكاؤ الشكل والمضمون. <http://Archivebeta.Sakhrit.c>

(٢) (Dynamic Equivalence) . وهو ما يمكن أن نترجمه على أنه

تكاؤ التأثير.

وخلص نايدا وتيبر (١٩٦٩) الى اعتبار التكافؤ جوهر تعريفهما للترجمة، وذلك كما يمكن أن يتضح من ترجمتنا لذلك التعريف.

(٢: ٤) «تكن عملية الترجمة في اعادة صياغة رسالة اللغة المصدر بلغة أخرى، وذلك على هيئة تتحقق فيها أعلى درجات التكافؤ الطبيعي (غير المصنوع) من حيث المعنى أولاً، ومن حيث الأسلوب ثانياً».

ولسنا هنا بصدد نقد مقترح نايدا الى مفهوم التكافؤ. ولكننا نكتفي

بالقول أن غالبية النظريات التي تناولت الترجمة لم تتجاوز حدود الجملة الى عالم النص، وبذلك أغفلت الوحدة اللغوية الطبيعية والفعلية. كما أنها حين اعتبرت أصعده التحليل غاية وليس وسيلة تحولت الى دراسة حول اللغة، ونسيت واقع التطبيق العملي للغة مجسداً بالنص في كليته وشموليته.

٣ - في معوقات التكافؤ:

كنا قد أشرنا في موضع سابق من هذا البحث الى أنه:

(١:٣) «في عمق تاريخ المجموعة البشرية الناطقة بلغة معينة، وفي عمق عاداتها وتقاليدها وأعرافها وبيئتها وثقافتها تكمن جذور معوقات التكافؤ».

وهذه طريقة، لا بد، تحتاج الى مزيد من التوضيح والتثليل.

لنفترض أن أحد المترجمين عرض لترجمة الجملة التالية من العربية الى الانكليزية.

(٢:٣) «في البلدة كان يرتدي دشداشته البيضاء ويعتمر كوفيته وعقاله». (العبادي، ١٩٨٢).

فإن أولى المشكلات التي ستستوقف ذلك المترجم هي ترجمة «دشداشة»، و«كوفية» و«عقال». وذلك لأن هذه المفردات لا تعني للناطق العادي باللغة الانكليزية سوى اشياء يرتديها بطل الاقصوصة على ضوء ترجمة (يرتدي) على أنها (Wear). إلا أن ترجمتها والحفاظ على سماتها المحلية أمر لا مفر منه، وخاصة في اطار عمل أدبي لأن ترجمة الأعمال الأدبية هي عمل أدبي من حيث أنه تحليل نقدي لعمل أدبي، ومن حيث أنه عملية خلق أدبية تتبع في مخططها الأدبي مخطط العمل المصدر. ولنفترض أن مترجماً آخر عرض لترجمة المثل الشعبي.

(٣:٣) «بين حانا ومانا ضيعنا لحانا».

فالذي يعنيه اسما «حانا» و«مانا» للناطق العادي باللغة الانكليزية؟؟؟ وما هي مدلولات «اللحية» في حضارة الناطق باللغة الانكليزية قياساً بمدلولاتها عند ابن الجزيرة العربية؟؟؟ فهل يترجم المترجم مرتسمات السطح التجريدي المرمز لهذا المثل؟؟؟ أم هل يترجم المضمون الوظيفي الذي حدا بكتاب النص المصدر ان يستخدم هذا المثل الشعبي في اطار ما كتب؟؟

وما هي الدلالات السلوكية التي يمكن أن تحملها جملة:
(٣:٤) «عندما قابله بعد طول فراق، ضمه في عناق
طويل لا فراق بعده».

الى الناطق باللغة الانكليزية؟؟؟ أوليس من الممكن أن يفهم ذلك القارئ الترجمة على غير ما تعنيه اذا لم تتوفر لذلك القارئ مؤشرات في الترجمة تبين له الاطار المجتمعي للقاء بين العرب؟؟؟
وهل يمكن لمترجم أن يطرح ترجمة الأبيات التالية من الشعر العربي دون الاشارة الى الخلفية التاريخية لاسماء العلم التي ترد فيها، والرموز المستخرجة من واقع اسماء العلم تلك؟؟

(٣:٥) «لا تسألوني لماذا أبتدت «أحد» واستخشب السيف في أغمادنا ونبا؟؟
كتبنا اذا استصرخ الاسلام نخوتنا نسترخص الروح لا مينا ولا كذبا
واليوم لا «حمزة» فينا ولا «عمر» و«ابن الوليد» نحاشي ذكرنا وأبى»..

وما هو موقف المترجم من ترجمة أبسط الكلمات فيها، وهي
(Hello!) التي تجنب قاموس المورد، على الرغم من دوره الريادي،
طرح كلمة مكافئة لها، واكتفى بتعريفها على النحو التالي.

(٦:٣) «هالو. هتاف للترحيب أو لفت النظر أو التعجب أو
للإجابة على الهاتف» (المورد ١٩٧٠)؟

والى أي مدى يمكن أن نقبل بترجمة هذه الكلمة على أي شكل من الأشكال
التالية.

(١:٦:٣) مرحبا: ويمكن رفض الترجمة على أساس أنها تحمل
في صلبها معنى الترحيب بالقادم، بينما المعمول به من ناحية
المبدأ باللغة الانكليزية أن يبادر القادم الآخر أو الآخرين بعبارة
(Hello!). ولو أن استعمال كلمة (مرحبا) قد اتسع
في كل من سورية ولبنان، بفعل الاحتكاك بالفرنسية
والانكليزية ليحمل دلالات مشابهة للكلمة الانكليزية. ومن
طرف آخر فشت الكلمة الانكليزية في العامية البغدادية،
فأصبحت (هلاو).

(٢:٦:٣) السلام عليكم: ويمكن رفض الترجمة على أساس
المضمون والفارق في درجة رسمية العلاقة بين المتخاطبين
(Formality of Style, tenor of Discourse) وفي الطبيعة
النوعية للاداة اللغوية المستخدمة. غير أنه يمكن تحييد
رسمية العلاقة باسقاط اداة التعريف وتحويل الثنائية الصائتة
(Diphthong) في المقطع الثاني من (عليكم) لتصبح ياء
طويلة مماله، أي (سلام عليكم) في العامية المصرية..

(٤:٦:٣) الله بالخير: في العامية العراقية.

(٥:٦:٣) قـوّه: في العامية الكويتية.

تلك واحدة من أبسط الكلمات التي يتناولها موضوع التكافؤ. وقد يسأل

أحد المتسائلين. ما هو أساس المشكلة في ترجمة هذه الكلمة؟؟ والجواب هو أن هذه الكلمة تدخل في مجموعة من العبارات التي تستخدم في المحادثة، وتهدف الى التمهيد للحوار بين المتخاطبين وانها، فهي اداة تحمل مدلولاً وظيفياً في اطارها المجتمعي. وتختلف الشعوب في أسلوب التمهيد للحوار وانها. تماماً مثلما تختلف في أسلوب التحية. وقد اصطلح اللغويون على تسمية هذا النوع من الكلام (Phatic Communion)، وهو ما يمكن أن نطلق عليه تعبير (المبادلية الحوارية) (راجع ملينوسكي، ١٩٣٠، ليفر وهتشيسون، ١٩٧٢).

ومثل ذلك مبادرة البريطاني لشخص آخر على موقف الباص بالقول :

Wonderful weather we are having! (٧ : ٣)

It's miserable today, isn't it? (٨ : ٣)

That's the Corporation at its best! (٩ : ٣)

http://Archivebeta.Sakh Good morning! (١٠ : ٣)

فما سبق من أمثلة لا بد أننا قد رأينا دور الاطار المجتمعي والحضاري في اللغة والمشكلات التي تنعكس على تكافؤ النص الهدف مع النص المصدر. وتتطلب هذه المشكلات، كما غيرها من المكونات الأخرى في الهرمية اللغوية (Linguistic hierarchy)، اسقاط الشريحة اللغوية من مسطح التمثيل التجريدي المرمز للغة على مجتمعتها وحضارتها، وتوفير الحلول المنهجية العملية لتوفير نقل تلك المفاهيم الى النص الهدف، ضمن اطار لغوي شمولي قابل للتطبيق، يحمل في طياته كمنوية حمل رسالة النص الهدف عبر الحواجز الحضارية واللغوية.

فما سبق قدمنا عرضاً مبسطاً لتأثير اطار اللغة المجتمعي على الترجمة. ويبقى لنا أن نتطرق الى المعوقات الأخرى لعملية الترجمة.

كنا قد قلنا في المعوقات الأخرى أنها تكمن أيضاً في «الخصوصيات اللغوية التي تحدد خطوط الاختلاف على مستوى السطح التجريدي المرمز للغة».

فما هي عناصر ذلك السطح التجريدي المرمز؟

يتفق اللغويون على أن اللغة تتخذ شكلها المحسوس على صورة نصوص طبيعية فعلية يتم تداولها بين المتكلم والمخاطب (والمخاطب متكلم بحد ذاته) وبين الكاتب والقارئ (والقارئ كاتب — ليس مؤلفاً — بحد ذاته) من خلال تجسيد قوالها العقلية في شيفرات سمعية أو بصرية .. الخ. (وذلك استناداً الى الحاسة التي تخاطب الشيفرة المعينة)، وبعد أن يستقبل المخاطب الرسالة يقوم بمطابقتها على قوالبه العقلية اللغوية المكتسبة فيفهم الرسالة أو يخطئ في فهمها استناداً الى حجم المكتسبات والقدرة على التحليل والمطابقة. وقد اصطلح اللغويون على تقسيم أصعدة التحليل الى أصعدة ثلاثة: هي الصعيد الصوتي والصعيد الدلالي والصعيد القواعدي. وفي العقدين الماضيين، بدأ اللغويون يركزون على صعيد رابع هو صعيد النص. وعليه، يمكن القول ان عناصر السطح التجريدي المرمز هي أصوات وحروف (وحركات فيزيولوجية، أحياناً) تتجسد فيها رموز القوالب اللغوية. وتؤدي هذه القوالب اللغوية المرمزة دورها من خلال هرمية وظيفية (Functional hierarchy) — وظيفية تبعاً للدور الذي تلعبه في عملية الاتصال اللغوي — تعمل فيها كل وحدة ضمن اطار أكبر من الوحدات. ويمكن تصنيف الاطر الوظيفية على النحو التالي:

١ . اطار ما تحت الجملة (تحتجملي) — Infra-sentential Context

٢ . اطار جملي — Sentential Context

٣ . اطار ما فوق الجملة (فوقجملي) — Supra-sentential Context

وفي مجموعة هذه الاطر تنحصر الخيارات الصوتية (القلب التنغمي، القلب الايقاعي الخ)، والخيارات المعنوية (فثلاً، تنحصر في الاطارين ١، ٢ خيارات المعجم الثنائي بخيار نوعي معجمي واحد، وتنحصر المعتنقات اللغوية (Collocates)، والعبارات الاصطلاحية (Idioms)، والمتحجرات البيانية والبديعية (Clichés)، والمحسنات البديعية والبيانية. وكذلك تنحصر الصيغ القواعدية التي تحكم العلائق اللغوية داخل حدود الجملة. كما تتحدد في الاطار فوق الجملي (اطار النص) طبيعة الدور الذي يؤديه النص في الاتصال اللغوي (دور سردي، دور وصفي، دور جدلي، الخ)، ومع ذلك التحديد تنحصر طبيعة الاتصال بين الجمل، والطبيعة الشكلية للجمل. وناظمات ترابط النص (Rhetorical Organizers). هذا بالاضافة الى ظواهر وظيفية لا يتسع المجال لحصرها والكتابة عنها.

هذه الطبيعة الوظيفية للغة هي سمة لغوية عامة تشترك فيها كافة اللغات. لكن اساليب التعبير عن تلك الوظائف تختلف من لغة الى أخرى. ومن خلال تلك الخلافات تتحدد الخصوصيات اللغوية. فثلاً، لا يمكن أن تشكل كلمة (You) مشكلة كبيرة لمستقبل النص التالي باللغة الانكليزية، اللهم باستثناء التمييز بين المفرد والجمع،

“You and me, me and you,
Lots and lots for you to do,
You and me, me and you,
Lots and lots for you to see,
You and me, me and you.”

(شارة احد برامج الاطفال في تلفزيون هيئة الاذاعة البريطانية).

ولكنها مشكلة كبيرة للمترجم الى العربية لأنه يقف أمام عدد من الاحتمالات هي (أنت، أنتي، أتما، أنتم، أنتن). ولا يمكن أن يتخذ المترجم

قراره إلا على ضوء النص بكامله والموقف الذي طرح فيه .

في مشكلة ترجمة كلمة (You) ، على بساطتها ، واجهتنا حالة لغوية تجسد خصوصيتين لغويتين لكل من اللغة العربية واللغة الانكليزية ، هما خصوصية الجنس (التذكير والتأنيث) وخصوصية العدد (المفرد ، المثنى ، الجمع) .

ومن الخصوصيات اللغوية ما اصطلمحت على تسميته في محاضرة لطلبة درجة الماجستير في الترجمة في جامعة هيريوت - واط في بريطانيا بحالات إيجاز الإسهاب (Redundancy) ، والتي يمكن تصنيفها في الترجمة من العربية الى الانكليزية على النحو التالي :

١ - إيجاز الاسهاب الترادفي - (Synonymous Redundancy)

(١١:٣) «في سجن واحد وان اختلفت حجراته وردهاته

وزناناته» (Cells)

٢ - إيجاز الاسهاب الاستنتاجي - (Inferential Rdundancy)

(١٢:٣) «دعت الى سياسة الحياد الايجابي والتضامن

الاسيوي الافريقي والتعايش السلمي» .

.... call for positive neutrality, Afro-Asian solidarity and peaceful co-existence.

٣ - إيجاز الاسهاب التحويلي - (Transfereantial Redundancy)

(١٣:٣) «لم يكن بامكان فأر أن يتحرك دون أن يرصد أو

يردى» .

“Not even a mouse could move without being spotted or shot.”

ومن الخصوصيات اللغوية في الترجمة الى اللغة الانكليزية موضوع استعمال حروف الجر والتقديم والتأخير :

(١٤:٣) «تمتنع الدولة الساحلية عن فرض شروط على السفن

الأجنبية يكون من أثرها العملي إنكار حق المرور البري على تلك السفن أو الإخلال به.

“The Coastal State **shall not impose** requirements on foreign ships which have the practical effect of **denying or impairing the right Innocent Passage.**”

تلك هي أمثلة من بين الخصوصيات اللغوية على المستوى الجملي. أما أبسط الأمثلة على الخصوصيات ما فوق الجملية فهو استخدام اللغة العربية للجملة الفعلية في النصوص السردية واستخدامها للجملة الاسمية في طريحة النص الجدلي، واستخدام أدوات العطف في السرد الاخباري، وغيره مما لا يتسع المجال لبحثه.

٤ - في الحل:

كنا قد قلنا في مستهل هذا البحث تحت عنوان (الترجمة في منظور لغوي عام) أن «فكر المترجم، يمارس في عملية الفهم عملية تحليل النص على مجموعة اصطلاحية من الأصعدة، اتفق اللغويون على تسميتها بالأصعدة التحليلية».

كما قلنا في مكان آخر، تحت عنوان (في معوقات التكافؤ) أن «القوالب اللغوية المرزمة تؤدي دورها من خلال هرمية وظيفية تعمل فيه كل وحدة ضمن اطار أكبر من الوحدات ... وفي مجموعة الاطر تلك تتحدد الخيارات».

كما أوضحنا أن «عملية تركيب النص الهدف تجرى على أصعدة متماثلة في العموميات وأصعدة متقاربة في الخصوصيات اللغوية».

كل ما تقدم يقودنا باتجاه حل مشكلة التكافؤ من خلال المقولة التالية: «حيث أن عملية الترجمة تستلزم عملية التحليل أولاً، وحيث أن

كلّ صغيرة وكبيرة في اللغة تؤدي وظيفة معينة، فلا بد أن تجرى عملية تحليل النص من خلال منظور وظيفي يتناول كل هرمية النص، مقسمة لمجرد التسهيل الوصفي الى:

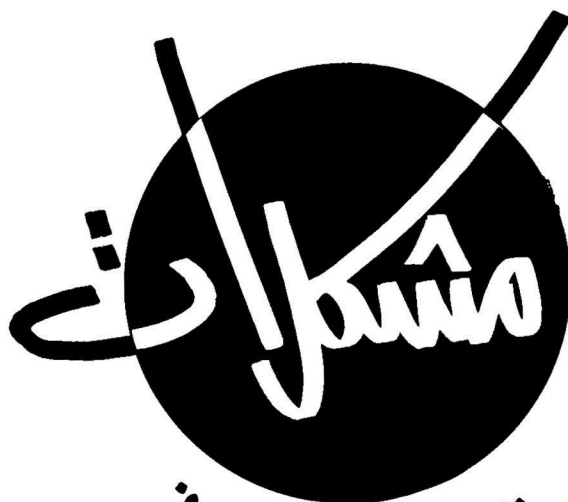
١ - الصعيد النصّي:

ويتناول الطبيعة النوعية للنص، ودرجة رسمية العلاقة بين المتخاطبين، والطبيعة النوعية للغة النص، والتفكير (Paragraphing)، والتقطيع الجملي، والترابط النصي.

٢ - الصعيد الجملي:

ويتناول الجملة ومكوناتها من حيث علاقتها بالصعيد النصي، من طرف، والوظيفة التي تؤديها كلّ مكوناتها في اطار الوحدات التشكيلية على الأصعدة الصوتية والدلالية والقواعدية وبالعلاقة مع معطيات الصعيد النصي، من طرف آخر.

واستناداً الى عملية تحليل النص على النحو، أعلاه، تكون عملية التركيب عملية تركيب وظيفي لمعطيات التحليل. وعليه يكون حلّ قضايا التكافؤ حلاً وظيفياً، فما تشابه بين اللغة المصدر واللغة الهدف لا يمكن أن يشكل مشكلة تكافؤ أساسية لأن حله ممكن من خلال تقريب الشكل والمضمون، أما ما استحال تكافؤه فيجرى حله من خلال طرح البديل الوظيفي.



خاصة في الترجمة

د. طه محمود طه

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لو احصينا قراء الأدب الانجليزي من بين ملايين القراء في العالم العربي لوجدنا أن العديدين منهم لم يقرأوا كلمة أو جملة واحدة كما كتبها شكسبير أو ابسن أو شو. انهم يعتمدون على الترجمات وسيظلون كذلك .

وذوو الفطنة والخبرة منهم فقط هم الذين يدركون أن ما يقرأونه ليس عملاً خاصاً بالمؤلف ولكنه تصور وصياغة للمترجم .

هناك دائماً اختلاف بين الأصل والترجمة وقد يكون هذا الاختلاف كبيراً، وعلينا أن نبحث معاً مدى هذا الاختلاف . ان حلقات البحث

والمناقشة هذه تحيي تعبيراً عن تلك الرغبة الدفينة التي يشعر بها أعضاء هيئة التدريس بقسم اللغة الانجليزية وآدابها نحو ضرورة الخروج برأي ما في هذا الموضوع وبسرعة.

والترجمة في أحسن أحوالها عمل مضمّن ولا يحقق الغرض كاملاً كما نعرف جميعاً. وعندما تتعرض الترجمة للأعمال الأدبية تصبح المشكلة عويصة، فإذا كان العمل المراد ترجمته عملاً معقداً يصبح السؤال الذي يواجهنا ليس صعوبة ترجمته بل مجرد امكانية ترجمته.

ومنذ عدة سنوات نشرت احدى الصحف تقريراً عن التطورات الجديدة وعالم (العقول) الالكترونية وكان من ضمن ما قيل أنه لن ينقضي وقت طويل حتى يكون في امكاننا الحصول على (عقول) الكترونية تستطيع أن تترجم أي شيء بدءاً بالتقارير والمقالات الفنية البحتة الى (ونهاية ب) أعمال شكسبير وربما أراجيز الشاعر ادوارد لير Edward Lear واني لعلّي يقين أن المهندسين الذين صمموا هذه (العقول) الالكترونية لم يقولوا شيئاً من هذا.

ان الفكرة الشائعة هي أن (العقول) الالكترونية تستطيع عمل أي شيء سواء كان اطلاق صواريخ أو عقد زيجات. إلا أنه مهما كانت درجة تعقيد النظريات العلمية ومهما كانت درجة تعقيد هذه (العقول) الالكترونية فإن العلماء لا يزالون حتى الآن، في رأيي، يعولون على ذكاء وفطنة رجال من أمثال شكسبير وجويس، كما حدث مع عالم الفيزياء د. ماريت الذي استعار من كتابات جيمس جويس كلمة Quarks للتعبير عن الجسيمات الثقيلة في الكون والكلمة أيضاً تعني باللهجة الدارجة الألمانية هراء سفاسف.

واذا ما تطرقنا الى موضوع الترجمة فإن هناك سؤالاً حتمياً لا مناص من التصدي له إلا وهو: اذا اتفقنا على اللغة التي سنترجم منها (سواء

الانجليزية أو الفرنسية أو الاردية) فها هي العربية التي يجب أن ننقله اليها؟
اننا للآن لم نتفق على حل لهذه المسألة الهامة.

لقد عقدت في عمان (الاردن) في ٣١ اكتوبر من العام (١٩٧٨) ندوة اتحاد المجامع اللغوية وضمت ممثلين عن سوريا والعراق ومصر والكويت والاردن والعربية السعودية ولبنان وتونس والسودان. وقد أكد جميع المندوبين الحاجة الى وجود معاجم (قواميس) عربية علمية متخصصة والى توحيد المصطلحات العلمية في البلاد الناطقة بالعربية. كما أشاروا الى ما يحدث في معظم البلاد العربية من كتابة أسماء المتاجر بلغة أجنبية وحروف عربية، هذا فضلاً عن أسماء العديد من البضائع والسلع. واليكم البعض مما التقطه من الجرائد اليومية الكويتية والمصرية على سبيل المثال :

اسكن لوشن Skin lotion
اسلر رجالي men slippers
بجموعة من الأبواط Boots

وعلى سبيل المثال أيضاً نقرأ في الصحف المصرية (أول شوبينج سنتر في مصر) وهناك كلمات أجنبية تكتب أيضاً بالحروف العربية ولا تثير كتابتها في الكويت مثلاً أي شعور بالخجل بينما يحدث العكس في بلاد أخرى مثل مصر ككلمة «كبوت» فنحن نقرأ في صحف الكويت «كبوت نسائي بـ ١٣ جنيه».

وقد قرأت في جريدة الأخبار المصرية اعلاناً عن المثلجات المصنوعة من الألبان بترجم كلمة « Granita » الى «جيلاتي المبستر جرائنتا» والثلاث كلمات ترجع في أصولها الى الانجليزية والفرنسية والايطالية ولم يكن ينقص المعلن (المترجم) إلا أن يضيف أيضاً «دندورمة» التركية. ونجد اعلاناً على واجهة (سينما) الأندلس يقول : جيمس براون ملك أغاني السول Soul

اضافة الى ما اعتادت عليه دور (السينا) من استخدام كلمتي «ماتينيه» و«سواريه» الأجنبية.

وأحب أن ألفت نظر سيادتكم الى استخدامي لكلمة «سينا» التي أصبحت تستخدم على جميع المستويات مهمة استخدام المرادف العربي وهو «دار الخيالة» أو «دار الصور المتحركة» دون التناقش في مذياع / راديو، مسرة / تلفون / هاتف / حاكى / جراموفون / عجلة / بسكليت / دراجة الخ ..

وليس هنا مجال حصر الكلمات الشائعة الأجنبية الأصل والتي تكتب بحروف عربية وأكتفي باضافة هذا لاعلان (مقاسات موزعة على (لوات) مختلفة، وكلمة (لوات) مأخوذة من كلمة lot وقد يتبادر للذهن كلمة لوط !.

وبالطبع فإن هذا ليس أساس المشكلة. فالمرجع للأصل كما يوصف عادة- فأن يجهد نفسه في البحث عن مرادف مناسب لكلمات مثل « Subtle » و« Sophisticated » وليست أن أشير الى « pervasiveness » عمومية- شمولية والتي لم يذكرها المورد. وبالنسبة لكلمة مثل « show » فرما نجد القاموس يذكر «يدخل شخصاً الى»، «يدخل يقود»، «يظهر»، «يرى»، «يعرض» ولكن لنفرض أنني قرأتها في جملة انجليزية مثل (He showed him around) أي (طاف به في أرجاء المكان) ومن هذا يتبين أن أي من الكلمات التي ذكرها القاموس لا تفي بالغرض.

ان موضوع الترجمة ومشكلاتها موضوع شديد الجاذبية حقاً، فكل سطر في نص تجرى ترجمته يخفى وراءه الكثير مما يمكن أن يقال. فالترجمة هي تعبير عن أو تفسير للنص الأصلي ككل وإيحاء بما يمكن أن يعنيه، وكلما زاد ثراء النص المترجم منه زادت صعوبة الترجمة.

واليكم بعض الأمثلة التي تصلح لحلقات البحث والمناقشة والتي

صادفتني أثناء مراجعتي لبعض المسرحيات المترجمة.

تقول احدى الشخصيات « Just the Job » وقد ترجمت الى « مجرد الوظيفة » وكذلك « She doesn't get round enough » ترجمت الى « لا اعتقد أنها رشيقة بهذا القدر » وهو يقصد « أنها مش ملفوفة القوام ».

وأيضاً « his old man is going for his Constitutional » ترجمت الى « يطالب بحقوق الدستورية بدلاً من : « هو راح يمشي بعد العشاء » أو كما يقول المثل الدارج « اتعشى واتمشى ».

مثال آخر:

شخص خارج من الحانة يقول لصديقه :

“Now, well I'll pop into the underground and have a butcher at the shows there and I'll be back in a Jiffy; butcher is arhyiming slang... butcher's hook = look.

فقال له : أنا سأدخل في أحد الكهوف الليلية وسأبتاع قطعة من الستيك وأعود حالاً. ولأنه وجد butcher جزار موجودة

كتب سأ لعب هوكي I am playing Hokey أيامها لو شافوا القاموس مضبوط ما كانتش ح تبقى كده.

واليكم هذه الجملة المثيرة أيضاً، لقد كان الرجل (المترجم) متمكناً حقاً من اللغة العربية.

كانت الجملة كالآتي :

“In Easter, the muns rode carriage with no Springs” over rocky mountains.

فترجمها كالآتي :

« أما في المناطق الشرقية فقد استقلت الراهبات عربات فوق جبال لا

ربيع لها اطلاقاً» .

ان الأمثلة كثيرة وأستطيع أن أقدم المزيد منها .

وفي الحقيقة لقد أصبح للترجمة شأن خطير في حياتي وذلك منذ أن شجعني — قبل خمسة عشر عاماً — الاستاذ الدكتور/ الموفى على نشر الجزء الأول من أعمال جويس . وعندما اندمجت بكل جوارحي في أعمال جويس اكتشفت أن العديد من المعاجم الموجودة لا يفي بالغرض مما اضطرني الى جمع قاموس خاص بي، مع ما يتضمنه هذا العمل من مشقة وجهد، للمترادفات والأضداد.

وقد كان د. موفى هو الذي اقترح على هذه العناوين ولا زلت أتذكر كلماته «إذا كنت تأمل في ترجمة جويس فعليك أن تقرأ وردا كل يوم لتشرى لغتك العربية. سيادته قد شاركني في مراجعة ترجمتي لجويس وهذا ما فعلته في الخمسة عشر عاماً الماضية. فأخذت في قراءة وتصنيف مفردات من متخير الألفاظ، ومن فقه اللغة للثعالبي ومن شجر الدر، ومن المسلسل، ومن مقامات الحريري. ووجدت كنوزاً دفينه فيها لم نلجأ اليها حتى الآن في بحثنا عن مترادفات لكلمات أجنبية، وفي بحثنا عن كلمات دقيقة في معناها في لغاتها الأجنبية حتى يقابل المرادف العربي الكلمة الأجنبية تماماً كأسنان مشطين.

لقد تبينت تماماً أن على المترجم — اذا كان حقاً مهتماً بالكتاب الذي يترجمه أن يبحث بدأب لا هوادة فيه في كنوز لغته. ومن خلال تقليبي لصفحات الكتب القديمة الصفراء مثل «مقامات الحريري» اكتشفت كلمات عديدة يمكن أن تكون المرادف المطابق تماماً للكلمات الانجليزية. واليكم هذا المثال الذي قد يكون محرراً بعض الشيء: أن الفعل « Unirate » اذا استخدم لكلب فإن معناه يكون (شغف) كما ورد في مقامات الحريري . ويقول جويس في الكلام عن أحد الكلاب:

“he trotted forward and lifting his hind leg, pissed quick, short at an unsmelt rock”.

وهنا أجد لزاما استخدام كلمة (شعر) لأنها هي التي تناسب النص

الانجليزي تماما وتكون ترجمة لعدة كلمات وهي

lifting his hind leg, pissed

وأحب أن أضيف أن أي عمل مترجم لا يمكن أن يصل الى حد الكمال، فهناك الكلمات التي تحتل أكثر من معنى بل قد تحمل معاني مضادة تلك التي تولد أصداء متعددة، وتلك التي استخدمت بغرض التورية. ان كل كلمة هي نتاج ثقافة حضارية لثقافة كاملة تعبر عنها وتحملها في ثناياها. فالقط في الثقافة الغربية لها تسعة أرواح بينما في الشرق أو على الأقل في مصر، لها سبعة أرواح فقط. وفي الثقافة الغربية يكون الشخص، عندما يسب، ابن كلبة (Son of a bitch) بينما في العربية يقال له في هذا الوضع (ابن ستين كلب) لماذا؟ لا أحد يدري.

واذا تكلمنا عن الألوان ففي الانجليزية يمكن أن يكون الشيء «فرقشا» أي متعدد الألوان في غير نظام « variegated » وفي العربية يكون «له مائة لون» وقد دهشت عندما وجدت أن له في الفرنسية ٣٦ لونا، ما السبب؟

إنها حقاً دراسة مثيرة وأي انسان يحاول أن يعطي ترجمة كاملة لنص ما سوف يستطيع ذلك «لما يطلع المشمش» أو «لما يشوف حلمة أذنه» « once in the blue moon ».

وفي الواقع فإن الصعوبات التي تقابل المترجم عديدة. ان وظيفته هي أن يقوم بإعادة خلق المشاعر والعواطف في ثوب لغوي مختلف. أن يقرأ بواسطة أناس تربوا في بيئة ثقافية وفكرية تختلف عن تلك التي تربى فيها من يقرأون النص الأصلي. وحيث أن الكلمة المطبوعة لا تعطي المعنى كاملاً فإن

على المترجم أن يتذوق النص الذي يعالجه سمعاً ونطقاً وموسيقياً.

وعندما نتطرق ونأتي لموضوع الأصوات أي التسمية بحكاية الأصوات كتسمية الطيور بأصواتها فإن الكثير من الصعوبات تعترضنا. فأطفال في العالم الغربي يقولون « hang hang hang » وهو ما يعبر عنه في العربية بـ (طاخ، طاخ، طاخ، وطراخ) والاختلاف واضح. وهناك الكثير من التعبيرات التي تستخدم في الانجليزية للقسم والسباب ولا يمكن ترجمتها الى العربية إطلاقاً لصعوبة إيجاد المرادف المناسب لها. وفي بعض الأحيان نشعر أن اللغة تقف عاجزة عن توصيل الأفكار وأنه ليس هناك من ترجمة تستطيع أن تنقل إلينا ما في قصيدة ما من عزف موسيقى متكامل الأنغام أو ما في رواية أو حتى فاصلة أو نقطة والسؤال هو كيف تترجم هذه الأشياء؟.

وقد ترجمت إحدى القصائد اليابانية التي تتكون من ١٧ مقطعاً والتي تسمى « koan »

“a Noanza, By the river side”

It was a Noanza and nothing else!

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

الى هكذا:

لقد كانت لا غير ثم علامة تعجب.

يقول الأستاذ سوزوكي (Professor Suzuki) أن علامة التعجب هنا في القصيدة اليابانية صورة فعلا وأن أقرب شيء لها في الانجليزية هو علامة التعجب. ولكن تلك العلامة التعجبية – اليابانية – تمثل صورة معنوية كاملة. ولو طلب مني أن أترجم هذا سمعياً لترجمتها الى صوت بطني – تئك أو بصم !.

ثم هذا الصوت أو كما يعبر عنه صلاح جاهين بكلمة عجيبي أو يا سلام! يا سلام! بعبارة قادر! ونحن نأخذ الأمر ببساطة أقصد أن الفاصلة (Comma) نعبّر عنها في العربية بفاصلة وكذلك في حالتي علامة

التعجب وعلامة الاستفهام وليس هذا ما أريد التركيز عليه ولكني أريد أن أقول ان الترجمة — التي هي دائماً عملية تفسير — هي عملية اختيار وتبسيط ضروري ولربما كان ما نحتاج اليه في لغتنا العربية هو شيء من التبسيط المناظر في الامكانيات اللغوية. يجب أن تكون لدينا الشجاعة الكافية لأن نقوم بمراجعة لغتنا التي أصابها الجمود لفترة طويلة.

ان المعاجم والمراجع لا يمكن الاستغناء عنها ولكن فائدتها محدودة. واني لأذكر ما كان يقوله لنا الاستاذ الدكتور عميد كلية الآداب د. مهدي علام عندما كان يدرس لنا الترجمة في جامعة عين شمس: «ما تخليش لغتك العربية تلبس برنيطة» لقد أخطأ هو نفسه واستخدم كلمة (برنيطة) ولم يستخدم «قبعة».

واني أعرض عليكم بعض الاقتراحات:

ان هناك العديد من معاجم المترادفات ولكني لو أردت البحث فيها عن معنى كلمة فسوف أجد أن الكلمات غير مرتبة أبجدياً ناهيك عن الكلمات العامية سواء كانت باللغات المصرية أو اللبنانية الخ.. ان القوائم عديدة في هذا المجال وتحتاج فعلاً الى اعادة ترتيبها أبجدياً وطبعها ونشرها في كتب تكون في متناول طلابنا والمترجمين في العالم العربي.

فمثلاً لو رجعنا الى المعجم لمعرفة الترجمة الصحيحة لبعض المصطلحات أو التعبيرات الموسيقية لوجدنا مثلاً أن المعجم يعطينا مقابلاً « Soprano » كلمة «الندى» وسنجد أنه يقدم لنا « جهير اول » « باص » لكلمة Bus . تلك هي المعاني التي يقدمها لنا القاموس . وباص في افتح يا سمسم هي Bus ! أي حافلة / أوتوبيس .



الترجمة الآلية: أضواء جانبيهية

بقلم الدكتور محمود العتبي

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لقد خرجت الترجمة الآلية إلى عالم الواقع، محرزة درجة لا بأس بها من النجاح في حقل تبادل المعارف العلمية، ويرجع الفضل في ذلك إلى ما حققه العلم من تقدم في مجال المحاكاة الآلية / البيولوجية بوجه عام وفي مجال اللسانيات الإحصائية بوجه خاص. وعليه ففي الإمكان أن يعتبر هذا القدر من النجاح السلوكي الذي أحرزته الآلة، دليلاً على سلامة الفرضيات التي بني عليها هذا السلوك في تحقيق ذلك الإنجاز الرائع، سواء كانت هذه الفرضيات بيولوجية أو نفسية أو رياضية أو لغوية. ومعنى ذلك أن الترجمة الآلية تدين بالفضل في ذات وجودها إلى ما تم تطبيقه وتنسيقه من معطيات سليمة كشفت عنها تلك النظرة الثابتة إلى أعماق العمليات السلوكية الطبيعية والإنسانية.

وهنا يتبادر إلى الذهن تساؤل عما إذا كانت هناك ثمة فائدة يمكن أن

تحصل عليها الترجمة البشرية بدورها من الترجمة الآلية في مجال التدريب العلمي للمترجمين، عن طريق الملاحظة الخارجية للسلوك الآلي أثناء قيامه بنفس الأداء، أي بعملية الترجمة. أغلب الظن أن في الإمكان الحصول على بعض الفوائد من تلك الملاحظة، وهذه هي الفرضية التي سوف نناقشها في بحثنا هذا وما يليه من بحوث، فإذا أمكننا، خلال اجراء بعض التجارب أن نسجل ملاحظاتنا عن أسلوب آلة الترجمة في التفاعل مع المتغيرات، وإذا أمكننا وضع الفروض لتفسير هذا السلوك الآلي في صورته المتكاملة، في مواطن الضعف وتحت الظروف المحكومة لهذا الأداء فسوف يكون من المتوقع أن تحظى اقتراحاتنا وتوصياتنا، لتحسين الترجمة البشرية والتدريب على أدائها، بتلك الموضوعية التي تستند إلى عنصر المحاكاة والتوازي بين الإنسان والآلة. ويستدعى أمر هذا التحسين المتوقع إلى الترجمة سواء نظرنا إليها « كأداة أو كنظام علمي ».

ولعل من أوضح دلالات المفهوم العام للترجمة الآلية هو ذلك الاستنتاج الذي لا يقبل الجدل، والذي يفيد بأن البحث عن الترادف على كافة مستويات التعبير اللغوي لا يمكن أن يتم بطرق عشوائية، معرضة دائماً للصواب والخطأ أو أن يبرر ذلك بحجة أن الترجمة فن. وإنما يتم هذا البحث عن طريق التحاليل العلمية الدقيقة للملامح اللغوية السلوكية سواء كانت تلك الملامح خاصة ويمكن إخضاعها للمقابلة بين اللغات المختلفة أو عامة يشترك فيها العديد من لغات العالم. أما ما يقال عن مجال الحرية والتصرف الشخصي في الممارسة الفعلية لعملية الترجمة البشرية، والذي يمكن تبريره باستعمال كلمة « فن »، فهو في الواقع مجال محدود ينحصر فيما يسمى « بالتحجير السابق » و« التحرير اللاحق »، في مصطلحات عملية الترجمة الآلية. أما التحرير السابق فيقصد به إزالة اللبس والصعوبات التي قد تعتري النص، قبل أن يزود به الحاسب الالكتروني. وهنا يلاحظ أن بعض عيوب الأسلوب الذي صيغ به النص يمكن إصلاحها دون النظر إلى اللغة المترجم إليها. وأن البعض

الآخر قد يقتضي إصلاحها أحداث نوع من الضبط والتوافق مع ملامح صيغة بعينها من صيغ تلك اللغة. ويعتبر الأمر أولاً وأخيراً، رهنا بدرجة التشابه والخلاف بين اللغتين: المترجم منها والمترجم إليها.

وأما التحرير اللاحق، فعلى أساسه يمكننا أن نتوقع إمكانية إعطاء النص المترجم آلياً تلك المسحة الاصطلاحية الطبيعية التي تتميز بها اللغة المترجم إليها. وبذا تنعكس لمسة اليد البشرية، بكل ما فيها من معايير الدقة، في اختيار الدرب أو الميل المناسب في نمط بعينه من أنماط الحديث.

وبناء عليه فعندما يضطلع المترجم البشري بأعباء البحث عن الترادف من ناحية، وأحداث الانسجام في الأساليب من ناحية أخرى، ينتظر أن يحدث شيء من اثنين: أولهما — وهذا أمر عادي في «سوق الترجمة» بعيداً عن المحيط الأكاديمي — أن يرتجل المترجم ارتجالاً تمليه عليه أذنه في كافة الأحوال. ومعنى ذلك أنه على أحسن الفروض، سوف يقوم تلقائياً بإجراء التحليلات، وإحداث التوافق في مسائل النحو والصرف، وكذا بالبحث عن المرادفات اللفظية في المعاجم اللغوية، وبالكشف عن مواطن الترادف الدلالي في اللفظ والبنية اللغوية بما فيها من صوتيات لمنطوق النص.

يضاف الى ذلك أن المترجم سوف يقوم أيضاً بما يشبه عمليات التحرير السابق والتحرير اللاحق للنص المترجم التي تتناول بنيته الشاملة، سواء كانت ظاهرة أو مقدرة لإحداث التوافق التام بين لغتين مختلفتين. وبالنظر الى كل هذه الاعتبارات يتضح أن المترجم الارتجالي سوف لا يستطيع أداء تلك العمليات المتخصصة على وجه صحيح، دون خبرة تامة بها مصحوبة بالتدريب المنهجي الكافي ولذا فسوف تكون محاولاته مخوفة بأخطار لا يستهان بها.

أما الاحتمال الآخر فهو أن يعتمد المترجم المدرب تدريباً علمياً على حصيلة من دراسات أكاديمية تستند إلى مدركات تحليلية من معطيات البحث

العلمي في اللغويات العامة واللغويات المقابلة، في علم الدلالة وعلوم التواصل اللغوي، وسوف يكون لدى هذا المترجم فوق ذلك فسحة يظهر فيها ما عنده من سعة الحيلة والبراعة وحينئذ ينتظر أن تزداد قدرته على امتلاك ناصية الأمور، وأن يقل احتمال الخطأ لديه.

وهنا نأمل أن يكون الفرق قد أصبح واضحاً جلياً بين تناول الترجمة ذلك التناول العقيم كمجرد أداء ومران مرتجل، وهو الأمر الشائع خارج جدران الكليات العلمية بالجامعات، وبين الأسلوب الحديث من الأداء الذي يستند فيه إلى خلفية حصيلة عدد من النظم العلمية. فبينما يفترض نظام الممارسة الخالصة أن التدريب على الترجمة يمكن أن يتم بترجمة نصوص متدرجة في الصعوبة، معتمداً اعتماداً شبه كلي على الارتجال، نجد أن نظام التدريب العلمي الحديث يعرض على الدارس برنامجاً متكاملًا في طبيعة اللغة ووظائفها، ينصب في بؤرة للتركيز على الترادف في عملية التواصل بالمقابلة بين لغتين، مع تناول الأسس العامة المشتركة في اللغة والفكر بين لغات الأرض جمعاء. وبذا يمكن أن يتم التطبيق العملي لهذه الخلفية النظرية أثناء الممارسة الفعلية للترجمة بقدر أكبر من الثقة والاطمئنان على سلامة الأداء.

وباختصار، يبدو أن هناك إيماءة من الترجمة الآلية موجهة إلى كل مسئول عن التدريب العلمي في مادة الترجمة على المستوى الجامعي، يتلخص فحواها في أنه إذا كانت الآلة تقوم بالأداء على أساس من العلم المتخصص في اللغويات العامة وفي المقابلة بين لغات لكل منها طابعها الخاص، يضاف إلى ذلك قدر من البراعة والدقة البشرية، مما تقدمه يد الإنسان، فهل يعقل الاستمرار في محاولة تدريب طلبة الترجمة على البراعة والاتقان بمجرد الممارسة، وفي غيبة من تلك الخلفية العلمية في مجال اللغويات التي يزود بها الحاسب الالكتروني كي يستطيع الأداء؟



النحمة الآلية

بفام بروففور ولفرام ويلز

Prof. Dr. Wolfram Wilss
University of Saarland

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ترجمة : د. علي حنين حجلاج

لو حاولنا البحث عن تطور الترجمة الآلية خلال الخمسة عشر عاما الأخيرة
لوجدنا في التقرير الذي يعرف باسم تقرير اللجنة الاستشارية لعملية الترجمة
الآلية (Automatic Language Processing Advisory)
Committe) بداية مناسبة لهذا البحث. وقد نشر هذا التقرير عام ١٩٦٦.
واللجنة الاستشارية لعملية الترجمة الآلية (والتي يختصر اسمها الى
ALPAC) تأسست من قبل الاكاديمية الوطنية للعلوم من أجل اعطاء

صورة واضحة عن الوضع الذي وصلت اليه الترجمة الآلية وتحديد أوجه قصورها.

ويوضح هذا التقرير، بصورة لا لبس فيها ولا غموض، ان التطبيق العلمي لاجراءات الترجمة الآلية - خارج نطاق البحث التجريبي المحض - أمر غير محتمل حدوثه في المدى المنظور وذلك لتعذر اعطاء وصف تفصيلي دقيق لعملية برمجة جميع العناصر اللغوية اللازمة للترجمة، لتعذر اعطاء هذا الوصف عن طريق اساليب الترجمة الحالية التي تجرى ممارستها في الوقت الحاضر. ويبدو واضحاً ان تطور الترجمة الآلية حتى عام ١٩٦٦ - يؤكد وجهة نظر أولئك الذين يتشككون في القيمة العملية المرجوة من الترجمة الآلية والذين ما انفكوا يرددون هذه الشكوك منذ أن ظهرت الترجمة الآلية في أواخر الاربعينات من هذا القرن. فهذا ميلر (Miller) يقول : « ان وضع رموز قاموس الترجمة الآلية وصياغة قواعدها صياغة فاعلة يضعنا أمام الكثير من الألغاز المحيرة التي يتطلب فهمها الكثير الكثير من الجهد. صحيح إن هذه المشاكل قد يمكن حلها في المستقبل، ولكننا لا نلصق أي تقدم تجاه ذلك بحيث تصبح الترجمة الآلية عملاً اعتيادياً يمكن ممارسته، في أي مكان في الولايات المتحدة الامريكية في الوقت الحاضر » (ميلر وآخرون، ١٩٦٠ ص ٥٣).

لقد كان لتقرير لجنة ALPAC الكثير من الآثار على الترجمة الآلية. فقد ترتب عليه، بادئ ذي بدء، تخفيض كبير جداً في الدعم المالي الذي تقدمه الحكومة الاتحادية الامريكية لهذه الترجمة، وهذا بدوره أدى الى عزوف الجامعات عن اجراء البحوث على الترجمة الآلية التي تحولت نحو المؤسسات (التجارية) الادارية. فقد أبدت المؤسسات التجارية اهتماماً بالترجمة الآلية، رغم النتائج السلبية التي كشف عنها تقرير ALPAC ، ورغبته في مواصلة الأبحاث عليها لأن هذه المؤسسات ظلت على قناعة بأن أبحاث

الترجمة الآلية، في المستقبل المنظور وبتكاليف غير باهظة نسبياً، يمكن لها أن تطور أنظمة ترجمة آلية ذات فعالية في مجالات معينة من مجالات الاتصالات العالمية.

وثانياً: فقد جعل تقرير لجنة ALPAC أبحاث الترجمة الآلية على وعي تام بالحقيقة القائلة بأن التحليل المفصل الدقيق للغة المراد ترجمتها (source language) وإعادة تركيب هذه اللغة على شكل اللغة المراد الترجمة إليها (target language) هذا التحليل ينطوي على مشاكل أكثر بكثير وعلى مشاكل أكثر تعقيداً مما كان يفترض (بل وما يعترف به من المشاكل في العادة). لقد كان بار هليل (Bar-Hillel)، في معرض ضربه المثل على تلك المشاكل، هو الذي عبر عن هذه القناعة بمشاكل الترجمة الآلية في مؤتمر الترجمة الآلية ذائع الصيت (والذي لا يقل شهرة عن شهرة بار هليل نفسه) الذي عقد بمدينة أوستن (Austin) في عام ١٩٧١. يقول بار هليل: «يبدو واضحاً أننا قننا الآن بدورة كاملة في ميدان أبحاث الترجمة الآلية، ورجعنا الى نقطة قريبة جداً من نقطة البداية قبل تسعة عشر عاماً».

وهذا يعني أنه قد يترتب على الترجمة الآلية أن تعتمد الآن على استراتيجيات تقوم على اللغة أكثر من اعتمادها على نظريات بالغة التقدم، كما أن من الواضح أن هناك تحولاً ساد كثيراً في توضيح حقيقة الأمر (بالنسبة للترجمة الآلية) وأن هذا التحول قد بدد كل وهم يكمن وراء الطموحات المثالية، الأمر الذي جعلنا الآن أكثر قدرة على مواجهة المشاكل ذاتها من جديد» (بار هليل، ١٩٧١ ص ٧٢٠).

وإذا ما ترجمنا عبارة بار هليل هذه بلغة الترجمة الآلية فإننا نقول انها تعكس الانتقال من الجيل الأول لأبحاث الترجمة الآلية بتوجهاته بصورة أساسية، بل بصورة تامة، نحو الكلمة (lexical orientation)

والجيل الثاني بتوجهاته نحو البنية الصرفية morphosyntactic orientation) الى الجيل الثالث من أبحاث الترجمة الآلية بتوجهاته نحو الدلالة البنيوية (Syntactical semantic approach) .

وكان أول تمثيل لطريقة الترجمة الآلية القائمة على الكلمة مضافاً اليها بعض قواعد البنية القليلة هو التمثيل المعروف بتمثيل جامعة جورج تاون (Georgetown) الذي جرى عرضه في السابع من ابريل نيسان عام ١٩٥٤ على اللغتين البروسية والانجليزية . وقد اعتبر هذا التمثيل في حينه ناجحاً وبسبب هذا النجاح بعثت الكثير من الامال التي تبين من خلال التجارب اللاحقة انها كانت آمالاً غير واقعية ، لأنه تجاهل الكثير من المشاكل التي ما أن تم الاعتراف بوجودها حتى تبين أنها مشاكل تستعصي على الحل بمساعدة اجراءات الترجمة الآلية ووسائلها التي كانت متاحة في الخمسينات واولائل الستينات .

مثل هذه المشاكل أدت الى الاعتراف بالحقيقة القائلة بأن الاختلافات في البنى اللغوية من لغة لأخرى تستبعد الترجمة الحرفية ، كلمة مقابل كلمة من لغة لأخرى وبخاصة إذا نظر الى هذه البنى اللغوية من منظور الأشكال البنيوية المعقدة القائمة على النظرية التحويلية (transformationally derived complex syntactic configurations) .

وعلى ضوء ذلك ، ومن أجل التغلب على حاجز البنى اللغوية قام فيكتور ينجفي (Victory Yngve) ، من بين آخرين ، بتصوير اجراءات تحليل يقوم على البنية اللغوية ، محاولاً بذلك تقديم ترجمة آلية تعتمد على أساس نظري ملائم في الأقل . ونتيجة لذلك أخذت الجوانب اللغوية في عملية الترجمة الآلية تحظى بالمزيد من الاهتمام في مجال أبحاث الترجمة الآلية .

أما الجيل الثاني من أبحاث الترجمة الآلية فقد ركز جهوده على بناء

أنظمة لقواعد النحو اللغوية للبنى اللغوية الواردة في النصوص. ومن أجل ذلك عادت أبحاث الترجمة الآلية من جديد الى النماذج النحوية التي وضعها علماء اللغة النظريون، بما في ذلك نموذج النحو القائم على الاضافة (dependency grammar) ونموذج النحو التوليدي التحويلي الأول (generative transformational grammar) وعلى أية حال فبعد سنوات من الجهود المكثفة لاستثمار النماذج النحوية في أنظمة الترجمة الآلية، لم يكن في استطاعة أبحاث الترجمة الآلية أن تتغاضى عن الحقيقة القائلة بأن اجراءات الترجمة الآلية القائمة على برمجة القواعد النحوية الخاصة بالكلمة والبنية لم تحقق سوى نتائج قليلة. ووضح من هذا أن اجراءات الترجمة الآلية اذا ما ظلت خالية من المعلومات المتعلقة بالمعاني (أو الدلالة) فن المستحيل عليها أن تحقق أية نتائج مقنعة.

هذه النتيجة حدت بينجفى على السير بأبحاث الترجمة الآلية نحو توجهات جديدة تقوم على المعاني (أو الدلالات) وفي هذا الصدد ها هو يقول :
«لقد وصل بنا البحث في ميدان الترجمة الآلية الان الى ما يمكن أن نطلق عليه اسم حاجز المعاني (الدلالة). ومعنى هذا أنه حتى لو وصلنا الى اعداد برامج تستطيع أن تحلل ما يصلها من لغة تحليلاً نحوياً، فإن هذا لن يؤدي بنا الى الحصول على ترجمة مناسبة لأنه لا زال هناك الكثير الكثير من الجوانب الغامضة في هذه الترجمة. وهنا لا بد لنا من أن نقف وجها لوجه ازاء الحقيقة القائلة بأنه إذا ما أردنا الحصول على ترجمة آلية مناسبة فإننا لن نستطيع الحصول على ذلك إلا إذا استطاعت الآلة أن (تفهم) ما تقوم بترجمته، وهذا أمر بالغ الصعوبة في الواقع» (ينجفى، ١٩٦٧ ص ٥٠٠).

وفي السنوات التالية. جرت محاولات مختلفة لتطوير اجراءات ترجمة آلية تجمع منها يقوم على البنى اللغوية والمعاني (الدلالات) معا عن طريق الإفادة من المفهوم الذي نادى به شومسكي (Chomsky) والخاص

بالبنية اللغوية التحتية (syntactic deep structures) .
وهناك عاملان يكمنان وراء تبني هذه الطريقة :

الاول يقول بالافتراض بأن البنى اللغوية التحتية (deep structures) في اللغات المختلفة هي أكثر تشابها من البنى اللغوية الظاهرة (surface structures) وقد فتح هذا الافتراض الباب على مصراعيه أمام تطوير أنظمة للترجمة الآلية لا تكون قاصرة على لغتين فحسب، بل يمكن تطبيقها كذلك على ازواج لغوية أخرى .

أما العامل الثاني فهو أنه بات واضحا أنه نتيجة للاتجاهين المتضادين في الاستخدام اللغوي وهما الاتجاه الخاص بالبنى اللغوية الظاهرة (ومن ثم الأبسط في الاستخدام والمختصرة) والاتجاه الخاص بالتعقيدات في المفاهيم، نتيجة لهذين الاتجاهين المتضادين فإن الكثير من العبارات اللغوية عبارات غامضة من حيث البنية و/ أو من حيث المعنى (syntactically and/or semantically ambiguous) .

وهكذا فإن تضمن البنى اللغوية التحتية في أبحاث الترجمة الآلية، يبدو وكأنه فتح المجال أمام اماطة اللثام عن الاختلاف النوعي بين معنى النص أو الفهم الذي يميز الترجمة التي يقوم بها الإنسان وبين القدرة على حل الرموز بصورة حرفية الذي يميز الترجمة الآلية، وهذا وكأنه فتح المجال أمام الغاء بعد التفكير في الترجمة وهو الأمر الذي لا يمكن الوصول اليه بالطرق الآلية .

ان ادخال المعنى كبعد من أبعاد الترجمة هو أسهل ما يكون في حالة المعنى على مستوى الجملة عندما تكون العلاقات التي تؤدي الى هذا المعنى ظاهرة وواضحة في بنية الجملة الظاهرة، كما في الجمل التالية^١ :

- (1) If he had done it, he would have been punished.
- (2) If he did it, he would be punished.
- (3) If he has done it, he has been (will be, must be) punished.

(4) If he does it, he will be (might be) punished.

ولسوء الحظ فإن درجة وضوح الجمل، حتى لو كانت في النصوص الخاصة بالحاسب الآلي (الكمبيوتر)، ليست بدرجة كافية على الإطلاق، فالجمل التي تكون مختلفة اختلافاً تاماً في أشكالها البنيوية التحتية قد يكون لها بنى ظاهرة متشابهة (بل ومتماثلة)، وهذه ظاهرة لغوية لم يشر لها شومسكي فحسب بل رذرفورد (Rutherford) وآخرون كذلك. وعلى سبيل المثال ٢:

(5) It is a shame he never wins.

(6) That he never wins is a shame.

(7) It is a game he never wins.

(8) He never wins a game.

فقد أوضح رذرفورد ان الاختلاف بين الجملة (٥) والجملة (٧) ليس مجرد اختلاف في طبيعة الكلمات (بين كلمة مذلة shame وكلمة لعبة game)، بل الاختلاف بينهما هو أن كلا منها لها بنية تحتية مختلفة ٣. والواضح حقيقة أن (it) في الجملة (٥) لها دور يختلف عن دور (it) في الجملة (٧)، وذلك من وجهة نظر نحوية محضة. فكلمة (it) في الجملة (٧) يمكن استبدالها على النحو التالي ٤ :

(9) Tennis is a game he never wins.

في حين لو استبدلنا كلمة (it) في الجملة (٥) بكلمة «تنس» فإن ذلك سيؤدي الى جملة غير مقبولة في معناها ٥ .

(10) Tennis is a shame he never wins.

والسبب في أن جملة (١٠) غير مقبولة في معناها هو أن (it) في الجملة (٥) لها وظيفة بنيوية (ويطلق رذرفورد على هذه الظاهرة اسم (it) ذات الموقع الإضافي « extraposed it »، رذرفورد ص ٧٢). أما (It) في الجملة (٧) فلا بد من تفسيرها كضمير ظاهر

مقدم (anaphoric pronoun) . ولو حاولنا التوصل الى برجة حلول
يعتد بها فلا بد من الأخذ بعين الاعتبار المكانة البنيوية المختلفة
(valence) لكلمتي (shame) و (game) منذ بداية البرجة .
فكلمة (shame) تأتي كمقدمة لشبه الجملة المسبوقة بكلمة
(that) (that clause) ولكن كلمة (game) لا يمكن
أن تلعب هذا الدور .

ولو حصل وتبع كلمة (game) شبه الجملة تلك لأصبحت شبه
الجملة صلة موصول (relative clause) .

وتمت مشكلة أخرى تتمثل في الغموض البنيوي (syntactic
ambiguity) وبالتالي غموض المعنى (أو الدلالة) (semantic
ambiguity) بالنسبة لبنية الجمل المختلفة . فالجملة التالية ، على سبيل
المثال تسمح بتفسيرين بنيويين (أو معنويين) ، بل ثلاثة تفاسير من الناحية
النظرية ٦ .

- (11) When turning over control operators will switch to zero.
- (12) When turning over control, operators will switch to zero.
- (13) When turning over control, operators will switch to zero.
- (14) When turning over, control operators will switch to zero.

وبطبيعة الحال فإن كل تفسير من هذه التفاسير يعني صيغة لغوية ظاهرة
مختلفة في اللغة التي تترجم اليها ٧ (أي اللغة البروسية الالمانية) .

- (12a) Bei der Übergabe des knotrolldienstes (Ablosung vom knotrolldienst) ist auf Null Zu Schalten.
- (13a) Beim wuden über dem kontrollpunkt ist aut Nullzu schalten.
- (14a) Beim Wenden schaltet das kontroll personal auf Null.

والاسئلة التي سقناها فيما سبق تصل بنا الى النتائج التالية :

١ - لا بد من التوصل الى وصف مفصل كل التفصيل الى البنى التحتية
الاضافية في اللغة الانجليزية حتى يمكن لنا أن نقلها الى اللغات

الأخرى عن طريق الترجمة الآلية وذلك لكي يمكن لنا القضاء على ظاهرة تفسير (أو ترجمة) أي جملة من الجمل عدة تفسيرات (كما هو الحال في المثال السابق).

٢ — ان اعتماد بنية لغوية ما على بنية أو بنى لغوية أخرى ينطوي على علاقات اعتماد في بنية المعاني كذلك.

٣ — ان تفسيرات الجمل بمعاني مختلفة (كما هو الحال في المثال السابق) ينطوي على الكثير من الأمور بالنسبة (أ) للترجمة عن طريق الترجمة الآلية و(ب) بالنسبة لوضع البنى اللغوية التي يراد وضعها واللازمة للترجمة الآلية.

هذه النتائج الثلاث هي التي اطلقت العنان للتطور الذي يعرف باسم الانتقال من الجيل الثاني للترجمة الآلية الى الجيل الثالث وكذلك للمحاولات التي تهدف الى ادخال الترابط والتكامل بين الجوانب البنيوية النحوية وبنى المعاني (الدلالات) في وصف الجمل اللازمة للترجمة الآلية وعلى حد قول ليان :

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

«بالنسبة للترجمة الآلية فإن التمثيل الخاص ببنى المعاني لا بد أن يشق من البنى النحوية في اللغة المترجم فيها ولا بد أن يرتبط هذا التمثيل بالبنى النحوية في اللغة المترجم اليها» (ليان ١٩٧١، ص ٤٥).

وعلى الصعيد ذاته فإن ليان يوصي كذلك باجراء «أبحاث موسعة على الكلمات» (المصدر ذاته ص ٥٠) تهدف الى وضع رصيد كلمات من اللغة المترجم منها واللغة المترجم لها واضح ودقيق ويمكن معه ترجمة الكلمة الواحدة آلياً من اللغة المترجم منها الى اللغة المترجم لها ويشتمل على جميع العناصر الصرفية (morphological) وعناصر المعاني (الدلالة) (semantic) والعناصر النحوية (syntactic) اللازمة للتحليل المناسب لنصوص اللغة المترجم منها وترجمتها آلياً الى اللغة المترجم لها.

وهناك جانب آخر ضمن اطار الجيل الثالث من أبحاث الترجمة الآلية يتمثل في معالجة الظواهر التي تتعدى حدود إطار الجملة الواحدة مثل الضمائر والتقديم (anaphora) وتفسيراتها من حيث المعنى في النص الواحد. وعلى أية حال فالوقت لم يحن بعد للحديث بصورة محددة عن الوقت اللازم لحل مثل هذه المشاكل المعقدة في الترجمة الآلية.

ومنذ سنوات والنقاش محتدم حول جيل رابع من أجيال أبحاث الترجمة الآلية. وهذا الجيل الرابع يقوم على محاولة إيجاد أنظمة ترجمة آلية تتخذ من الذكاء الاصطناعي (artificial intelligence) أساساً لها. وتهدف أبحاث الذكاء الاصطناعي الى تطوير نظام لتفسير العالم يقوم على الخوارزمية (اللوغريتمات algorithm) ضمن إطار نظرية اضافة المفاهيم واعتمادها على بعضها البعض (conceptual dependency theory). وإذا ما ترجمنا هذا التوجه بلغة أبحاث الترجمة الآلية فإن هذا يعني محاولة محاكاة الترابط اللغوي الإنساني عن طريق عمليات الترميز والبرمجة (الآلية) بمساعدة رموز للمعنى خاصة (metalanguage). وادخال رموز خاصة بالمعاني يعني القيام بثلاث عمليات في عملية الترجمة الآلية:

(١) تحويل نصوص اللغة المراد الترجمة منها الى بنية نصوص ذات مفاهيم عالمية.

(٢) تحويل نصوص بنية اللغة المراد الترجمة منها هذه الى بنية نصوص اللغة المراد الترجمة اليها.

(٣) تحويل نصوص بنية اللغة الخاصة برموز المعنى الى نصوص لغات طبيعية.

ومن الناحية النظرية فإنه يمكن تحقيق هذا النهج، إلا أن الأدوات اللازمة لبنية المفاهيم الخاصة بأبحاث الذكاء الاصطناعي لا زالت في الوقت

الحاضر محدودة جداً بحيث يصبح من المستحيل أن نشق منها وضعاً لنصوص المعاني التي يمكن تطبيقها في حل مشاكل المعاني في الترجمة الآلية. وهذا ما دعا ويلسك (Wilks) وهو من الباحثين البارزين في ميدان الذكاء الاصطناعي أن يصرح، ومعه كل الحق في ذلك بأن الذكاء الاصطناعي لا زال مجرد شيء للتوضيح والعرض ولم يصل بعد الى مرحلة التطبيق (اتصال شخصي مع كاتب المقال، سبتمبر/ ايلول ١٩٧٧).

واذا ما وضعنا أبحاث الترجمة الآلية القائمة على الذكاء الاصطناعي جانباً، فإن مشاريع الترجمة الآلية الحالية يمكن تقسيمها الى قسمين: أبحاث الترجمة الآلية التي تنتمي الى الجيل الثاني وتلك التي تنتمي الى الجيل الثالث وفي كل من هذين القسمين يمكن لنا أن نميز بين نوعين من المشاريع. النوع الأول الذي يغلب عليه طابع التدريب والنوع الآخر الذي يغلب عليه طابع البحث. فمشاريع التدريب تهدف الى التوصل الى «ترجمة آلية كافية الى حد ما». وبعبارة أخرى فإن القائمين عليها يهدفون الى التوصل إلى نتائج سريعة وجيدة (في نهاية الأمر) ويمكن استثمارها تجارياً. والأمثلة على هذا النوع هي أنظمة سيستران (Systran) ولوجوس (logos) في الولايات المتحدة وتيتوس (Titus) في فرنسا ومشروع سيمنس (Siemens) للترجمة الآلية في ميونخ.

أما مشاريع البحث فهي تهدف الى الوصول الى ما يطالب به بارهليل وهو الترجمة الآلية ذات الكفاءة العالية التامة. والقائمون على هذه المشاريع وضعوا لانفسهم أهدافاً تجريبية بعيدة المدى يأملون الوصول اليها بمساعدة الوصف التفصيلي الشامل للغة كشرط أساسي للوصول الى ترجمة آلية تستند على قاعدة لغوية نظرية سليمة ومتينة. وكمثال على هذه المشاريع مشروع جامعة هيدلبرغ للترجمة الآلية. وهذا النهج لم يزل بعد في مراحله النظرية، ولا يمكن أن نقول أي شيء في الوقت الحاضر عن قابليته للتطبيق العملي.

وعلى النقيض من ذلك فإن أبحاث الترجمة الآلية القائمة على مشاريع التدريب قد وصلت مرحلة من التطور يمكن لنا القيام بعملية تقويم لها في الأقل، اذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن هناك جانباً بارزاً لعملية تقويم مدى قابلية هذا المشروع للتطبيق العملي يتمثل بمدى الحاجة للجهد اليدوي (أي الإنساني) لمراجعة الترجمة الآلية قبل الترجمة وبعدها لأن حجم هذه المراجعة (قبل الترجمة وبعدها) هام جداً عند احتساب نسبة التكاليف الى الانتاج. ولذا فإنه من حيث نسبة التكاليف الى الانتاج، فإن نظام الترجمة الآلية الذي لا يحتاج الى مراجعة قبل الترجمة وبعدها هو النظام الأمثل. وحتى الآن لا يوجد نظام ترجمة آلية لا يحتاج الى مراجعة قبل الترجمة وبعدها.

ومن الأنظمة المتقدمة نسبياً في هذا المجال نظاما لوجوس وسيستران. ويهدف نظام لوجوس الى التعاون بين الإنسان والآلة (أو التفاعل بين الإنسان والآلة) وهذا يعني أن وجود مراجع يتقن اللغتين (اللغة المترجم منها وتلك المترجم اليها) هو عنصر أساسي لا غنى عنه في نظام لوجوس. ومن الناحية الأخرى فإن نظام سيستران مبني بطريقة يستطيع معها أن يقدم ترجمة أولية أو بعبارة أخرى ترجمة ما قبل الترجمة تكفي لإعطاء خبير ما المعلومات الأساسية من نص ما في ميدان تخصصه. ومعنى هذا أن نظام سيستران لا يتطلب ضرورة تواجد مراجع ليراجع الترجمة الآلية بعد ترجمتها. وتكتفي شركة سيستران بنتائج ذات نوعية غير جيدة تماماً في سبيل الحصول على نتائج سريعة. وقد وجهت شركة لوجوس النقد لشركة سيستران لذلك اذ تقول: «إن هذا النظام (أي النظام سيستران) ينتج ترجمة معجمية للكلمة المفردة من لغة لأخرى دون الوصول الى ما في اللغة من تشابك بنيوي أو نحوي. ونتيجة ذلك أنه في الوقت الذي يستطيع فيه هذا النظام أن يقدم معلومات أولية باللغة التي يراد الترجمة اليها فإنه يؤدي ذلك دون الدقة اللغوية المطلوبة ودون أن يكون ذلك في صيغ لغوية مقبولة» (لوجوس ١٩٧٧ ص ٩).

أما مشاريع الترجمة الآلية التي تأمل الوصول الى ترجمة آلية ذات نوعية عالية الكفاءة بالمعنى الذي يعنيه بارهليل، فإنها تصنف الى صنفين، الأول تلك الموجهة نحو البحث بصورة خالصة والثاني تلك التي تأمل في المستقبل المنظور الوصول لنصوص لغة الكمبيوتر (LSP) الى اجراءات ترجمة آلية تماماً على أساس من الأبحاث التجريبية الشاملة على اللغة الواحدة والعلاقات بين اللغات المختلفة. واحد المشاريع التي تندرج تحت الصنف الثاني من مشاريع هذا النوع عالي الكفاءة من الترجمة الآلية يجري في الجامعة التي أعمل بها. وكان لي شرف ادارة مشروع الترجمة الآلية بين اللغتين الانجليزية والالمانية، ونعمل على نصوص زودنا بها القسم الزراعي في السوق الأوروبية المشتركة التي مقرها مدينة بروكسل. ويمكن اعتبار النهج الذي اتبعناه مزيجاً للجوانب النظرية والتطبيقية في الترجمة الآلية مع النحو التوليدي التحويلي (Generative Transformational Grammar) والنحو الاضافي (الاعتمادي) (Dependency Grammar) اللذين يكونان الاطار النظري لاجرائنا. ونحن لا نرغب أن ننته في خضم الاعتبارات النحوية الخالصة في الوقت الذي نواجه فيه عدداً كبيراً جداً من المشاكل التي لا يمكن التغلب عليها.

ولذلك فقد حددنا لانفسنا حدوداً لا نتجاوزها هي الاكتفاء بنصوص الكمبيوتر (LSP) كما اسلفنا. ولما كان ميدان نصوص الكمبيوتر يسمح لنا بالاعتماد على رصيد ضخم من المصطلحات الفنية المقتنة المتعارف عليها، فإننا نأمل أن يؤدي ذلك الى جعل أمر حل مشكلة غموض المعنى أقل صعوبة مما هو الحال عليه بالنسبة للنصوص الأخرى. والافتراض الذي نسعى لاثباته هو فيما إذا كان تحليل عينة ممثلة لنصوص الكمبيوتر تحليلاً تجريبياً سيكشف فيما اذا كانت نصوص الكمبيوتر هذه يمكن تقنين بنيتها النحوية بقدر يساوي ما تم تقنيته في مجال المصطلحات الفنية. (وسأتناول هذا الأمر في

إحدى محاضرتي عن الترجمة التي أقوم بتدريسها).

غير أن القصور في نصوص الكمبيوتر أمر حميد لأسباب أخرى. فالتعاون في ميدان الترجمة الآلية بين مؤسسات السوق الأوروبية المشتركة وجامعة ساربروكن وكذلك الجامعات الأوروبية الأخرى سنشير إليه فيما يلي باختصار. وفي هذا دليل واضح على الحقيقة القائلة بأن كفاءة نظام سيستران التي كثيراً ما أشيد بها عبر السنوات السابقة في اوساط السوق الأوروبية المشتركة هذه الكفاءة هي أقل بكثير مما يصرح به المسؤولون عن نظام سيستران ووفق أحدث المعلومات التي توصلنا إليها فقد قامت السوق المشتركة بتكوين لجنة استشارية للترجمة الآلية واوكلت لها مهمة اقامة نظام اوروبي للترجمة الآلية (EURTRA) بهدف تحسين وسائل الاتصال المتدفق بين اعضاء السوق الحاليين والذين سينضمون لها في المستقبل. ومع ذلك فإن هذا النظام الدولي من أنظمة الترجمة الآلية هو مشروع يصعب تنفيذه بسبب اختلاف الفلسفة التي تقوم عليها الترجمة الآلية في البلاد المعنية، فعلى سبيل المثال فإن الأنظمة المعمول بها في ساربروكن وبيزا وغيرينوبل ومانشستر وكوبنهاجن هي أنظمة ترجمة آلية غير متجانسة، ومعنى هذا أن دمج أنظمة الترجمة الآلية القومية في نظام اوروبي رئيسي يكاد يكون مجرد طموح مثالي. وتعى اللجنة الاستشارية للسوق الأوروبية المشتركة أبعاد هذه المعضلة. ومن هنا فقد اتجهت النية الى السماح للدول الاعضاء بالاستمرار في مشاريع الترجمة الآلية الخاصة بكل منها حتى عام ١٩٨٣ ثم تعقد اجتماعاً دولياً للترجمة الآلية لعرض إنتاج الدول المختلفة في هذا المجال ومن المحتمل أن تقوم اللجنة الاستشارية للترجمة الآلية بمقارنة هذا الإنتاج وتأمل (اللجنة) أن تكون قادرة على تقديم النصح للإدارة العليا للسوق المشتركة بشأن استراتيجيتها الخاصة بالترجمة الآلية في المستقبل.

ومما لا شك فيه أن السوق المشتركة تترقب هذا المؤتمر وعروض الترجمة

الآلية التي ستقدم فيه بفارغ الصبر. والسبب في ذلك يعود الى أن قبول ست لغات رسمية في السوق الآن (وقد يرتفع هذا الرقم الى تسع لغات بعد قبول اليونان والبرتغال واسبانيا) سيواجه السوق بمشكلة اتصال عويصة لدرجة يصبح معها من الصعوبة بمكان الاستمرار في تدفق المعلومات داخل مؤسسات السوق أو في الأقل تخفيض هذا التدفق الى حيز يصعب احتماله اذا ما استمرت سياسة تعدد اللغات التي تتبعها السوق أو إذا فشلت هذه السوق في حل مشاكل الاتصال بمساعدة من نظام ترجمة آلية على كفاءة.

سيداتي ... سادتي ...

ان ما قلته حتى الان لا يبدو كونه مجرد جولة في آفاق الترجمة الآلية قصبت من ورائها تقديم تعريف بقضايا الترجمة الآلية التي تشكل اليوم محور المناقشات المتعلقة بهذه الترجمة.

اما في الجزء الثاني من هذا البحث فأود أن ادخل في صلب الموضوع واقدم لكم مشكلة محددة من مشاكل الترجمة الآلية التي تشكل عبئاً كبيراً نوعاً ما من أعباء الترجمة الآلية بين اللغتين الانجليزية والالمانية والمشكلة تتعلق بصيغة اسم الفاعل في اللغة الانجليزية (English participle construction) التي تستخدم فيها اضافة (ing) الى جذر الفعل.

وقد اخترت هذه المشكلة لسببين اثنين :

الأول : أن صيغة اسم الفاعل (جذر الفعل + ing) الانجليزية لا تسمح بترجمتها ترجمة حرفية للغة الالمانية كقاعدة عامة، أي أن المترجم الالمانى لا يستطيع كقاعدة عامة أن يحل صيغة ألمانية مشابهة من الناحية النحوية البنيوية محل اسم الفاعل في اللغة الانجليزية بل عليه (أي المترجم الالمانى) أن يبحث عن صيغ نحوية بنيوية ألمانية أخرى. وبعبارة أخرى فإن المترجم

لا يستطيع أن يقوم بعملية نقل مباشرة من الصيغة الانجليزية الظاهرة الى الصيغة الالمانية الظاهرة (فيما يتعلق باسم الفاعل). بل عليه القيام بعملية نقل غير مباشرة إذا أراد الحصول على ترجمة مناسبة أي أن عليه أن ينتقل من الصيغة اللغوية الظاهرة في اللغة المترجم منها الى الصيغة اللغوية التحتية في اللغة المترجم منها ومن هناك ينتقل الى الصيغة اللغوية التحتية في اللغة المترجم اليها ثم الانتقال منها الى الصيغة اللغوية الظاهرة في اللغة المترجم اليها. ويمكن توضيح هذه العملية، بصورة مبسطة بالرسم التالي :



والسبب الثاني هو ان اسم الفاعل بنية لغوية عالية التردد في النصوص الأدبية والفنية العلمية على حد سواء. فهو (أي اسم الفاعل) يظهر كما سأوضح ذلك في محاضرة أخرى في مواقع مختلفة كثيرة وفي أنماط نحوية كثيرة وهذا يعني ان اسم الفاعل يلعب دوراً هاماً في تكوين الجمل في اللغة الانجليزية وبصورة خاصة في النصوص المكتوبة. ولعل هذا هو ما حدا بالباحثة السويسري ايرنست ليزي (Ernst Leisi) كي يقول

في كتابه اللغة الانجليزية المعاصرة) Das heutige

(Englisch) إن صيغة اسم الفاعل وصيغة اسم الفاعل المسمى اسما (gerund) وصيغة المصدر (infinitive) هي من أكثر صيغ البنية النحوية في اللغة الانجليزية قوة (gestarkte grammatische katategorien).

ان الخاصية المميزة لصيغة اسم الفاعل تتمثل في كونها تؤدي وظيفة الجملة، حتى ولو كان ذلك بصورة غير تامة. ونظراً لتركيبها غير التام هذا فإن اسم الفاعل لا يظهر منفرداً على الاطلاق في اللغة الانجليزية. وحتى يؤدي وظيفته البنيوية بصورة صحيحة لا بد له من أن يعتمد على جملة تامة أو ما يطلق عليه بالالمانية (Bezugssatz) (أو شبه الجملة الذي يعمل كإطار إشارة) أو الدليل النحوي ودليل المعنى لاسم الفاعل في الجملة المركبة (compound sentence) ولو حاولنا أن نعرف اسم الفاعل كما فهمناه في هذا السياق فإن ما نطلق عليه اسم فاعل يكون اسم فاعل حقيقة لو توفرت جميع الشروط التالية :

لا بد أن يكون اسم الفاعل جزءاً من الجملة ولازماً كعنصر بنيوي نحوي و«يجر» (govern) جزءاً من الجملة في الاقل ويكون هذا الجزء ظرف مفعول به. وهذا التعريف يستثنى بصورة آلية أشياء كثيرة من بينها استخدام اسم الفاعل كصفة مثل^٨ (a burning house) أو (a burning question) .

ان أي اسم فاعل يمتاز بهذا التركيب البنيوي النحوي يمكن التعرف عليه كاسم فاعل بكل وضوح ويمكن تميزه بنيوياً ووظيفياً في الجملة الرئيسية. وكل اسم فاعل لا بد وأن يكون من الممكن نقله بحيث يصبح شبه جملة كاملاً نحوياً (سواء اكان شبه جملة رئيسية أم مضافة) دون أن يتغير المعنى تغيراً جذرياً. وكمثال على ذلك^٩ :

1. Harriet, having seized a plate of cold ham for herself looked round for a lunch partner.

After Harriet has seized a plate of cold ham for herself she looked round for a lunch partner.

أو —

2. Arriving at the airport he found his plane gone.

He arrived at the airport and found his plane gone.

He found his plane gone, when he arrived at the airport.

وكغيره من التراكيب المترابطة نحوياً فإن اسم الفاعل هو عبارة لغوية (أو إن شئت الدقة عنصر من عناصر العبارة اللغوية) يتبع القواعد النحوية، ولذلك فهو رغم تعقيداته النحوية العالية، يسهل استخدامه نحوياً ومن حيث المعنى على أيدي من يكون ضليعاً في اللغة. وبصورة عامة فإن اسم الفاعل يمثل في حد ذاته مجموعة من الأدوات اللغوية يمكن استخدامها كثيراً لصياغة القوالب النحوية الكثيرة واعطاء الكثير الكثير من ظلال المعاني المختلفة وكمثال على ذلك ١٠،

3. She leaned back upon her pillow, she clasped her hands behind her head, and musingly contemplated the ciling.

Leaning back upon her pillow, she clasped her hands behind her head, and musingly contemplated the ceiling.

She leaned back upon her pillow, and, clasping her hands behind her head, musingly contemplated the ceiling.

Leaning back upon her pillow and clasping her hands behind her back, she musingly contemplated the ceiling.

وتوضح هذه الأمثلة، بصورة مقنعة أن اسم الفاعل يسمح بعدد من صيغ الاستعمال الصحيحة والتي رغم اختلاف السياق فيما بينها تحتوي على مظهر مشترك يتمثل في أن متحدث اللغة البالغ يستطيع التلاعب باسم الفاعل لبناء جمل تامة تتراوح ما بين البساطة التامة والتعقيد البالغ. وعن طريق استخدام اسم الفاعل يستطيع متحدث اللغة أن يتبنى جملاً تامة يتمثل فيها الاقتصاد اللغوي وهو كما سبق أن اشرت يسمح باختلافات دقيقة بين المعنى الاساسي والمعنى الهامشي في الموقف التحادثي الاتصالي الواحد.

ان تركيز المعنى والبنية النحوية الذي يمكن تحقيقه باستخدام اسم الفاعل له ثمن باهظ تدفعه الترجمة الآلية. فاسم الفاعل بطبعه بنية لغوية ضمنية، واذا ما قورن بغيره من بنى الجملة النحوية والخاصة بالمعنى الظاهرة يمثل (أي

اسم الفاعل) تشابكا لغويا على قدر كبير جدا من التعقيد. وإذا ما وضعنا هذا المعنى بلغة نظرية الاتصال فإننا نقول ان اسم الفاعل هو في الاساس من اختصاص المتحدث وليس من اختصاص السامع والمترجم شأنه في ذلك شأن المستمع للغة المترجم منها لا يمكنه أن يختط لنفسه استراتيجية لغوية كتلك التي يختطها المتحدث باللغة المترجم منها بل عليه أن يطور لنفسه استراتيجية لغوية خاصة قائمة على اللغة المترجم لها واجراءات اعادة التنظيم اللغوية هذه (عند المترجم) اجراءات معقدة بشكل خاص في تلك الحالات (أو اللغات) التي لا يكون اسم الفاعل فيها متاحا بصورة مباشرة مع الجملة الرئيسية المضاف اسم الفاعل لها أو في حالة الجمل التي يكون فيها اسم الفاعل مضافاً وتسمح هذه الجمل بعدة تفسيرات يتطلبها المعنى ومثل هذه الحالات موجودة فعلاً كما سنرى فيما بعد.

مما سبق يبدو أن بإمكاننا أن نصل الى نتيجة هامة مفادها أن الشرط الأساسي للحصول على ترجمة آلية مناسبة لاسم الفاعل في اللغة المترجم منها هو الاعتراف بعلاقاته الوظيفية أكثر من الاعتراف ببنيتها النحوية. وإذا ادركنا مدى الصعوبة التي غالباً ما يواجهها المترجم الانسان في التعامل بكفاءة مع اسم الفاعل عند ترجمته من الانجليزية الى الالمانية فن الواضح ان الترجمة الآلية في هذا المجال تواجه مشاكل ضخمة لا تسمح بالاعتماد على الحلول السهلة. ولذلك فإنني أود أن اقدم لكم بعض الافكار الاولى من وجهة نظر لغوية ولغوية نفسية — التي اطمح بها لوضع هذه المشكلة في اطارها الصحيح، بدلاً من محاولة تقديم حلول يمكن الاعتماد عليها في الترجمة الآلية. وعند تقديم هذه الأفكار فإن لي هدفاً آخر كذلك — فناقشة مشاكل الترجمة الآلية مثل مشكلة السلوك البنيوي والمعنوي (أي الدلالي) لاسم الفاعل المتضمن في الجمل المعقدة (complex sentences) لكفيل ايضاً بفتح اعيننا على مشاكل معينة في مجال الترجمة الانسانية ومن ثم

الاسهام في ميدان علم الترجمة الذي شهد ويشهد اهتماماً كبيراً جداً خلال العشرين سنة الماضية. فعلم الترجمة والترجمة الآلية في نهاية المطاف يستمدان شرعيتها من الحقيقة القائلة ان الترجمة الى حد كبير تقوم على النقل (من لغة لأخرى) الخاضع لقواعد معينة والنقل الذي يشذ عن تلك القواعد والتي (أي القواعد والشواذ) يمكن وضعها على شكل قواعد احصائية رقمية والتي بدورها توحى بتقسيم اجراءات الترجمة الى تقسيمات فرعية. ووضعها على شكل انماط اداء روتينية ومعرفية. وتوزيع اجراءات الترجمة الخلاقة وغير الخلاقة يختلف من نص لآخر ومن مترجم لآخر. وحقيقة ان المترجمين غالباً ما يجدون من الصعوبة بكان التوصل الى ترجمة مناسبة لاسم الفاعل ليست الا دليلاً على أن ميدان اعادة صياغة اسم الفاعل ونقله الى اجراءات هي عملية تلعب دوراً ثانوياً الى حد كبير.

ان ما سقناه آنفاً له تطبيقاته المباشرة في الترجمة الآلية كما سيتضح لو تكرمت بالامعان في الامثلة التالية:١١:

4. Having finished his work, he went home.
5. Having better arguments at his disposal, he was naturally more successful in his election campaign than his opponent.

ان هاتين الجملتين تكشفان عن بنية نحوية لا لبس فيها ولا غموض. فهما تتكونان من جزأين رئيسيين اسم فاعل يصف ما بعده (a pre-mod ifying PC) وجملة تامة (a finite clause) في موقع نهاية الجملة.

ويمكن ترجمة هاتين الجملتين الى اللغة الالمانية بأساليب مختلفة ولكنها متساوية بصورة أو باخرى. وسأقوم الان بتوضيح هذه المقولة باعطاء ثلاث ترجمات مختلفة مقبولة في اللغة المترجم لها (الالمانية) للمثل رقم (٤).

6. Nachdem er seine Arbeit beendet hatte, ging er nach Hause.

والترجمة الحرفية الانجليزية لهذه الجملة هي ١٢:

After he had finished his job, he went home.

Er beendete seine Arbeit, und ging dann nach Hause.

والترجمة الحرفية الانجليزية لهذه الجملة هي ١٣ :

He finished his work and then he went home.

Nach Beendigung seiner Arbeit ging er nach Hause.

والترجمة الحرفية الانجليزية لهذه الجملة هي ١٤ :

After the completion of his work he went home.

وجميع هذه الترجمات الثلاث تلقى اضواء هامة لسببين اثنين :

١ — الترجمات الثلاث ترتبط بعلاقات اعادة صياغة بنيوية نحوية مع الجملة الاصلية في اللغة المترجم منها، وكل اعادة صياغة تقدم بعدا وظيفيا هاما للجمال. والحقيقة ان الترجمة الحرفية الالمانية للجملة هي :

Seine Arbeit beendet haben, ging er nach Hause.

وكون «قد انتهى من عمله وعاد للمنزل» جملة مسموح بها من الناحية النظرية لأن قواعد اللغة الالمانية النحوية تسمح بمثل هذه الجملة ولكن الترجمة على هذا النسق قد تخرق الانماط البنيوية النحوية المتعارف عليها اذا ما اتفقنا ان تعبير «المتعارف عليها» يعني اجماع المجموعة اللغوية الالمانية على وسائل التعبير التي يمكن للمتحدث باللغة استخدامها دون أن يثير استغراب أهلها. وهكذا فان اختيار صيغة من الصيغ الثلاث، دون الصيغتين الاخرين، يعتمد على المفاضلة بين مختلف الأساليب وعلى العوامل اللغوية النفسية، وهذا ما لا أود الخوض فيه في هذا المقام.

٢ — ان بدائل الترجمة الثلاثة تسمح بتغيرات زمنية لعلاقة المعنى (الدلالة) بين اسم الفاعل والجملة الرئيسية (الملحق بها). وفي الحالات الثلاثة فإن العلاقة الزمنية ظاهرة ويعبر عنها حرف العطف « nachdem » (after) « بعد » أو ظرف الزمان

» dann « (then) « ثم » ، أو حرف الجر

“nach” “after” والنتيجة البنيوية النحوية لذلك هو بنية

مركبة افتراضية وفي الحالة الثانية بنية مركبة شبه تكتيكية

«paratactical» وفي الحالة الثالثة جملة شبه تكتيكية بسيطة وحرف جر.

والشيء الهام في الصيغ الثلاث هو الترجمة للانجليزية على أساس الاجراءات البديلة. وحقيقة ان الناطق باللغة الانجليزية غالبا ما يفضل اسم الفاعل الملحق (a PC embedding) ، رغم امكانية استبدال البنية النحوية الالمانية بصيغة مقابلة في اللغة الانجليزية ، هذه الحقيقة تظهر أن عملية تنشيط الانماط اللغوية في اللغتين. فالناطقون بالانجليزية والالمانية يتجهون اتجاهاً لغوية مختلفة وهذا فإنه يمكن لنا أن نعرف الترجمة بين اللغات بأنها في الأساس عملية ذات اتجاه واحد أو اتجاه من اللغة المترجم منها الى اللغة المترجم اليها والعكس غير صحيح. والاثـر الناجم عن ذلك على الترجمة الآلية هو أن الباحثين في ميدان الترجمة الآلية لا يمكن لهم استخدام عملية البرمجة ذاتها للترجمة في الاتجاهين من وإلى اللغة الانجليزية الى ومن اللغة الالمانية. بل الصحيح هو أن هؤلاء الباحثين مجبرون على تطوير برمجة محددة للترجمة في كل من الاتجاهين وبأنظمة فرعية لكل منها من الأنظمة البنيوية النحوية الدلالية. وفي هذه الحال فإن الباحث في الترجمة الآلية من الانجليزية الى الالمانية في وضع أصعب من وضع الباحث في الترجمة الآلية من الالمانية الى الانجليزية ، لأن برمجة ترجمة آية من الانجليزية الى الالمانية لا بد أن تتضمن أنظمة فرعية لنقل اسم الفاعل الى بنى جمل تامة إذا ما أريد لهذه الترجمة الآلية أن تكون أكثر من مجرد ترجمة فقروءة ليست أكثر أو أقل من ترجمة حرفية لكلمة من هذه اللغة الى كلمة أخرى في تلك. ان هذا العمل، كما اشرت، عمل صعب لأن انماط الفاعل التي نحن بصددھا الآن هي بنى غير تامة نحويًا لا يمكن برمجتها من وجهة نظر البيانات اللازمة

للكمبيوتر من النواحي النحوية والدلالية. وهي بيانات لا زال الكمبيوتر في أمس الحاجة لها لتحليل النصوص تحليلاً كافياً عند الحد الأدنى، ومن ثم نقله آلياً الى اللغة الأخرى.

والصيغ النحوية غير التامة تبدو ظاهرة في غياب اسم الفاعل الذي يعمل كمبتدأ للجملة (a subject phrase in the PC) وبعبارة أخرى فإن اسم الفاعل لا يحتوي على مؤشر للدلالة على أنه يعمل كمبتدأ للجملة وهذا الذي يتوجب استنتاجه من الجملة التامة (الملحق بها اسم الفاعل). أما الخبر (the predicate phrase) فهو غير محدد من حيث الجنس والعدد والزمن. ولذلك فإن إزالة هذا الغموض يستوجب تحليلاً دقيقاً مفصلاً للسياق، كما يظهر ذلك المثال التالي ١٥:

7. Entering Saarbrücken University through the main gate, we find ourselves in front of the administration building.

فغياب أداة التحديد النحوية في كل من المبتدأ والخبر تعوضه، جزئياً اللاحقة ing في كلمة entering وهي التي تعمل كعلامة نحوية وبالتالي فهي (أي ing) تمثل وسيلة تساعد في عملية التحليل اللازمة لبرمجة الكمبيوتر. ومع ذلك فإن الحقيقة هي أن تعدد أدوار اللاحقة يوقف، أن لم نقل يناقض، دورها في عملية العزل الآلي للعلاقات النحوية الظاهرة. ولا أحد يعرف الآن كيف يمكن ضمان تحديد دور اسم الفاعل والجملة التامة الملحق بها تحديداً نحوياً خال من الغموض وفيما اذا كان استخدام الألوان كعلامة نحوية اضافية يمكن أن يسهل لنا عملية التحديد هذه. أن مثل هذه الاسئلة لا يمكن حلها إلا عن طريق البحث التجريبي الواسع. وكل ما اجرؤ على قوله الان بثقة الى حد ما هو أن مثل هذه الحلول يمكن التوصل اليها اذا ما بدأنا ببنى نحوية بسيطة مثل ما يطلق عليه

اسم سياق اسم الفاعل المتعارف عليه (Standard PC event)
المتمثل في اسم فاعل واحد وجملة تامة ملحق بها واحدة فحسب .

ومما يزيد الطين بلة، لم نتناول بالبحث حتى الان سوى مشكلة رمزية
فحسب وهناك الكثير الكثير الذي ينبغي البحث فيه الذي سوف يظهر امامنا
عندما نبدأ البحث والتفكير في المشكلة المتمثلة في أن العلاقات النحوية
الظاهرة شيء والعلاقات النحوية التحتية شيء آخر. وعلى هذا الصعيد فإن
اسم الفاعل يشكل مشكلة عويصة لأنه يمكن أن يعبر عن كثير من العلاقات
الدلالية التي لا تظهر في الصيغ النحوية الظاهرة. كذلك فإن الصيغ
النحوية والصيغ الدلالية لا يمتد الواحد منها للآخر ونتيجة لذلك فإن أي اسم
فاعل يتطلب تفسيراً دلالياً وهذا يعني أنه عند الانتقال من اللغة المترجم منها
الى اللغة المترجم لها لا بد من اعطاء الاداة الدلالية البديلة كشرط أساسي
لاقامة الترابط الدلالي الواضح بين اسم الفاعل والجملة التامة الملحق بها.
واذا نظرنا الى اسم الفاعل من هذا المنظور فانه (أي اسم الفاعل) يمكن أن
ينظر اليه كشبيه بالكلمات المركبة، اذا ما نظرنا اليه ضمن اطار بنوي
هرمي على مستوى اعلى والكلمات المركبة هي التي يصفها اوتو جيسبرسون
(Otto Jespersen) بقوله: « ان ميزة الكلمات المركبة تكمن
في دقتها .. فالكلمات المركبة تعبر عن علاقة بين شيئين أو فكرتين ولكنها لا
تقول شيئاً عن الطريقة التي يمكن لنا بها فهم هذه العلاقة، وهذه العلاقة لا
بد من استنتاجها من السياق العام أو من غيره ... » (جيسبرسون، المجلد
الرابع ص ١٣٧) .

فإذا ما ترجمنا عبارة جيسبرسون هذه، في اطار ما نتحدث عنه من
موضوع، فإنها تعني ان ترجمة اسم الفاعل للغة التي تترجم لها يتوقف على
الذكاء الدلالي (أي ذكائه في فهم المعنى) للمترجم الذي يتوجب عليه أن
يكون قادراً على التعرف على التفاعل الوظيفي للعوامل الدلالية التحتية والتي

تكوّن مجتمعة معنى جملة من الجمل.

وليس تافها أن نقول كذلك إن التعرف على الهدف الوظيفي لجملة ما ملحق بها اسم فاعل هو أمر أكثر صعوبة على الكمبيوتر مما هو على المترجم الإنساني لسببين اثنين :

ففي المقام الأول يستطيع المترجم الإنساني أن يعتمد على قدرة عقله على الربط وهي قدرة تمكنه من اعطاء عبارات متساوية منطقياً (أي عبارات من اللغة المترجم لها متساوية مع عبارات المترجم منها) حتى تحت ظروف لغوية غير مواتية، على سبيل المثال البنى الضمنية مثل اسم الفاعل الملحق . وفي المقام الثاني فإن المترجم الإنساني يستطيع اللجوء الى معلومات غير لغوية متوافرة في الموقف التحادثي والتي يستطيع التوصل اليها عن طريق تحليله المفصل الدقيق للنص .

أما الكمبيوتر، من ناحية أخرى، فتنقصه هاتان الخاصيتان وهما مجتمعتان تستطيعان ضمان ترابط متداع بين التعرف على ما تم التعرف عليه في عملية الترجمة وتطبيق ذلك في عملية الترجمة ذاتها . ولما كان الكمبيوتر لا يمتلك هذا الذكاء الخلاق المساعد فإنه لا يستطيع أن يطور لنفسه (أي الكمبيوتر) استراتيجيات معرفية مثل تلك المطلوبة لعملية الترجمة التي سميناهـا « النقل غير المباشر »، أو الانتقال من البنية الظاهرة للغة المترجم منها الى البنية التحتية لهذه اللغة ثم الانتقال الى البنية التحتية للغة المترجم لها وأخيراً الانتقال الى البنية الظاهرة لهذه اللغة المترجم لها . وحتى اليوم لا يوجد هناك ثمت دليل على أن عملية النقل المتعددة هذه قد تم تضمينها أو يمكن تضمينها في برجة الكمبيوتر .

زد على ذلك، أن علم اللغة نفسه لا يمتلك حتى الان سوى معلومات مجزأة عن التفسير الدلالي للعلاقات البنيوية النحوية الضمنية وعن طريقة توليد الجمل . ومن هنا فإن أبحاث الترجمة الآلية حتى الان قد اجمت،

اللهم بعض الاستثناءات القليلة النادرة، عن النظر الى عمليات الترميز وحل الرموز كاجراء دينامي وكذلك عن محاكاة الترجمة الانسانية بكل ما فيها من أبعاد لغوية ولغوية نفسية. وبدلاً من ذلك قامت أبحاث الترجمة الآلية بمحاولة حل مشاكلها عن طريق أساليب الاستبدال أي عن طريق استبدال البننى اللغوية الظاهرة في اللغة المترجم منها الى مثيلاتها في اللغة المترجم لها. ونتيجة لذلك فإن الترجمة الآلية قد تجاهلت الى حد كبير، لحد الآن ثلاثة عوامل حاسمة :

- ١ — ان معنى الجملة لا يشكل دائماً مجموعة من المظاهر الدلالية الصريحة.
- ٢ — ان الاشارات (الرموز) اللغوية وترباطها مع بعضها بعضاً تختلف في قدراتها على الاشعاع في السياق، اذا جاز لنا استخدام التعبير المجازى.
- ٣ — ان الترجمة في الأساس ليست عملية لغوية بل عملية لغوية نفسية تفترض تفسيراً دلالياً (أي من حيث المعنى) لنصوص اللغة المترجم منها.

ان برامج التحليل والتركيب التي تم تطويرها حتى الان على أيدي أبحاث الترجمة الآلية المحضة لا زالت محدودة الفائدة لأنها تطبق، بصورة ضمنية علاقة مثالية بين المرسل والمستقبل وهي علاقة نادرة ما تحدث في التبادل التحادثي اللغوي الحقيقي.

وطالما ظلت أبحاث الترجمة الآلية مقتصرة على برامج النقل التي تعمل من خلال الخصائص النحوية للجمال اللغوية فحسب فلن تستطيع تحقيق أكثر من ترجمة حرفية قائمة على نقل كلمة من لغة ما الى كلمة في لغة أخرى، بل حتى هذه النتيجة لن تكون ممكنة إلا اذا كانت ترجمة النصوص خالية من عناصر التعقيد اللغوي الأخرى. ومثل هذا الاجراء في الترجمة الآلية لا يعدو أكثر من كونه مجرد حل أو بديل مؤقت لأنه ينتج، على أية حال، ترجمة مفهومة.

ولا ينبغي أن يغرب عن بالنا أنه اذا ظل الأمر قاصراً على توليد ترجمة نحوية بدلاً من ترجمة وظيفية، فإن الترجمة الآلية ستظل تراوح في مجال إنتاج ترجمة تقوم على البنى النحوية التي توجد مثيلاتها في اللغة الالمانية وان كانت هذه البنى النحوية تحتل مكاناً آخر في اللغة الالمانية غير ذلك المكان الذي تحتله مثيلاتها في اللغة الانجليزية.

أما إذا ارادت الترجمة الآلية أن تحقق ما نادى به بارهيل قبل سنوات وسماه الترجمة الآلية الكاملة ذات النوعية العالية فلا بد من تطوير برامج لا تقوم على التحليل والتركيب البنوي النحوي فحسب بل على التحليل والتركيب الدلالي كذلك. وعندئذ يصبح دور هذه الترجمة الآلية متمثلاً في اعطاء الكمبيوتر المعلومات التي تعوضه عن القدرة اللغوية التي تنقصه وهذا هو الشرط الاساسي للتوصل الى نتائج ملائمة من الترجمة الآلية.

ولأمثل على ذلك بالمثالين التاليين ١٦ :

8. Having solved the problem he went home to relax.

9. Having forgotten his book he went home to fetch it.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وكما ترون هناك جملتان هما نفس البنية النحوية وكل منهما تتألف من ثلاثة مكونات رئيسية: اسم فاعل في المقدمة ونهاية الجملة ثم جملة تامة وفي كلتا الحالتين فهما متماثلتان (أي الجملة في كل من (8) و(9)) نحوياً ومن حيث الكلمات ويعقب ذلك صيغة مصدرية تنتهي بها كل جملة ولكن يتم المعنى بهذه الصيغة المصدرية في الجملة الأولى وهناك تكملة في محل مفعول به في الجملة الثانية. كذلك فإن الجملتين تظهران تتابعاً في الزمن وضح من اسم الفاعل (havin + ing) واسم المفعول في الجملتين (forgotten, solved) على التوالي.

وعلى الرغم من التوازي البنوي النحوي في الجملتين، فإن عملية الترجمة تظهر ان العلاقات البنوية الدلالية بين اسم الفاعل والجملة التامة التالية له

علاقات مختلفة بشكل بارز، لأن اسم الفاعل الأول يتطلب تفسيراً زمنياً في حين يتطلب اسم الفاعل الثاني تفسيراً سببياً:

Nachdem er das Problem gelöst, ging er nach Hause, um auszuruhen.

(After he had solved the problem a. s. o.)

Da er das Buch vergessen hatte, ging er nach Hause um es zu holen.

(Since he had forgotten the book a. s. o.)

حقيقة ان تفسيراً سببياً لاسم الفاعل في الجملة الاولى هو أمر ممكن ولكن هذا أمر مستبعد ١٧ :

Since he had solved the problem a. s. o.

ومن الناحية الأخرى فإن تفسيراً زمنياً لاسم الفاعل في الجملة الثانية هو أمر غير وارد على الإطلاق ١٨ :

Nachdem er das Buch vergessen hatte.....

After he had forgotten the book.....

ولو حاولنا تفسير مختلف العلاقات الدلالية بين اسم الفاعل والجمل التامة الملحق بها، فن الواضح أنه ينبغي أن نفترض وجود عوامل دلالية تحدد تحديداً خاصا البعد الدلالي للجملة بأكملها.

ولو قفنا بتحليل مفصل فلربما نجد أن الفعلين « finish » « أنهى » و « forget » « نسي » يسمحان أو يمنعان حالات دلالية معينة ضمن ظروف سياقية معينة. وإذا حاولنا الوصول الى نتائج معقولة من الترجمة الآلية في مثل هذه الحالة فإن الخيارات والقيود الدلالية يجب تضمينها في البرمجة للترجمة الآلية مسبقاً. ومثل هذه التعليمات لا بد أن تكون بالغة التفصيل حتى يمكن لها أن تعوض النقص العقلي (الغبي) الذي عليه الكمبيوتر وهو (أي الكمبيوتر) في اعتقادي عاجز تماماً عن عمليات المعالجة الذكية للمعلومات، وان كنت لا أود قول وصف أكثر تشاؤماً من هذا القول. ولذلك

فإن ما نحتاجه هو سلسلة متعاقبة من القواعد تسمح بإعادة صياغة ظاهرة للعلاقات الدلالية الضمنية بين اسم الفاعل والجمل التامة الملحق بها حتى يمكن لنا أن نعفي الكمبيوتر من القيام بقدرات هي فوق طاقته.

ومن الناحية النظرية يبدو أن هناك طريقين يمكن السير فيها :

١ - تطوير برنامج إعادة صياغة لغوي مشترك يحول اسم الفاعل في اللغة المترجم منها بطريقة متتابعة محددة من القواعد التحويلية الى بنية محددة، في الوقت نفسه تحل محل المبتدأ عن طريق قواعد اضافة خاصة. وهذا يتطلب قواعد إعادة صياغة لا زالت غير معروفة الى حد كبير حتى الان. ولذلك فإن الخطوة التالية ستكون استبدال البنية النحوية المحددة للغة المترجم منها ببنية نحوية مطابقة لها للغة التي يترجم اليها.

٢ - والاحتمال الثاني هو محاولة تطوير لغة مشتركة أو بمعنى آخر لغة دلالية وسطى يمكن لها أن تستخدم على نطاق واسع لتوضيح العلاقات البنيوية النحوية والبنيوية الدلالية في معنى الجملة الى عدد من مجموعات العناصر الدلالية المبرمجة.

وهذا القول سهل من الناحية النظرية ولكنه صعب عند التطبيق. لأن صيغ اسم الفاعل شئنا أم ابينا غامضة من حيث الدلالة. ولنتذكر المثال
« having finished his work he went home to relax »

الذي يسمح بتفسير اسم الفاعل زمنيا أو سببيا. فلو كنا نميل الى التفسير الزمني، فان تفسير ذلك هو أن صيغ اسم الفاعل ذات الحالات الزمنية تفوق عددا، احصائياً، صيغ اسم الفاعل ذات الحالات السببية.

ومن الواضح أن وجود كلمات تخدم كعلامات لتحديد الحالات هو بالأمر الهام للتعرف الآلي على العلاقات الدلالية بين اسم الفاعل والجملة التامة المرتبط بها، لأن مثل هذه العلاقات الدلالية طيعة المعالجة الآلية أكثر من

صيغ اسم الفاعل بدون هذه العلامات ولنقارن هذين المثالين ١٩:

10. Having passed his final examinations he opened a bookshop.

11. After passing his final examinations he opened a bookshop.

فن الواضح أن درجة الوضوح الدلالي في اسمى الفاعل مختلفة. ففي حين نجد المثال الاول يحتوي على علامة بنيوية فحسب، فإن المثال الثاني يحتوي على معلومات دلالية اضافية متمثلة في وجود كلمة « after » (بعد) وهي معلومات لا شك أنها تقدم وسيلة اضافية للتعرف على معنى الجملة. والأفضل من الصيغتين وأكثر وضوحاً هو قولنا ٢٠:

After having passed his final examinations, he opened a bookshop.

ووسائل توجيهية مساعدة أخرى في تحليل اسم الفاعل بصورة آلية ستكون هي الأخرى مفيدة. فنحن نعرف، على سبيل المثال، ان اسم الفاعل الذي يعمل كمساو بنيوي نحوي للجمل التامة من النوع الذي يحتوي على مبتدأ + فعل الكينونة (be) + خبر صفة تتطلب في العادة تفسير سبب وبالتالي تسمح بصياغة قواعد اسقاط (projection) محكمة. وفيما يلي بعض الأمثلة ٢١:

12. Being in haste he left the door wide open → since

13. Not being old enough to work he was very badly off → since

14. Being more sophisticated than his adversary he had no difficulties in pushing through his argument → since

والاستثناء الوحيد المعروف لي هو الصيغة التالية التي يتردد استخدامها في النصوص الفنية العلمية ٢٢:

15. Other things being equal,

ومثل صيغ اسم الفاعل هذه قد مرت بعملية تحجر تعبيري ومن ثم فقد أصبحت لا تعتمد على السياق. والشيء ذاته ينطبق على تعبيرات مثل

(For the time being) (في الوقت الراهن) . ولعل أبسط طريقة للتعامل مع مثل هذه العبارات في التحليل الآلي هو معاملتها كوحدات اصطلاحية وخزنها في الكمبيوتر كتلة واحدة . ولكن مثل هذه المساعدة ، على أهميتها للترجمة الآلية ، لا تعدو كونها غيض من فيض أو نقطة من بحر . ولا مجال لإنكار الحقيقة القائلة ان اسم الفاعل ككل يسبب لأبحاث الترجمة الآلية الكثير من المشاكل التي لم تحل والتي قد لا يكتب لها الحل على الاطلاق واذا كنت اقول هذا فلا اعني ان نلقي بأبحاث الترجمة الآلية جانبا ونعترف بهزيمتنا في هذا المضمار . ولكن ما أود التاكيد عليه بل والتوصيه به هو أن أبحاث الترجمة الآلية في المرحلة الأولى ينبغي أن تركز على اهتمامها في البحث في صيغ اسم الفاعل بالنسبة لموقعه في أول الجملة .

ويفترض في هذا النوع أنه هو الأسهل تناولاً من بين صيغ اسم الفاعل الأخرى لأن التحليل الآلي بإمكانه ، في هذا المجال ، أن يعتمد على التحليل الذي اشرت اليه فيما سبق والخاص بالجملة الرئيسية التامة وهذا يكون امام هذا البحث من البيانات التي لها تأثير متوقع وبالتالي يمكنه أن يعلى من شأن اجراءات القرارات الآلية واجراءات القرارات هذه هي أكثر تعقيداً في حالة اسم الفاعل التالي للجملة وتفرعاته .

وايا ما تكون النتائج فإنها على أية حال ستقدم للترجمة الآلية معلومات هامة عن امكانية إيجاد الحلول لمشاكل الترجمة الآلية الاساسية ونعني بذلك الى حد يمكن اخضاع اجراءات النقل المشتركة (بين اللغة المترجمة منها واللغة المترجم لها) الى الوصف العلمي وعملية استثمار تحويل الحروف الى أرقام ضمن اطار برمجة كمبيوتر مطردة .



- ١ - اشرنا الابقاء على الجمل الانجليزية هذه (وما سيرد من جل) في النص واعطاء ترجمة عربية لها في الهامش كما سيلى (المترجم):
- (١) لو كان قد فعل ذلك لكان قد عوقب عليه.
- (٢) لو فعل ذلك الان (ولكنه لن يفعله) لعوقب عليه (ولكنه لن يعاقب).
- (٣) لو كان يفعل وسيفعل ذلك فسوف يعاقب ويستمر عقابه.
- (٤) لو يفعل ذلك (وهذا محتمل) فسوف يعاقب (وهذا محتمل).
- ٢ - الترجمة العربية لهذه الجملة كالتالي (المترجم):
- (٥) من المذلة الا يكسب قط.
- (٦) ألا يكسب قط مذلة.
- (٧) انها لعبة لا يكسبها قط.
- (٨) لا يكسب أية لعبة قط.
- ٣ - هذا الاختلاف واضح في البنية الظاهرة للجمل العربية (المترجم).
- ٤ - الترجمة العربية لهذه الجملة كالتالي (المترجم):
- (٩) التنس لعبة لا يكسبها قط.
- ٥ - الترجمة العربية لهذه الجملة كالتالي (المترجم):
- (١٠) التنس مذلة لا يكسبها قط.
- ٦ - ترجمة الجملة (١١) للغة العربية هي في الواقع الترجمة الواردة في الجمل الثلاث التالية (المترجم).
- (١٢) عند التغير الى قياس الضبط الزائد، فإن العمال سيغيرون الى نقطة الصفر.
- (١٣) عند التغير الى قياس الضبط، فإن العمال سيغيرون الى نقطة الصفر.
- (١٤) عند التغير الى النهاية، فإن عمال قياس الضبط سيغيرون الى نقطة الصفر.
- ٧ - هذا ما حدث عند ترجمة الجمل المذكورة اعلاه الى اللغة العربية كذلك (المترجم).
- ٨ - «بيت محترق» أو «سؤال حارق» (المترجم).
- ٩ - الترجمة العربية للجمليتين كما يلي (المترجم).
- ١ - هاريت، بعد أن أخذت طبقاً من اللحم البارد لها، أخذت تبحث عن شريك يجالسها على الغداء.
- بعد ان أخذت هاريت طبقاً من اللحم البارد لها، أخذت تبحث عن شريك يجالسها على الغداء.

- ٢ — بعد وصوله للمطار وجد أن طائرته قد رحلت .
وصل الى المطار ووجد أن طائرته قد رحلت .
وجد أن طائرته قد رحلت عندما وصل الى المطار .

- ١٠ - الترجمة العربية للجمل كالتالي :

- ٣ — ومالت على وسادتها وعقصت يديها خلف رأسها وتأملت السقف باستغراق .
— بعد أن مالت على وسادتها، عقصت يديها خلف رأسها وتأملت السقف باستغراق .
— ومالت على وسادتها وعاقصة يديها خلف رأسها تأملت السقف باستغراق .
— وبعد أن مالت على وسادتها وعقصت يديها خلف رأسها، تأملت السقف باستغراق .

- ١١ - الترجمة العربية كالتالي (المترجم)

- ٤ — بعد الانتهاء من عمله، عاد للمنزل .
٥ — لما كان لديه حججا أفضل تحت تصرفه، فن الطبيعي أن يكون أكثر نجاحاً في حملته الانتخابية من منافسه .

- ١٢ - الترجمة العربية كالتالي (المترجم)

- بعد ان كان قد انتهى من عمله، عاد للمنزل .

- ١٣ - الترجمة العربية للجمل كالتالي (المترجم) .

- انتهى من عمله وبعد ذلك عاد للمنزل .

- ١٤ - الترجمة العربية للجمل كالتالي (المترجم) .

- بعد أن أتم عمله عاد للمنزل .

- ١٥ - الترجمة العربية للجمل كالتالي (المترجم)

- عند دخولنا جامعة ساربروكن من البوابة الرئيسية، نجد أنفسنا وجها اوجه أمام بناية الإدارة .

- ١٦ - المعنى العربي للجملتين كالتالي (المترجم) :

- ٨ — بعد أن حل المشكلة ذهب للمنزل ليستريح .
٩ — لما كان قد نسي كتابه فقد ذهب للمنزل لاحضاره .

- ١٧ - الترجمة العربية للجمل كالتالي (المترجم) :

- لما كان قد حل المشكلة ... الخ .

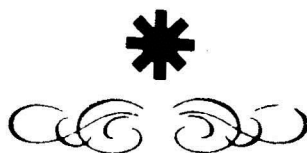
- ١٨ - الترجمة العربية للجمل كالتالي (المترجم) :

- بعد أن كان قد نسي الكتاب ... الخ .

- ١٩ - الترجمة العربية كالتالي (المترجم)

- ١٠ — وقد انتهى من تقديم امتحاناته النهائية، قام بفتح مكتبة .

- ١١ - بعد أن انتهى من تقديم امتحاناته النهائية، قام بفتح مكتبة.
- ٢٠ - الترجمة العربية كالتالي (المترجم)
بعد أن كان قد انتهى من تقديم امتحاناته النهائية، قام بفتح مكتبة.
- ٢١ - الترجمة العربية كالتالي (المترجم)
١٢ - لما كان على عجل فقد ترك الباب مفتوحا على مصراعيه.
١٣ - لما لم يكن كبير السن بما فيه الكفاية فقد ظل فقيرا معذما.
١٤ - لما كان أكثر قدرة من خصومه فلم يكن يواجهه أية مصاعب في تقديم حججه.
- ٢٢ - الترجمة العربية كالتالي (المترجم):
١٥ - دون أخذ عوامل أخرى بعين الاعتبار، ...



السيدان الثالث

★★

وراستهم في حدود الترجمة

★★

بقلم: د. طارق عبد الجواد

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

لقد أدى التطور في مفاهيم القومية واللغة الوطنية الى تحديد الحواجز الثقافية بشكل لم يسبق له مثيل كما نتج عن ذلك احساس جديد ومتعمق باللغة القومية في كل مكان حيث تواكب ذلك الاحساس مع احياء لنظم اللغة القومية، بما في ذلك تحديث التراكيب اللغوية في معظم الحالات. وقد سار هذا الاتجاه في خط متواز مع متطلبات التنمية في عالم يسود فيه مبدأ الاعتماد المتبادل، مما يؤدي بالضرورة الى الحاجة الملحة الى التواصل المستمر مع العالم خارج الحدود والتفاعل الثقافي معه. ومن هنا تبرز أهمية الترجمة كوسيط مهم وكمادة تستدعي الدراسة المتعمقة لمعرفة كيفية مواكبتها لصالح أهدافنا القومية.

ان الترجمة يجب أن تدرس على أساس أنها مادة أكاديمية ذات نظام خاص بها وليس بوصفها فرعاً جزئياً من الدراسة الأدبية المقارنة أو موضوعاً متفرعاً من الدراسات اللغوية، بل هي مادة أكاديمية جديدة ذات علاقة متبادلة مع المواد الأخرى وبخاصة اللغوية منها والأدبية.

ولقد أخذت الترجمة لمدة طويلة على أنها نشاط ثانوي، وأنها عملية «ميكانيكية» آلية وغرض النظر عن طبيعتها الإبداعية، كما أن البعض اعتبرها سهلة وفي متناول كل شخص ملم بعض الشيء بلغة أخرى غير لغته الأصلية.

وبديهي أن صورة الترجمة السابقة تدل على التقليل من شأنها في أذهان من تصوروا دور الترجمة محدوداً بمفاهيم ضيقة للغاية. فالترجمة تعتمد على أمور أكثر بكثير من المعرفة العملية بلغتين وهي حسب تعريف ليفي لا تنحصر فقط في الإنشاء الأحادي، بل هي تفسير و«توليف» بنائين لغويين مختلفين. فعلى قطبي الترجمة تقف من جهة المحتويات المدلولة أو الدلالية إضافة إلى الشكل العام للأصل وعلى الجهة الأخرى يتواجد النظام العام للسمات الجمالية المرتبطة باللغة المترجم إليها.

فالترجمة اذن هي في واقع الأمر اكتشاف لمادة جديدة، وبناء جسور تعبر الطريق بين المسافات الشاسعة للخصائص الأسلوبية، والتاريخ الأدبي، واللغويات، ونظام الاشارات اللغوية، والجماليات. وفي نفس الوقت فان الترجمة راسخة القدم في نواحي التطبيق العملي.

وفي هذه المقالة استعراض عام لمكونات الترجمة وعملياتها وأهم النظريات التي سادتها منذ أقدم الأزمان حتى العصر الحديث. وتقع المقالة في قسمين الأول الترجمة منذ عصر الرومان حتى أوائل القرن العشرين والثاني الترجمة في ضوء الاتجاهات الحديثة.

١ - الترجمة منذ عصر الرومان حتى أوائل القرن العشرين :

يتناول جورج ستاينز في كتابه ما بعد بابل (١) تاريخ الترجمة مقسماً على أربعة مراحل زمنية، تمتد الأولى منها من مقولات سيسرو وهوراس عن الترجمة الى مقالة الكسندر فريزر تيتلر عن الترجمة في عام ١٧٩١.

ولقد شعر الرومان بأن للترجمة دوراً ضرورياً في إثراء حياتهم الأدبية لذلك انكبوا على ترجمة الكثير من التراث اليوناني الى اللغة اللاتينية، والدراسات حول هذا الموضوع كثيرة في الوفرة والتنوع على أن ما يعيننا هنا هو تتبع النظرية وليس حصر ميادين الترجمة. ولقد ناقش الرومان الترجمة من زاويتين: الترجمة الحرفية (ابدال كلمة بأخرى) أو ترجمة المعاني (ابدال معنى بآخر)، ولقد تناول كل من سيسرو وهوراس هذين الاتجاهين في الترجمة، اذ يذكر هذا الأخير في كتابه فن الشعر بأن «الموضوعات المألوفة يمكن ادعاؤها للمكيته طالما أنك لا تضع وقتاً في التدقيق الزائد فيها. كما أنه لا يتوجب عليك أن تنقل النص الأصلي حرفياً بإحلال كلمة مكان أخرى كأنك المترجم المستعبد» (٢). ولقد كان هاجس المترجمين الرومان إثراء آدابهم وبالطبع يستدعي هذا إثراء اللغة، مما نتج عنه استعارة كلمات عديدة من اللغة الأغريقية، ولقد وصف هوراس عملية اضافة كلمات جديدة الى اللغة اللاتينية واختفاء أخرى بأنها مثل تغير أوراق الشجر في الخريف حيث تسقط وفي الربيع حيث تنمو أوراق جديدة محلها. وعلى العموم فلقد شجع هوراس الترجمة «الواعية» التي تعتمد على تفسير النص الأصلي وانتقاء المعاني الملائمة منه وترجمتها الى اللغة اللاتينية، وتلا الحقبة الرومانية عصر ترجمة الأنجيل الى اللغات الأوروبية المختلفة وذلك بعد انتشار المسيحية في العالم الغربي. ولقد ظهرت أولى ترجمات الانجيل في عام ٣٨٤ م على يد القديس جيروم الذي يبدو أنه تأثر بمبدأ سيسرو في ترجمة المعاني ومنذ ذلك الوقت وترجمات الانجيل تتخذ طابعاً خاصاً يرتبط بالمسائل القومية والسياسية المصاحبة

لأنحسار اللغة اللاتينية وظهور الدول القومية في أوروبا. وقد قام جون ويكلييف بأول ترجمة كاملة للإنجيل إلى اللغة الإنجليزية في عام ١٣٨٤، وظهر في مقدمة الجزء الخامس عشر من الطبعة الثانية وصف لعملية الترجمة والتي تمت على أربعة مراحل الأولى منها تضمنت جهداً جماعياً في الحصول على الأنجيل القديمة وتفسيرها وذلك بغية تحديد النص القابل للترجمة وتأتي بعد ذلك مرحلة المقارنة بين الأنجيل المختلفة تتلوها مرحلة المشاورة مع اللغويين القدامى ورجال الدين حول الكلمات الصعبة والمعاني المعقدة وأخيراً تأتي مرحلة الترجمة بوضوح للمعاني مع إخضاع النص المترجم لمراجعة وتصحيح فريق من المتعاونين (٣).

وتعتبر رسالة مارتين لوتر في الترجمة (١٥٣٠) مهمة حيث أنها قد ركزت على أهمية إصدار ترجمة في متناول القراء وتتمتع بزايا جمالية تتوافق واللغة المتداولة كما أن لوتر يؤكد على العلاقة بين الأسلوب والمعنى حيث يذكر أن «النحو ضروري للأعراب والصرف وتركيب الجمل، ولكن في لغة الحديث يجب إعطاء الأهمية للمعنى والموضوع وليس للنحو، حيث ليس للنحو سيطرة على المعنى» (٤).

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ولا شك في أن موضوع ترجمات الإنجيل مهم جداً في تتبع تاريخ الترجمة ونظرياتها في الغرب إلا أنني أكتفي بهذا القدر كي أثبت هنا بعضاً من الخطوط العامة لما يمكن تسميته بالنظرية العربية للترجمة. ولست أريد هنا أن أدخل في تفصيل الأهمية التي أولتها الحضارة العربية للترجمة، فهذا موضوع مقالة أخرى في هذا الكتاب بقلم الأستاذ الدكتور علي الراعي، ولكنني أود أن ألمح إلى منهج حنين بن اسحق المترجم العربي في القرن التاسع الميلادي. ففي رسالته إلى علي بن يحيى تتضح القواعد التي كان يسير بمقتضاها، فهو لم يكن يشرع في ترجمة سريانية أو عربية لنص ما لم يتمكن من جمع عدة نسخ لذلك النص، فيقوم بمقارنة النصوص لديه وذلك بالقراءة

المتفحصه لها جميعاً ومطابقتها على بعضها، وحينما كان يجد قراءات مختلفة للمخطوطات المتباينة كان عليه أن يقرر أي نسخة منها أقرب الى الأصل. قال حنين: «وجدنا في ثلاث نسخ يونانية لقيناها الى هذه الغاية خلا النسخة السريانية أن يحسب ما نجد جالينوس يقول بعد قليل، ليس هذا الجزء الوسط غضروفي، ولكنه عظمي، وان كان ذلك فليس يخلو من أحد أمرين اما أن يكون غلط من الكاتب، وأما أن يكون انسان ظن أنه يصلح الكتاب فغيره وأفسده». (٥) وسعياً وراء جمع المخطوطات قام حنين بزيارات الى كل من سوريا وفلسطين ومصر وذلك ايماناً منه بأهمية الاعتماد على النص الصحيح كقاعدة للترجمة (٦).

ولقد بذل حنين جهداً كبيراً في تعلم نحو اللغة العربية ودقائقها حيث يروي أنه ذهب الى البصرة للدراسة على أيدي النحويين فيها. ولقد كان حنين ماهراً في تحويل التراكيب اليونانية المعقدة الى عربية سهلة مفهومة وملائمة للأغراض العلمية، وعندما يواجه مشكلة نقل اصطلاح يوناني الى العربية، فلقد كان يتصرف بتفسير هذه العبارة وترجمتها بكلمتين عربيتين وذلك بغرض ايضاح الاصطلاح، كما أن حنين قد تجنب في ترجماته نسخ المصطلحات الاغريقية بحروف عربية كما كانت العادة في الترجمة السريانية، اذ شرع هو وتلاميذه يصوغون تعابير جديدة مستوحاة من اللغة العربية، كما أن عنايته باللغة العربية تظهر جلية في قائمة المصطلحات التي اختارها حنين ومدرسته. (٧)

وفي الحالات التي يصادف فيها حنين أسماء وثنية في النصوص الاغريقية كان يقوم باستبدالها بألفاظ الجلالة على أن ذلك لم يكن ليؤثر في دقة الترجمة وموضوعها. وقد اتبع اسحاق بن حنين خطى والده في الترجمة وقد قام ثابت بن قرة بمراجعة بعض مترجماته. (٨)

وتلخيصاً لموضوع الاسهام العربي في نظرية الترجمة أؤكد أنه لا يمكن

اصدار حكم متكامل في هذا الميدان دون دراسة شاملة متأنية ولكنني بصورة عامة أستطيع أن أستخلص أهم معالمها بناء على آراء مدرسة حنين في الترجمة :

(١) الايمان بضرورة المعرفة الجيدة لكلا اللغتين، اللغة الأصل (أو لغة المصدر) واللغة المراد الترجمة اليها (أو لغة الهدف).

(٢) ضرورة معرفة النص المراد ترجمته معرفة تامة ودقيقة قبل الشروع في عملية النقل.

(٣) والخطوة السابقة تقود بالضرورة الى الترجمة الحرفية أي إيجاد المقابل اللغوي لجميع العناصر اللغوية في لغة المصدر.

(٤) في حالة انعدام المقابل اللغوي في لغة الهدف يكون المترجم مسؤولاً عن «ابتداع» هذا المقابل وذلك بناء على أساس من لغة الهدف. ولا يسمح له بكتابة العناصر اللغوية الواردة في لغة المصدر بحروف لغة الهدف كطريقة سهلة للتخلص من مشكلة استحالة الترجمة. ولكن يسمح للمترجم بأن يوجد مقابلاً يعتمد على التأويل والشرح في حالة امكان ذلك.

(٥) في حالة الاستحالة الثقافية (مثل ترجمة الأسماء الوثنية والاسطورية) يحل للمترجم ايجاد «مقابل ثقافي» يتمثل في الاستشهاد بألفاظ الجلالة.

(٦) ضرورة اجراء مراجعة فردية أو جماعية للنص المترجم.

الترجمة في عصر النهضة والعصور اللاحقة :

يقول ج. فولينا في مقالة له عن الترجمة وشيوعها في اللغات المتداولة أنه بالإمكان وصف الترجمة في العصور الوسطى بأنها ترجمة «عمودية» بمعنى الترجمة من لغة المصدر الى لغة متداولة ذات أهمية ومكانة (مثل اللغة اللاتينية) كما يمكن وصف الترجمة بأنها «افقية» بمعنى ان كلا من لغة المصدر

ولغة الهدف على منزلة واحدة من الأهمية (٩). ويبدو ان هذا التمييز ليس جديداً، حيث قام به روجر بيكون (١٢١٤-١٢٩٢) وايضا دانتي (١٢٦٥-١٣٢١) وكلاهما تحدث عن الترجمة وعلاقتها بالمعايير المعنوية والجمالية للأعمال الأدبية. وقد تحدث بيكون ايضا عن قضية الفاقد والوجه الآخر لها وهي قضية نحت الاصطلاحات كما فعل من قبله هوراس الروماني. بينما ركز دانتي على قضية التوصل الى معرفة جديدة من خلال الترجمة، كما ان كلا من بيكون ودانتي يتفقان على ان الترجمة تتخطى مجرد كونها ممارسات في الاساليب المقارنة.

ويمكن للتمييز بين الترجمة الافقية والعمودية أن يكون مفيدا في كونه يرينا كيف أنه يمكن ربط الترجمة بنظامين ادبيين ولغويين متواجدين معا، ولكنها مع ذلك مختلفين تمام الاختلاف. فالترجمة العمودية تنقسم بدورها الى نمطين مميزين:

الأول: هو التوازن في الكلمات، أي إيجاد مقابل لكل كلمة وذلك خلافا لنمط إيجاد المعنى المقابل للمعنى الوارد في النص. اما النمط الثاني فهو الترجمة الافقية والتي تتضمن مسائل التقليد والاستعارة. وفي العصور الوسطى كانت لهذا النمط الاخير من الترجمة مكانة عالية حيث لم تحظ أصالة التأليف بتقدير كبير ونظر الى موهبة الكاتب على انها تكمن في اعادة التعبير عن افكار وموضوعات راسخة الوجود. وعلى هذا، فإنه كان من الصعب التمييز بين ما اعتبر تأليفاً وترجمة في ذلك العصر. لذا نجد أن في مؤلفات كاتب مثل تشوسر (١٣٤٠-١٤٠٠) نصوصا تتراوح بين مترجمات صريحة، وترجمات بتصرف كبير، وتقليد صريح بالاضافة الى اعادة التعبير عن موضوعات مطروقة ومشابهات أخرى. وعلى هذا، فإن مفهوم الدقة في ذلك العصر اعتمد اساساً على مقدرة المترجم على قراءة وفهم النص الاصلي وليس على خضوعه لمشية النص بلغة المصدر. فيمكن القول اذن بأنه في العصور الوسطى، نظر الى

الترجمة على اعتبار انها مهارة وثيقة الارتباط بنمط قراءة وتفسير النص الاصلي الذي يعتبر مادة المؤلف يغرف منها ما يشاء (١٠) ويعتبر اتيان دوليه الفرنسي (١٥٠٩-١٥٤٦) من اوائل الكتاب الذين قاموا بصياغة نظرية للترجمة، وقد تم تقديمه للمحاكمة بتهمة سوء ترجمة محاورات افلاطون واعدم نتيجة لذلك. في عام ١٥٤٠ نشر دوليه كتيباً بعنوان كيف تتم الترجمة الجيدة من لغة الى اخرى يبين فيها خمسة مبادئ يعتمد عليها المترجم :

١ - ينبغي على المترجم ان يجيد فهم معاني كاتب النص الاصلي ويحق له أن يشرح الغوامض.

٢ - يجب على المترجم أن يعرف لغة النص الاصلي واللغة المترجم اليها فهما تاماً.

٣ - على المترجم تجنب الترجمة الحرفية أي ترجمة كل كلمة بما يقابلها.

٤ - ينبغي على المترجم استخدام لغة التخاطب الشائعة.

٥ - يلتزم المترجم بانتقاء الكلمات المناسبة وترتيبها بحيث تحدث الاثر المطلوب.

ويتضح من مبادئ دوليه الخمسة أنه يركز أهمية كبرى على فهم النص بلغة المصدر فهما تاماً كشرط اساسي، وأن المترجم يتعدى كونه لغوياً على مقدرة من الكفاءة وان الترجمة تتطلب دراسة وحساسية في اثناء فحص النص الاصلي ووعي بموضع الترجمة في لغة الهدف (١١).

وقد تأثر بدوليه الكاتب جورج تشابمان الذي ترجم هوميروس الى الانجليزية (١٥٥٩-١٦٣٤) حيث انه يذكر في مقدمة احد كتبه : « يعتمد عمل المترجم الماهر والقادر على ملاحظة الجمل، والصور والتعبيرات البلاغية التي يذكرها الكاتب وكذلك ما يرمي اليه بدقة وشفافية وان يسكبها في صور وتعبيرات خطابية ترقى الى مقام الاصل في اللغة التي تترجم اليها (١٢) وفي مقدمة ترجمته للالياذة يذكر تشابمان ثلاثة متوجبات ينبغي على المترجم الالتزام بها :

١ — تجنب الترجمة الحرفية (إيجاد المقابل لكل كلمة).

٢ — محاولة الوصول الى «روح» الاصل.

٣ — تجنب الترجمة «الفضفاضة» وذلك باعتماده دراسة متفحصة وجيدة للتعبيرات والترجمات الأخرى.

وحيث أن معظم ما ترجم الى اللغات الاوروبية الحديثة في العصور الوسيطة وفي عصر النهضة وما تلاه من قرون كان من آداب وفلاسفة وقانون الاغريق والرومان، فإن أغلب النظريات التي نشأت عن الترجمة في تلك العصور ركز بصفة اساسية على المترجمات الشعرية، وعلى التشديد على القواعد والنماذج المشلى في الترجمة. وقد كتب احد النظريين الانجليز وهو سيرجون دهنام (١٦١٥-١٦٦٩) في أهمية الناحية الشكلية الفنية والناحية الابداعية للعمل المترجم إلا أنه في نفس الوقت يحذر من اتباع الحرفية في ترجمة الشعر، إذ أنه يؤكد على أنه لا يقتصر عمل المترجم على ترجمة لغة الى لغة، بل شعر الى شعر. وان للشعر روحا غير ظاهرة تختفي في اثناء سكبه من لغة في أخرى. وان لم تتم اضافة روح جديدة في اثناء عملية النقل فلن يبقى منه سوى جثة هامدة. ويؤيد دهنام المفهوم القائل بأن كلاً من المترجم وكاتب النص الاصيل متساويان في الاهمية ولكنها يؤديان عملهما في نطاق زمني واجتماعي مختلف، كما أنه يوجب على المترجم بأن يستخلص على وجه الدقة ما يعتبره الجسم الاساسي للنص الاصيل واعادة صياغته في اللغة المترجم اليها (١٣).

وفي القرن التاسع عشر اثبت الشاعر الانجليزي جون درايدن (١٦٣١-١٧٠٠) مقدمة هامة لترجمته للأوفيدة تناول فيها مشاكل الترجمة التي صاغها في ثلاثة انماط اساسية:

١ — التعجيم، أو الترجمة الحرفية التي تقابل فيها الكلمات والأسطر من نص بلغة الى أخرى.

٢ — التفسير أو ما يعرف بالترجمة بتصرف أي مقابلة المعاني الاصلية بمعان أخرى في الترجمة.

٣ — التقليد وفي هذه الطريقة يقوم المترجم بالحذف أو التجاهل للنص الاصيلي ان رأى ذلك مناسباً.

ويختار درايدن النمط الثاني بوصفه الطريقة الأكثر اتزاناً على أن يحقق المترجم مواصفات معينة. ففي ترجمة الشعر يؤكد درايدن ان المترجم لا بد أن يكون شاعراً، ومجيداً لكلا اللغتين وان يحسن فهم المزايا والروح الفنية لمؤلف النص الاصيلي علاوة على مجاراته (المترجم) للقواعد الفنية السائدة في عصره، ويصفه درايدن بأنه مترجم ورسام معا، حيث ان واجب الرسام ان يقلد الاصل، وهو مفهوم شاع في القرن السابع عشر (١٤). واذا انتقلنا الى القرن الثامن عشر نجد أن مفهوم المترجم الرسام والمقلد ذي الواجب الاخلاقي تجاه الموضوع بلغة الاصل وتجاه المترجم اليهم كان شائعاً ومتداولاً بعد ان اصابته تغييرات مهمة كلما تغير مفهوم الخلق والابداع الأدبي. فنجد مثلاً أن الشاعر الالماني جوته (١٧٤٩-١٨٣٢) يقول بأن كل أدب يجب أن يمر في ثلاث مراحل من الترجمة، تحدث جميعها في نفس النظام اللغوي وفي نفس الوقت. فالمرحلة الاولى تعرفنا بالبلاد الأجنبية حسب مفهومنا الخاص، والمرحلة الثانية تتميز بامتصاص هذا التعرف عن طريق استبداله بمفاهيم أخرى واعادة التعبير عنه، وفيها يتشرب المترجم مغزى العمل الأجنبي ويقوم باعادة التعبير عنه بطريقته الخاصة. اما المرحلة الثالثة والتي يصفها جوته بأنها اسمى المراحل، فهي التي تهدف الى الشبه التام بين النص بلغته الاصلية وترجمته، ويتحقق ذلك بخلق وسيلة جديدة تمتزج فيها طرافة الاصل بشكل وتركيب جديدين. وهكذا نجد أن جوته يدعو الى تحقيق شيئين معا: الاصاله في الترجمة مصحوبة بنظرة للقواعد والصلات الكونية الخافية (١٥).

وفي انجلترا ظهر منظر مهم في نهاية القرن الثامن عشر، وهو الكسندر

فريزر تيتلر الذي نشر كتابا في عام ١٧٩١ بعنوان مبادئ الترجمة والذي أكد فيه المؤلف على ثلاثة أساسيات في مجريات الترجمة وهي :

- ١ - يتوجب على الترجمة ان تزودنا بنص كامل عن افكار العمل الاصلي.
- ٢ - يجب ان يتوافق اسلوب وطريقة كتابة الترجمة مع مميزات النص الأصلي.
- ٣ - يجب أن تعكس الترجمة سلاسة الكتابة الأصلية.

هذا ويلتقي تيتلر مع درايدن في تأكيد مسؤولية المترجم عن توضيح غوامض النص الاصلي حتى لو ادى ذلك الى الحذف أو الاضافة، وعدا ذلك، فإن تيتلر يختلف مع درايدن تمام الاختلاف في نظرية « التفسير » أو ما يسمى بالترجمة بتصرف، حيث يقول ان ذلك قد أدى الى ترجمات فضفاضة مبالغ بها. كما قام تيتلر بتوضيح مفهوم المترجم الرسام - قائلاً أن المترجم لا يستطيع استخدام نفس ألوان الاصل على الرغم من انه مطالب باعطاء الصورة التي يرسمها نفس القوة والتأثير، وعلى المترجم ان يعمل جاهداً في سبيل تبني اعماق روح المؤلف الاصلي التي يجب أن تظهر بوضوح في الترجمة (١٦).

وتأثرت الترجمة بمفاهيم الخلق والابداع الفني التي سادت في التيار الرومانطيقي الذي ظهر في كل من المانيا وانجلترا حيث برزت مسألة كيفية تحديد الترجمة : أهى عمل ابداعي أم عملية ميكانيكية بحتة ؟ تبرز من خلال هذا الموقف المبهم للرومانطيقية آراء العديد من الكتاب والمترجمين مثل أرجست ويلهلم شليغل (١٧٦٧-١٨٤٥) الذي يرى أن جميع أفعال الكلام والكتابة ما هي إلا أفعال ترجمة تقتضي طبيعة التواصل فك وتفسير رموز الرسالة المتلقاة كما أنه أوصى بضرورة الاحتفاظ بالشكل الاصلي.

ويختلف مفهوم الترجمة لدى فردريك شليغل (١٧٧٢-١٨٢٩) في أنه نمط متميز من الفكر عوضا عن كونه نشاطا متعلقا باللغة والأدب (١٧) ونرى

تطور هذا المفهوم الأخير لدى فردريك شليمرمارخر (١٧٦٨-١٨٣٤) حيث أنه يدعو الى ابتداء لغة جديدة تستخدم في ترجمة الأدب، وقد تأثر بهذا المفهوم عدد من المترجمين الانجليز في القرن التاسع عشر مثل نيومان وكارلايل ووليام موريس. فنجد نيومان يؤكد أن على المترجم الاحتفاظ بكل خواص النص الاصلي كلما تمكن من ذلك، حيث أنه كلما بذل المترجم اهتماماً زائداً كلما بدا النص الاصلي أجنبياً (١٨).

في القرن التاسع عشر يعتبر ماثيو آرنولد الكاتب الانجليزي (١٨٢٢-١٨٦٨) من الاعلام الذين ادلوا بدلوهم في موضوع الترجمة، وهو في محاضراته المعنونة «حول ترجمة هوميروس» ينصح القارئ العادي بأن يضع ثقته في الباحث الذي يستطيع وحده الحكم على مدى مواكبة الترجمة لقوة تأثير النص الاصلي، كما أنه ينصح المترجم ألا يضع نصب عينيه حكم القراء عليه ففي الحالة سيكون كمن اهتدى بالأعمى، كما ينبغي على المترجم عدم الوثوق في حكمه الشخصي على عمله حيث ستضله نزواته. ويمضي آرنولد ناصحاً المترجم أن يتساءل كيف تؤثر ترجمته في اولئك الذين يجيدون الاغريقية ويتذوقون الشعر. ووفقاً لآرنولد، ينبغي على المترجم التركيز بصفة اساسية على النص بلغته الاصلية وان يخدم هذا النص بكل التزام، وان يشد قارئ الترجمة الى معاني لغة الاصل بكل ما أوتي من مهارة (١٩).

وقد خطا هنري وادزورث لونجفيللو (١٨٠٧-١٨٨١) خطوة أخرى في طريق تقييد مهمة المترجم، حيث يدافع عن ترجمته للكوميديا الالهية لدانتي قائلاً: أن الميزة الوحيدة لكتابي هو أنه يعكس بالضبط اقوال دانتي، وليس ما يتصور المترجم ما قد يقوله الشاعر لو كان انجليزيا. وبعبارة أخرى، علاوة عن جعل الترجمة موزونة، سعت ايضا الى أن اجعلها ترجمة نثرية.. وفي خلال ترجمة دانتي يجب التخلي عن شيء ما. هل هذا الشيء هو القافية

الجميلة التي تزدهي على أطراف الأبيات مثل شهد النحل على الحاجز؟ لا بد من ذلك كما يمكن الاحتفاظ بما هو أثمن من القافية، ألا وهي الامانة، والحقيقة... يمكن عمل المترجم في تقرير ما يقوله المؤلف وليس شرح ما يعنيه، فهذا عمل المعلق. مشكلة المترجم هو معرفة ما الذي يقوله الكاتب وكيف (٢٠). ومن الواضح ان لونغفللو من غلاة الداعين الى الترجمة الحرفية وان دور المترجم في نظره لا يتعدى كونه دوراً آلياً لا علاقة له بدور الشاعر أو دور المفسر المعلق، وهو دور محدود وضيق للغاية.

وعلى النقيض من هذه النظرة تأتي نظرة ادوارد فيتزجيرالد في ترجمته لرباعيات عمر الخيام الى الانجليزية والتي اباح لنفسه فيها حرية واسعة للتصرف في الترجمة وتحويل النص الاصلي من لغة المصدر الى نص آخر بلغة الهدف يندمج تماماً في ثقافتها ويصبح جزءاً لا يتجزأ منها. وقد اطلق فيتزجيرالد عبارته الشهيرة «من الأفضل أن يكون لدينا عصفور حي بدلاً عن نسر محنط» ويبدو أن هذا الاتجاه يعكس تعالياً ثقافياً على أدب لغة المصدر صرح عنه فيتزجيرالد برسالة الى أحد اصدقائه (٢١).

وعلى صعيد العالم العربي شهد القرن التاسع عشر حركة نشطة للترجمة شملت مختلف العلوم البحتة والعلوم الانسانية والأدبيات. وقد كتب العديد من المؤلفات حول تطور الترجمة وتاريخها في العالم العربي غير أن معظم ما كتب لا يخرج عن دائرة السرد التاريخي أو البليوجرافي ونادراً ما نجد في طياته رصداً لتطور مفهوم الترجمة لدى الكتاب والمترجمين خلال القرن الماضي وهذا القرن في العالم العربي، وهو بلا شك موضوع بكر ينتظر الدراسة شأنه في ذلك شأن تطور نظرية الترجمة العربية في العصور الوسيطة. وسأحاول فيما يلي من السطور أن أشير الى بعض المفاهيم المتعلقة بالترجمة والتي سادت لدى الكتاب والمترجمين العرب في خلال القرن الماضي وقرننا العشرين.

يصف أنور الجندي بدايات الترجمة العربية الحديثة بأنها «مرحلة

مضطربة أشد الاضطراب فقد اختلط فيها التعريب بالتصير بالترجمة، وبلغت الترجمة فيها حداً بعيداً من الضعف، والنزول، فقد كان هدف المترجمين في هذه الفترة ارضاء القارئ وتسليته، ولم يكونوا قادرين على فهم النص ولا على ادائه باللغة الفصحى (٢٢). وهذا الاتجاه الذي يمكن تسميته بالاتجاه الملبى لرغبات السوق (أو الترجمة السوقية) يغلب عليه ما يسمى «الترجمة بتصرف» أو الترجمة الفضفاضة حيث يعمل المترجم قلمه في النص الأصلي حذفاً وإضافة وانتقاء للأفكار التي يعتقد أنها تناسب ثقافة نوعية القارئ وتشبع رغباته. إلا أنه يبدو أن هذا الاتجاه لم يكن وحيداً، إذ أن أنور الجندي يورد نصاً لا ينسبه إلى أشخاص معينين ويدل على الحرص على نص لغة المصدر وعلى الاهتمام بلغة الترجمة علاوة على «حلاوة التعبير» على حد قوله، كما أنه يحكم على سلبات الترجمة في تلك الفترة على أنها:

- ١ — عدم التقيد بالأصل المترجم.
- ٢ — مسخ القصة.
- ٣ — إضافة ما ليس منها.
- ٤ — اللغة الركيكة المبتذلة (٢٣).

وقد تعرضت لغة المترجمين إلى بعض النقد الذي اتهموا فيه بأن أغلبهم «لم يكن بصيراً» باللغة العربية بصره باللغة التي ينقل عنها فكانت تستعصى عليه ترجمة كثير من الأساليب التي لا يجد لضعفه في العربية مثلاً لها، فالتوت لغة الترجمة. وكثيراً ما عمد الناقل إلى الأسلوب أو التعبير الأجنبي فينقله بنصه دون مراعاة لروح اللغة التي ينقل منها فغمضت على القارئ، وكثيراً ما أدخل في اللغة العربية كلمات أجنبية لم يستطع المترجمون أن يجدوا لها مدلولاً في لغتهم فطغت على لغة الكتابة (٢٤).

ويعد رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣) من أوائل المترجمين العرب الذين نقلوا عن الفرنسية، ولقد شرح طريقته التي اتبعها في ترجمة

الكتاب الذي عنوانه **مواقع الافلاك في وقائع تليماك**، اذ يقول : « وأدبت التعريب بأسهل تقريب وأجزل تعبير، اللهم إلا أن يكون ثم محلا مغلا بالعادة فأتمحل لذكر مآل المعنى ومضمونه بعبارات تفيد لازم المعنى اكمل فائدة وهذه اساليب في قالب الترجمة معتادة (٢٥).

ونلاحظ ان الطهطاوي في اتجاهه هذا مفسر للنص الاصلي وفي نفس الوقت امين عليه ودقيق في تعريبه بلغة سليمة وسهلة. ويدوانه في زمن الطهطاوي كان المتعارف عليه أن يضاف الى الترجمة ما ليس في النص الاصلي مثل اشارات نابغة من ثقافة لغة الهدف (الثقافة العربية في هذه الحالة) اذ يذكر الطهطاوي هذا الاتجاه وكيف انه قاومه مؤثرا ترجمة ما ورد في نص لغة المصدر دون اضافة : « وقد خطر ان افرغه في قالب يوافق مزاج العربية واضم اليه المناسبات الشعرية واطمنه الأمثال والحكم الثرية والنظمية إلا أنني رأيت أن الافوق الان بالنسبة للوقت والزمان ضبط الاصل وابقاء ما كان على ما كان. فهو محرر أنموذج لاصله الاصيل (٢٦). والعبارة الأخيرة تدل على اتجاه الطهطاوي في رفضه للترجمة التي تخضع لمزاج ثقافة لغة الهدف وحرصه على المحافظة على نص لغة المصدر بمعطياته الثقافية.

ولقد اتبع هذا الاتجاه عدد من المترجمين بينهم احمد فتحي زغلول (١٨٦٣-١٩١٤) وقد وصف لطفي السيد اتجاه زغلول في الترجمة : « انه كان يمسك الكتاب يقرؤه أولاً ثم يدخل في طيات نفس الكتاب فيظهر أسرارها بقلمه العربي المبين، نحوه في التعريب ليس هو الالتزام الحرفي في الاصل ولا مجافاة الاصل، ولكن نحوه بين ذلك وسط مُرضٍ، اما أسلوبه فهو عربي خالص لا يعنى فيه بفضيلة الزخرف والمحسنات اللفظية ولكنه مع ذلك متين الرصيف ظاهر الرشاقة (٢٧). ومن هذا الوصف يتبين لنا اتجاه يعكس كلا من الايجابية والامانة في الترجمة، اذ ان وصف « يدخل في طيات نفس الكتاب» مطابق للنظرية التي سادت في اوربا في اوائل القرن التاسع

عشر والتي توجب على المترجم «تمثل روح النص» وهو ما يراد به معرفة أبعاد النص الثقافية وعلاقة النص بالنصوص الأخرى غير الماثلة أمام المترجم. وقد وصف جرجي زيدان طريقة زغلول في الترجمة بأنها «كانت بالنسبة إليه عملاً شاقاً يقتضي تفهم الموضوع من اللغة الأصلية وسبكه في قالب عربي لا تشوبه العجمة....» وأنه شديد الحرص على دقة الترجمة والمحافظة على أفكار المؤلف بلا تصرف بعيداً عن المسخ والانتحال (٢٨).

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن كلا من الطهطاوي وزغلول قد اعترفا بأهمية قراءة النص الأصلي قراءة جيدة وفك رموزه اللغوية وإشارات الثقافية وربطه بنطاقه الفكري والاجتماعي كمرحلة أولى تتبعها مرحلة إيجاد المقابلات اللغوية والثقافية في اللغة العربية، وذلك في ترجماتها التي تناولت المؤلفات النثرية باللغة الفرنسية.

وفي ميدان الترجمات الشعرية إلى العربية اكتفى هنا بما أورده سليمان البستاني (١٨٥٦-١٩٢٥) في معرض ترجمته الضخمة لـ «لياذة هوميروس». يقول البستاني أنه كان إزاء منهجين في التعريب:

١ - طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعم الحمصي: وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من معنى، فيأتي الناقل بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل إلى الأخرى كذلك.

٢ - طريق حنين بن اسحق والجوهري وغيرهما وهو أن يأتي بالجملة فيحصل معناها في ذهنه ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الألفاظ أم خالفها. وقال: إن الطريقة الأولى رديئة لوجهين: أحدهما أنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية. وإن خواص التركيب والنسب الاسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائماً. وقال إن الطريق الثاني أجود (٢٩).

ولعل ما يثير الاهتمام في هذه النظرية هو الاختيار الذي وقف امامه البستاني، فلقد رجع الى نهج المدارس العربية في الترجمة والتي سادت في العصور الوسطى ونبذ من نظرياتها طريقة المقابل الحرفي (أو التعجيم) لكل من الكلمات وترتيبها، حيث أنها تخلق مشكلات خاصة في ترجمة الشعر ويتوجب التنبيه هنا الى أن هذه المدرسة في الترجمة كانت تبني جهودها أساساً لترجمة العلوم اليونانية وليس آدابها، لذلك فلا غرابة في نبذ البستاني لها وهو في معرض ترجمته لاشعار هوميروس. كما اضطر البستاني الى تبني الخيار الثاني (حنين والجوهري) وهي التي تعتمد على نظرية ايجاد المقابل الموازي للأفكار والعناصر والمصطلحات الواردة في نص لغة المصدر. ولعل ما يشد الاهتمام هنا هو بحث البستاني عن نماذج ونظريات عربية لترجمات عن اللغة اليونانية القديمة في وقت تكاثرت فيه نظريات الترجمة الأدبية واتجاهاتها وانتشرت الدراسات عنها في اللغات الأوروبية. ولعلي لا أكون مبالغاً أن قررت بأن البستاني هو من أوائل الذين أشاروا الى نظريات عربية قديمة للترجمة. ويبدو أنه قد اتبع مدرسة حنين اتباعاً دقيقاً فيما عدا ما يتعلق بتعريب الاسماء (راجع نظرية حنين اعلاه) فالبستاني يصور منهجه في الترجمة قائلاً: «اني وطنت النفس على ألا أزيد على المعنى ولا أنقص منه ولا أقدم ولا أؤخر إلا في ما اقتضاه تركيب اللغة، فكنت اعمد الى الجملة سواء تناولت بيتاً أو بيتين أو أكثر أو أقل واسكبها بقالب عربي اجلو رواءه على قدر الاستطاعة ولا انتقل الى ما بعدها حتى يخيل اليّ أنني أحكمتها (٣٠).

ولا يخفى هنا الالتزام الدقيق بايجاد المقابلات الموازية وهو يشبه ما أشرنا اليه سابقاً بالترجمة العمودية. كما أن البستاني قد أكد على محافظته للأفكار واللغة في نص لغة المصدر، وعمل على نقلها الى لغة عربية متداولة في عصره (٣١).

ولا شك عندي أنه لا يمكن اعطاء صورة صحيحة عن التوجهات النظرية للمترجمين العرب خلال القرنين الفائت والحالي إلا بناء على دراسة متعمقة في ضوء المعطيات النظرية الحديثة التي تزخر بها دراسات الترجمة ولكنني أرجو أن أكون قد اسهمت في الإشارة الى هذا الموضوع من هذه الزاوية. وعموماً فإنه يمكن القول بأن المدارس العربية في الترجمة لا تختلف كثيراً في مبادئها العامة عن مثيلاتها الاوروبية، كما يمكن القول أيضاً بأن الناحية الوظيفية العملية قد صاحبت المترجمين العرب كقيمة أساسية في تقرير موضوعات ترجماتهم وكيفية القيام بها.

٢ - الترجمة في ضوء الاتجاهات الحديثة :

تتميز الدراسات الحديثة عن الترجمة بتعمقها وتشعبها، إلا أنها تستفيد أساساً من التطورات الكثيرة التي جرت في حقل علم اللغة. وهناك العديد من الاتجاهات التي تتناول بالتحليل مفهوم الترجمة ومكوناتها والمشاكل المتعلقة بها وتحدد سوزان ماكوإير أربعة اتجاهات رئيسية في دراسات الترجمة هي على وجه الترتيب: **الاتجاه الأول: الدراسة التاريخية للترجمة** وهي جزء من دراسة تاريخ الأدب، ويتضمن هذا الاتجاه تحليل نظريات الترجمة في العصور المختلفة ونقد الترجمات وعملية التكليف بالترجمة ونشرها بالإضافة الى تطور الدراسة المنهجية للترجمة وتحليل ودراسة الترجمات الفردية. **والاتجاه الثاني: أثر الترجمة في البيئة الثقافية**، وفيه تشمل الدراسة على تحليل النصوص وكتابتها والأنواع الأدبية المترجمة على طبيعة تقبل النص في ثقافة اللغة المترجم اليها وعلى مبدأ الانتقاء السائد في هذه اللغة. وهذان الاتجاهان الأولان تسميها ماكوإير **باتجاه دراسة النتائج**. وأما الاتجاه الثالث فهو **الترجمة وعلم اللغة** والذي يتضمن دراسات تركز على مقارنة ترتيب العناصر اللغوية بين نصوص اللغة الأصلية واللغة المترجم اليها في مختلف مشتملاتها الصوتية والنحوية والصرفية ودلالات الألفاظ الخ. ويدخل ضمن

هذه الدراسة إيجاد المقابلات اللغوية واستحالة الترجمة، والترجمة الآلية وجميع الدراسات التي تعنى بالترجمة غير الأدبية. أما الاتجاه الرابع فهو الترجمة والآداب أو الترجمة والفنون وهو الذي يعنى بدراسة الترجمة الأدبية من ناحيتها النظرية والتطبيقية. وقد تكون الدراسة هنا عامة أو أكثر تخصيصاً مثل دراسة مشاكل ترجمة الشعر أو المسرحية.

وتصف ماكوابر الاتجاهين الثالث والرابع بأنها اتجاهان لدراسة عملية الترجمة (٣٢) .

ولعل أكثر الاتجاهات ديناميكية وتطوراً وكذلك أحدثها هو الاتجاه اللغوي في دراسة الترجمة. لذا فإن بقية هذا المقال مخصص لإجراء استعراض سريع لأهم المشاكل التي يثيرها هذا الاتجاه.

في مقالته عن «التواحي اللغوية للترجمة» يحدد رومان ياكوبسن ثلاثة أنواع من الترجمة: ٣٣.

— الأول: الترجمة الداخلية في نفس اللغة أو إعادة الصياغة (وهي عملية تفسير العلامات اللفظية بواسطة علامات لفظية أخرى في نفس اللغة).

— الثاني: الترجمة بين اللغات أو الترجمة بمفهومها المعتاد (تفسير العلامات اللفظية بواسطة عناصر تنتمي الى لغة أخرى).

— الثالث: ترجمة الاشارات أو التحويل (تفسير العلامات اللفظية بواسطة نظام لا يعتمد على علامات لفظية) والنوع الثاني، وهو أكثر الأنواع استخداماً يصف عملية النقل التي تتم بين لغة المصدر (وهي لغة النص الأصلي المراد ترجمته) ولغة الهدف (وهي اللغة المراد ترجمة النص إليها) وعملية النقل هذه هي مجال دراسات كثيرة ومتشعبة اذ يصف ثيودور

سافوري الترجمة بأنها عملية « التغلب على العقبات التي تتم بإيجاد المقابل للفكرة الكامنة وراء اختلاف التعبيرات اللفظية » ٣٤. ويمضي سافوري قائلاً بأن فكرة إيجاد المقابل عن طريق استخدام القواميس التي تتبع طريقة المعادلات المحددة س=ص انما هي فكرة خاطئة، حيث أن التجربة قد أثبتت أنه لا يمكن أن يوجد لكل كلمة في لغة ما مقابل دقيق في اللغة الأخرى، وتعترف القواميس بهذه الحقيقة وذلك عندما نجدها تترجم الكلمة الواحدة الى عدة معطيات في اللغة الأخرى وتترك للقارئ حرية اختيار المقابل الأمثل لأهدافه. وهنا يقع المترجم في محذور اختيار المقابل الوهمي (أو المقابل الخاطيء) الذي يعتقد بأنه سيفي بغرضه، وبالطبع، يلعب تعليم المترجم وخبرته ومعرفته بثقافتي لغة المصدر ولغة الهدف دوراً أساسياً في كيفية تحديده للمقابل الأمثل في عملية الترجمة ٣٥. ويحدد سافوري ثلاث حالات من الترجمة هي كما يلي:

الحالة الأولى: الترجمة المحددة للبيانات ذات الطابع الاعلامي

الاجباري، مثل تلك التي يصادفها المسافر أو يستخدمها المعلن. فمثلاً عبارة Fasten your seat-belt تترجم الى اربط حزام مقعدك أو No Smoking تترجم الى ممنوع التدخين ففي مثل هذه الحالة لا يهتم المترجم كثيراً بمطابقة الكلمات والتركيب في الترجمة، ولكنه يصب اهتمامه على ترجمة المعلومات بدقة حيث أن الرسالة الأصلية لا تتضمن كلمات مشحونة أو ذات مترادفات متعددة مما يسهل عملية إيجاد المقابل لها وكثيراً ما تكون هذه الترجمة دقيقة وكاملة، وهي مثال فريد لذلك.

الحالة الثانية: الترجمات الرائجة ذات المستوى الذي يكاد أن يكون مقبولاً للروايات، والتي يتصرف فيها المترجم في أثناء عملية النقل سواء بالحذف أو التغيير أو الاختصار أو إعادة الصياغة عندما يناسبه ذلك. وفي هذه الحالة

يعتبر المترجم الموضوع أهم من الشكل ويكتفي بالحفاظ على مقومات الحبكة القصصية في الرواية دون الالتفات كثيراً الى أسلوب الكاتب. وغالباً ما تكون هذه الترجمات تجارية وموجهة الى فئة من القراء لا تهتم كثيراً بالأسلوب بل بمجريات الرواية.

الحالة الثالثة: الترجمة الرفيعة: وهي الترجمة التي يعطى فيها المترجم درجة مساوية من الاهتمام لكل من الشكل والموضوع. ويندرج تحت هذه الحالة ترجمات الكتب الدينية مثل القرآن الكريم والانجيل وكذلك ترجمات الروائع الأدبية لكبار الكتاب. وفي هذه الحالة تبرز مشاكل وصعوبات في الترجمة، تتطور الى استحالتها في بعض الحالات.

الحالة الرابعة: الترجمة الدقيقة: وتتضمن ترجمة المواد العلمية والتقنية. وفي هذه الحالة أيضاً يكون الموضوع أهم بكثير من الشكل. وهذه الترجمة تلبى الاحتياجات العملية وتتطلب من المترجم معرفة سابقة في حقل المادة العلمية. ويندرج تحت هذه الحالة أيضاً الترجمات التجارية والقانونية ٣٦.

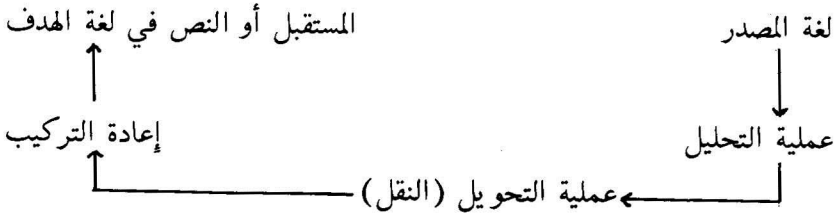
وفي جميع الأحوال يقوم المترجم بعمليات متعددة ومتشابهة، فإنه أولاً يقوم بقراءة النص الأصلي بلغة المصدر، وفهم هذا النص وفك رموزه وتقصي علاماته اللفظية وتتبع دلالاته الثقافية بالاضافة الى استيعاب التراكيب الواردة فيه ومن ثم القيام بإيجاد المقابلات المحتملة للوحدات اللغوية المختلفة في لغة الهدف وترتيبها ومطابقتها مع النظام اللغوي للغة الهدف. وفي هذه العملية يكون المترجم محكوماً بعوامل كثيرة أهمها تعدد مستويات التراكيب اللغوية في النص الواحد وكذلك عدم توافق الأنظمة اللغوية التي يقوم بالترجمة فيما بينها. فالمترجم يقوم بعمليتي المقابلة والتوصيل في نفس الوقت، وهما عمليتان في غاية الدقة والتعقيد.

التواصل والتقابل :

إذا تصورنا رسماً توضيحياً للعلاقة التواصلية في عملية الترجمة، فإن هذا الرسم يرينا أن المترجم يقوم بدوري المستقبل والمرسل معاً وأنه يقف في بداية ونهاية سلسلتين من التواصل منفصلتين. لكنها متصلتين اتصالاً قوياً: المؤلف — النص — المستقبل (أو المتلقي: المترجم) النص — المستقبل النهائي (القارئ).

وعلى هذا فإنه لا يمكن وصف الترجمة بأنها مجرد ابدال معاني لغة المصدر (اللغة المترجم منها) الى معاني لغة الهدف (اللغة المترجم اليها)، أو أنها عملية تحويل آلية للغة المصدر الى لغة الهدف، بل أنها عملياً تمتد الى أبعد من ذلك: فإنها عملية زرع معاني لغة المصدر في نص بلغة الهدف. وبناء عليه فإن المترجم يتعامل مع مقاييس تتعدى مجرد الظواهر اللغوية، ويتعاطى عملية يتم فيها فك الرموز وإعادة ترتيبها، ولقد قدم يوجين نيدا نموذجاً يبين فيه المراحل التي تمر فيها عملية النقل من لغة الى أخرى، وفيما يلي نموذج نيدا باختصار: ٣٧

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>



لذا فإن الترجمة لا تنحصر فقط في عملية احلال وحدات لغوية أو نحوية بين لغتين إذ ان ترجمة التعابير الاصطلاحية تثير مسألة علاقة المعنى بالترجمة، حيث أن الاصطلاحات تتميز بالتوجه ذي المدلول الثقافي. ويتضح هذا جلياً في ترجمة العبارات الاصطلاحية والصور البلاغية والأمثال. فعملية الترجمة

يمكن أن تتضمن استغناء عن بعض العناصر اللغوية الأساسية الواردة في نص لغة المصدر بحيث يتم تحقيق ما يصفه اللغوي أنطون بوبوفيتش «بالوافق التعبيري» بين نص لغة المصدر ونص لغة الهدف ولكن بالرغم من ذلك، فإن مشاكل المترجم تبدأ بمجرد أن يحيد عن مبدأ إيجاد المقابل اللغوي الأقرب الى الدقة وفي معرض تحديده للمقابل اللغوي في الترجمة قام بوبوفيتش بتمييز أربعة أنماط هي كما يلي ٣٨ :

١ - **المقابل اللغوي**، حيث يتوفر التوافق على المستوى اللغوي بين كل من نص لغة المصدر ونص لغة الهدف بمعنى إيجاد المقابل الدقيق لكل كلمة في اللغة الأخرى.

٢ - **المقابل النحوي والصرفي**، حيث يتحقق التقابل بين العناصر التي تكون المحور النحوي التعبيري بمعنى إيجاد المقابل «القواعدي».

٣ - **المقابل الأسلوبي**، حيث تتواجد المقابلات الوظيفية للعناصر الواردة في كل من النص الأصلي والنص المترجم بهدف تحقيق الوفاق التعبيري وذلك باستخدام مجموعات من المعاني المتوافقة غير الخاضعة للتغيير (اللامتغيرات).

٤ - **المقابل المنطقي**، حيث يتوفر التقابل في تنظيم التكوين المنطقي للنص، بمعنى تقابل التركيب من حيث الشكل.

هذه هي نظرية بوبوفيتش في الأنماط الأربعة للتقابل الواجب توفرها في عملية الترجمة وبقي أن نشرح هنا نظريته في «اللامتغير» أو المعنى غير القابل للتغيير. فثلاً لو اعطينا قصيدة باللغة الانجليزية الى عشرة مترجمين للقيام بنقلها الى اللغة العربية فإنهم بلا شك سيقدمون عشر ترجمات مختلفة للقصيدة. إلا أنه مع ذلك، سيكون هناك قاسم مشترك بين المترجمات العشر، وهذا ما يرمي اليه بوبوفيتش ويسميه «باللامتغير» والذي يمثل جوهر القصيدة هنا. وهذا اللامتغير بالنسبة لبوبوفيتش يتمثل في عناصر «دلالية»

أو «مدلولية» ثابتة في أصل النص، يمكن إثبات وجودها عن طريق عملية التكثيف في دلالات ألفاظه. أما التحولات أو المتغيرات فإنها تظهر في عملية التغير الذي لا يعدل لب المعنى ولكنه يؤثر في الشكل التعبيري.

هذا ويعترف يوجين نيدا بنمطين اثنين فقط من أنماط التقابل: الأول: **التقابل الشكلي** والذي يتم فيه التركيز على فحوى الرسالة ذاتها في عنصري الشكل والمحتوى والثاني: **التقابل الفعالي** (الديناميكي) والمبني على مبدأ التأثير المتقابل بمعنى أن العلاقة بين المستقبل (المتلقى) والرسالة (الموضوع) في النص المترجم يجب أن ترقى إلى نفس مستوى العلاقة المتواجدة بين النص في لغة المصدر ومستقبله. والنمط الأول (التقابل الشكلي) يبرز بوضوح عندما يبحث المترجم عن مقابلات في الشعر في الجملة وفي المفاهيم، ويسمي نيدا هذا النوع من النقل «الترجمة اللفظية» التي تهدف إلى تمكين القارئ من فهم أكبر قدر ممكن من نص لغة المصدر. بينما يظهر النمط الثاني (التأثير الفعالي) في ترجمات الكتب المقدسة مثل القرآن الكريم والانجيل كذلك في ترجمات كبار الكتاب مثل شكسبير. إلا أن هذا النمط الأخير يخضع لبعض المتغيرات مثل الحقبة التاريخية للثقافة والذوق الأدبي ٣٩.

ويقول نيوبورت في محاولته لحل مشاكل إيجاد المقابلات في الترجمة انه من منطلق نظرية النص فإن التقابل في الترجمة يجب أن يعتبر نوعاً من الاشارات يحتوي على مكونات نحوية، ودلالات لفظية ومكونات وظيفية عملية. وهو في هذا انما ينحو في نفس اتجاه بيرس في تصنيفه للمقابلات وهذه المكونات مرتبة وفقاً لعلاقة زمنية، حيث أن يتقدم مقابل الدلالة اللفظية عن المقابل النحوي وحيث يقوم المقابل الوظيفي العملي بتعديل وتكييف المقابلين الأولين. وعلى وجه العموم فإن المقابل ينتج عن العلاقة بين الاشارات نفسها، وعن العلاقة بين الاشارات وما ترمز اليه، وعن العلاقة بين الاشارات ومدلولها وبين مستخدميها. وهناك اتجاهان لدى دارسي الترجمة

يتتبعان مسألة إيجاد المقابل اللغوي، الأول منها يؤكد على المشاكل الخاصة لدلالات الألفاظ وعلى تحويل محتوياتها من لغة المصدر الى لغة الهدف. أما الاتجاه الثاني فإنه يدرس مسألة التقابل في النصوص الأدبية. حيث يعزز هذا الاتجاه الأخير أبحاث البنيويين الروس وأصحاب مدرسة براغ اللغوية، بالإضافة الى التطورات التي انتهت اليها الأبحاث الجارية في تحليل لغة التخاطب. وهذه جميعاً قد وسعت من آفاق مسألة إيجاد المقابلات في ترجمة النصوص الأدبية ٤٠.

ويرى موكاروفسكي أن النص الأدبي يتضمن خاصيتين هامتين هما خاصية التواصل وخاصية الاستقلال، وقد بنى لوتمان على ذلك بقوله بأن النص شديد الوضوح ويتم التعبير عنه بإشارات واضحة، كذلك فإنه محدد بحيث تكون نقطتا بدايته ونهايته واضحتين، علاوة على كونه محتوياً على بناء (تركيب) نتيجة لتنظيمه الداخلي. وعادة ما تكون للإشارات الكائنة داخل النص علاقة مضادة للإشارات والتراكيب الموجودة خارجه. لذا يتوجب على المترجم أن يضع في الحسبان كلا الخاصيتين المستقلة والمتواصلة لدى إخضاع النص الأدبي لعملية الترجمة (٤١).

<http://Archivebeta.Sa/h/135000>

ومن الخطأ إخضاع النص الأدبي المترجم للقيم الثقافية السائدة في لغة الهدف فإن مؤدى ذلك هو تشويه القيم الثقافية للغة المصدر. كما يحسن بالمترجم أن يتجنب وجهة نظر أولئك الذين يعتمدون الى «تفسير» المقاصد الأساسية للمؤلف على أساس من النص وحده. فلا يمكن أن يكون المترجم مؤلف النص الأصلي، كما أن على المترجم مسؤولية أدبية واضحة تجاه القراء في لغة الهدف.

الحذف والإضافة :

وترتبط مسألة التقابل بموضوع الفاقد (أو الحذف) والمكسب (الإضافة) في الترجمة، حيث أن موضوع الحذف والإضافة مرتبط بالمبدأ القائل بأن التماثل لا يمكن

وجوده بين لغتين . ويجب التركيز هنا على أن مسألة إيجاد المقابلات لا يمكن تناولها من منطلق البحث عن التماثل ، حيث أن التماثل لا يمكن أن يوجد حتى بين روايتين لنفس النص في لغته الأصلية ، دعك عن التماثل بين النصين في لغة المصدر ولغة الهدف . إلا أن هذا الافتراض يجب ألا يؤخذ كتصريح للترجمة « الحرة » أو الترجمة بتصرف . وفي هذا المجال أستشهد بقول ليفي التشيكوسلوفاكي ، وهو عالم الترجمة الشهير والذي أصر على أن أي اختصار أو حذف للعبارة الصعبة في الترجمة هو أمر غير أخلاقي ، حيث أن المترجم في نظره ، تقع عليه مسؤولية إيجاد الحلول للمسائل المستعصية . كما أعلن ليفي بأنه يجب اعتماد النظرة العملية (الوظيفية) ليس فقط بالنسبة الى المعنى بل أيضاً بالنسبة للأسلوب والشكل (٤٢) .

وكما أن الحذف ضروري في عملية الترجمة فإن الكسب أو الاضافة لا تقل أهمية حيث أن المترجم قد يتمكن في بعض الأحيان من ايضاح واثراء النص الأصلي كنتيجة مباشرة لعملية الترجمة . ويوجين نيدا مصدر عن مشاكل الفاقد أو الحذف في عملية الترجمة وبالأخص حول الصعوبات التي تواجه المترجم لدى مصادفته العبارات أو المفاهيم في لغة المصدر والتي قد لا تتوافر في لغة الهدف (مثل العبارات التي تصنف سلوك الجمل باللغة العربية والتي لا يوجد لها مقابل في اللغة الانجليزية) . اضافة الى الصعوبات في المفردات ، هناك أيضاً صعوبة نظام الزمن في الأفعال والتي لا يوجد لها مقابلات في جميع اللغات فهناك لغات تعتمد أفعالها على نظام معقد من الزمن بينما هناك لغات تعتمد على نظام أقل تعقيداً لزمن الفعل ويقسم وارن whorf هذه الظاهرة الى اللغة الزمنية واللغة اللازمنية (٤٣) .

استحالة الترجمة :

يميز اللغوي كاتفورد بين نوعين من استحالة الترجمة وهما الاستحالة اللغوية الشكافية (٤٤) . فعلى نطاق الاستحالة اللغوية ، تحدث استحالة الترجمة في

حالة عدم وجود بديل لفظي أو نحوي لوحدة لغة المصدر في لغة الهدف فشلاً
عبارة «هنيئاً» التي تقال بعد الأكل في اللغة العربية لا يوجد لها مقابل
باللغة الانجليزية وأما الاستحالة الثقافية فيمكن التذليل عليها بعبارة
Ivy league لا يوجد لها مقابل في اللغة العربية فهي تعني مجموعة
الجامعات العريقة في الولايات المتحدة مثل هارفارد وبرنستون الخ.. ففي
هاتين الحالتين يستحيل إيجاد المقابل باللغة الأخرى ولو أن في الحالة الثانية
يمكن الجوء الى تفسير العبارات بشرح مطول عما تعنيه.

فإذن استحالة الترجمة اللغوية حسب قول كاتفورد ترجع الى الاختلافات
بين لغة المصدر ولغة الهدف بينما تعود استحالة الترجمة الثقافية الى افتقار ثقافة
لغة الهدف الى الظاهرة المتعلقة بالموضوع. ويضرب مثلاً لذلك عبارة
home الانجليزية التي يمكن أن تعني المنزل والموطن والبلد والأسرة،
وتقابل هذه الكلمة في العربية قاموسياً بكلمة منزل أو بيت فقط، إلا أن
المقابل القاموسي أو اللفظي لا يمكن الاعتماد عليه وحده حيث أن هذه
العبارة من العبارات الواجب فهمها من خلال السياق الذي ترد فيه بلغة
المصدر. فشلاً لو تحدث أحد الانجليز القاطنين في الكويت قائلاً: I "shall go back home"
فقد يعني العودة الى منزله في الكويت أو
موطنه في بريطانيا، وعلى ذلك فإن السياق هو الذي يحدد هنا كيفية إيجاد
المقابل المرتبط بالعبارة. وتظهر استحالة الترجمة أيضاً في عبارات معينة مرتبطة
بدلالات متشعبة وغالباً ما تكون لهذه العبارات المجردة مقابلات لفظية في
اللغات الأخرى، إلا أن المترجم يتحقق في الحال من استحالة الترجمة
الثقافية على الرغم من الاستطاعة اللغوية— وذلك بسبب الاختلاف الشاسع
في مفهوم هذه الكلمات في الثقافات المتباينة. مثلاً كلمة الديمقراطية
Democracy ترتبط بدلالات ومفاهيم شاسعة الاختلاف في الجدول
المقارن التالي:

جمهورية كوريا الديمقراطية

الحزب المسيحي الديمقراطي الالمانى

الحزب الديمقراطي الامريكى

الجناح الديمقراطي من حزب المحافظين في بريطانيا (٤٥)

يتبدى من استخدام كلمة «الديمقراطية» أعلاه، أن السياق الجغرافي السياسي هو الذي يحدد المعنى المراد من الكلمة ليس فقط من وجهة نظر ثقافة المصدر بل يضاف اليها وجهة نظر ثقافة لغة الهدف وعلى هذا فإن القارئ سيختار المعنى الذي يرتبط بالظاهرة (العبارة) أمامه وفقاً لمفهومه الثقافي للعلاقات التي تحكم هذه الظاهرة. ونفس الأمر ينطبق على كلمات مجردة أخرى مثل الحرية، الوطنية واليمين واليسار والوسط. فإن مثل هذه العبارات على الرغم من انتشار استخدامها دولياً إلا أن دلالاتها المختلفة في كل حالة تؤدي الى الاستحالة في انتقاء سمات مشتركة ذات علاقة بها، مما يؤدي الى صعوبة الترجمة وأحياناً استحالتها.

ويورد بوبوفيتش حالتين تظهر فيها استحالة الترجمة. الحالة الأولى هي تلك التي لا يمكن فيها ابدال العناصر اللغوية للنص الأصلي بوجه مرض سواء باستخدام التركيب اللغوي، أو الاستبدال الوظيفي أو الاحلال الموازي أو باستعمال ألفاظ ذات دلالات متقاربة، وذلك نتيجة للافتقار الى المترادفات أو العبارات ذات المعنى المتقارب. ويمكن تسمية هذا الوضع بالاستحالة اللغوية واذكرنا بتصنيف كاتفورد.

أما الحالة الثانية فهي تلك التي تبدو فيها علاقة التعبير عن المعنى — أي العلاقة بين الموضوع الخلاق والتعبير اللغوي عنه في النص الأصلي — غير خاضعة للتعبير اللغوي في الترجمة وهذا مايمكن تسميته بالاستحالة الثقافية للترجمة (٤٦).

ولقد لقي هذا الاتجاه السلبي في التركيز على مشكلة استحالة الترجمة

نقداً من جورج مونين الذي يؤكد أن هذه المشكلة قد لقيت الكثير من العناية على حساب إيجاد الحلول العملية للمشاكل التي تواجه المترجم. ويعتقد مونين بأن الترجمة يمكن أن تفيد من التطور في علم اللغويات، ودراسات اللغويات البنائية ودراسات ساسور وجلمسليف وبخاصة حلقات البحث اللغوية في كل من موسكو وبراغ. كما أن لدراسات تشومسكي واللغويين التحويليين أثرها وعلى الأخص فيما يتعلق بالدراسات الدلالية، وعلى وجه العموم، فإن مونين يؤمن بأن ترجمة التجارب الشخصية الفريدة ممكنة كما أن التواصل ممكن في ظل الأخذ بعين الاعتبار لكل من المؤلف والقارئ، ويقول مونين: «يمكن للترجمة أن تبدأ في ظل أكثر المواقف وضوحاً، ومع رسالة واقعة وملموسة وبمفاهيم سهلة وشاملة. ولكن حيث أنها ترتبط باعتبارات كلية لإحدى اللغات المصحوبة بمفاهيمها الذاتية جداً، ومن خلال تفحص مواقف مشتركة، وكذلك مضاعفة العلاقات التي تحتاج إلى الإيضاح، فإنه لا يوجد مجال للشك بأن الاتصال من خلال الترجمة لا يمكن أن يكون تاماً وكاملاً، مما يبرهن في نفس الوقت على ذلك ممكن أيضاً» (٤٧).

ويؤخذ مما سبق أن نظريات الترجمة المعاصرة تبحث في الترجمة من حيث كونها مشاكل «ثقافية» ومن حيث أهمية دراساتها في نطاق فلسفي عملي بالإضافة إلى إشارتها إلى المشاكل واهتمامها بإبرازها أكثر من اتجاهها إلى تقديم الحلول. وعلى هذا فإن المترجم، بعد كل ذلك الزخم النظري، يجد نفسه وحيداً وفي فراغ «عملي» يتعين عليه أن يملأه بقرار حاسم وسريع، غير أنه لا يمكن استبعاد القيمة الكبرى للبعد النظري في إيجاد أنسب الحلول للمشاكل العملية للترجمة.

خاتمة:

يتبين لنا من الاستعراض السابق في قسميه الأول والثاني عدة نتائج هامة عن الترجمة ومشاكلها والتي شغلت الكثير من المفكرين عبر العصور وفي

مختلف الثقافات. وتبرز اتجاهات أهمها استحالة الترجمة ومشاكلها اللغوية والثقافية وكذلك إمكان الترجمة بما تحمله من معضلات عمل المترجمون جاهدين على حلها مثل مشاكل المقابلات والاصطلاحات. على أن جميع الاتجاهات التي سادت في الماضي وتسود اليوم عالم الترجمة تتفق على أمر هام وهو نوعية المترجم ويدخل في ذلك معرفته بكلا اللغتين نحوه واصطلاحا وثقافة. كما أنني حاولت في هذه المقالة الإشارة الى الاسهام العربي في الترجمة قديما وحديثا وعلاقته بالفكر الانساني في هذا الميدان. والملاحظ في معظم الاتجاهات التي طرحت على بساط البحث أنها تؤيد اعطاء الأهمية الكبرى للنص بلغة المصدر على ترجمته بمعنى أن الترجمة يجب ألا تطمس معالم الأصل سواء في الجوانب الكلية أو الجوانب التفصيلية كما أن النص المترجم يجب أن يشوق القارئ الى الرجوع الى النص الاصلي وأن تساعده الترجمة في الوصول الى موقع قارئ النص بلغته الاصلية وذلك عن طريق احتفاظ الترجمة بالخواص الأجنبية للنص بلغة المصدر. كما أن الاتجاهات النظرية في الترجمة عبر العصور قد اهتمت بتشجيع أنماط متباينة من الترجمة تتراوح بين الترجمة الحرفية والدقيقة الموجهة الى القارئ المتخصص والباحث أو بين اطلاق حرية المترجم وذلك بالتغيير الجذري للنص الاصلي، ويقف موقف الوسط بين طرفي النقيض هذين نمط ثالث يحاول تحقيق التوازن بين الحرفية أو عبودية المترجم للنص بلغة المصدر والحرية الترجمة أو تحقيق المترجم لابداعه واستخدامه حكمه اللغوي وحسه الثقافي. وهذا النمط الأخير هو ما يمكنني أن اطلق عليه «اللسان الثالث» والذي يقف وسطا بين لغة المصدر ولغة الهدف في محاولة لتحقيق جسر ثقافي وربط لغوي يؤديان الى التواصل الإنساني في اثنى أشكاله الفكرية.



George Steiner, *After Babel: Aspects of Language and Translation* (London: Oxford (١) University Press, 1975)

C.F. Horace, *On The Art of Poetry*, in *Classical Literary Criticism* (Harmondsworth: (٢) Penguin Books, 1965) pp. 77-97.

See E. Nida, *Towards a Science of Translating* (Leiden: E.J. Brill, 1964), and F.F. (٣) Bruce, *The English Bible, A History of Translations*, (London: Lutterworth Press, 1961).

C.. Babel, IX (1), 1970 (٤)

(٥) كوتهدارد شترو صماير، «حنين بن اسحق الفقيه اللغوي» في كتاب مهرجان افرام حنين (بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٤٧) ص ص ٤٨١ - ٤٨٣.

The Encyclopedia of Islam (New Edition) (٦)

(٧) ك. شترو صماير، سبق ذكره، ص ص ٤٤٨ - ٤٨٩ وكذلك

The Encyclopedia of Islam. op. cit.

The Encyclopedia of Islam. op. cit. (٨)

C.F. E. Curtius, *European Literature and the Latin Middle Ages* (London: Routledge (٩) & Kegan Paul, 1953).

Cf. Eric Jacobsen, Translation: *A Traditional Craft* Copenhagen: Nordisk Forlag, (١٠) 1958).

Ibid. (١١)

Chapman's *Homer*, ed. R. Heme Shepherd (London: Chatto and Windus, 1875). (١٢)

C.F. T.R. Steiner, *English Translation Theory, 1650-1800* (Assen and Amserdam: (١٣) Van Gorcum, 1975).

Ibid. (١٤)

C.f. Andre' Leferere (ed.), *Translating Literature: The German Tradition from Luther (١٥) to Rosenzweig* (Amsterdam and Assen: Van Gorcum, 1977).

Quoted from and article by J.F. Huntsman in *Amsterdam Classics in Linguistics* vol. (١٦) 13 (Amsterdam: John Benjamins B.V., 1978).

A Leferere, *Ibid.* (١٧)

F.W. Newman, *Homeric Translation in Theory and Practice*, 1861, in *Essays by (١٨) Mathew Arnold* (London: Oxford University Press, 1914) pp. 313-77.

Ibid.; p. 247. (١٩)

Quoted in William J. De Sua, *Dante into English* (Chapel Hill: University of North (٢٠) Carolina Press, 1964) p. 65.

E. Fitzgerald letter to Cowell, 20 March 1957. (٢١)

(٢٢) أنور الجندي: *تطور الترجمة في الأدب العربي المعاصر*، (القاهرة: مطبعة الرسالة، د.ت) ص ٤.

(٢٣) المصدر السابق، ص ١٢.

(٢٤) عبد العزيز برهام، *مقالة في الرسالة* (القاهرة: ١٩٤٥/٥/١٤).

مذكرة في أنور الجندي — مصدر سبق ذكره، ص ١٤.

(٢٥) أ. الجندي — مصدر سابق ذكره ص ٢٨.

(٢٦) المصدر السابق.

(٢٧) المصدر السابق، ص ٣٣.

(٢٨) المصدر السابق، ص ٣٤.

(٢٩) سليمان البستاني: *الباذة هوميروس*، الجزء الأول (بيروت — دار احياء التراث العربي، د.ت) ص ب ٧٥.

(٣٠) المصدر السابق، ص ٧٧.

(٣١) المصدر السابق، ص ٧٦.

Susan Bassnett-Macguire, *Translation Studies* (London: Methuen & Co. Ltd., 1980), pp. 6-7. ٣٢

Roman Jakobson, 'On Linguistic Aspects of Translation' in R.A. Bower (ed.) *On Translation* Cambridge, Mass: Harvard University Press, 1959), pp. 232-9. ٣٣

Theodore Savory, *The Art of Translation* (London: Jonathan Cape, 1968) p. 13. ٣٤

Ibid; 14-15. ٣٥

Ibid; 16-24. ٣٦

Eugene Nida and Charles Taber, *The Theory and Practice of Translation* Leiden: E.J. Brill, 1969), p. 484. ٣٧

Anton Popovit, *Dictionary for the Analysis of Literary Translation* (Canada: University of Alberta, Department of Comparative Literature, 1976). ٣٨

Nida, *op. cit.* ٣٩

See: Aberecht Neubert, 'Elemente einer allgemeinen Theorie der Translation', *Actes du xe Congres International des linguistes*, 1967, Bucarest II, pp. 451-6; and C.S. ٤٠

Pierce, *Collected Papers*, ed. C. Hartshore, P. Weiss and A. Burks (Cambridge, Mass., Harvard University Press, 1931-58). See also: R.v.d. Broeck 'The Concept of equivalence in Translation Theory: Some critical reflections' in J.S. Holmes, J. Lambert and R.v.d. Broeck (eds.), *Literature and Translation* (Louvin: Acco. 1978), pp. 29-48.

See: D.W. Fokkema, 'Continuity and Change in Russian Formalism, Czech structuralism and Soviet Semiotics' *PTL*, (1) Jan. 1976, pp. 153-96; see also: Ann Shukman, 'The Canonization of the Real: Juri Lotman's Theory of Literature and Analysis of Poetry', *PTL* I (2) April 1976, pp. 317-39. ٤١

J. Levy, *Umeni Prekladu* (The Art of Translation) (Prague, 1963), cited in J. Holmed (ed.) *The Nature of Translation* (London: Oxford University Press, 1965). ٤٢

- B.L. Whorf, **Language and Reality** ed. J.B. Carroll (Cambridge, Mass.: The MIT Press, 1956), p. 213. ٤٣
- See: J.C. Catford, **A Linguistic Theory of Translation** (London: Oxford University Press, 1965). ٤٤
- S. Bassnett-Mcguire, *op. cit.*; p. 33. ٤٥
- C.F. Juri Lotman and B.A. Uspensky 'On the Semiotic Mechanism of Culture' **New Literary History**, IX (2), 1978, pp. 211-32. ٤٦
- Georges Mounin, **Lès Problèmes Théoriques de la Traduction** (Paris: Gallimard, 1963) p. 279. ٤٧

The title of this article is inspired by Allan Duff's **The Third Language: Recurrent problems of translation into English** (Oxford: Pergamon Institute of English, 1981). A good part of the article is largely indebted to the material and methodology used by several authors referred to above, including S.B- McGuire's **Translation Studies** (*op. cit.*), T. Savory's **The Art of Translation** (*op. cit.*) and G. Steiner's **After Babel** (*op. cit.*). The fusion of Arabic Translation Schools into the main body of the historical - theoretical account is entirely mine.

Tarek A. Jawad



ترجمة الكتاب المقدس

الى اللغة
الانجليزية

ARCHIVE

<http://Archiveeta.Sakhril.com>

د. شوقي السكري

هل يمكن أن تكون هناك ترجمة حقيقية، الجواب أنه حيث أن اللغات المنقول منها واليا تختلف فيما بينها فلا سبيل الى الترجمة المتطابقة تمام التطابق وتظهر أهمية هذا الحكم اذا واجهنا كلام الله المقدس الذي يتعين على الناس جميعاً مهما كانت لغاتهم أن يتعرفوا عليه ويفهموه ويقرؤوه ويعملوا به.

لقد ترجم الانجيل برمته أو على أجزاء الى أكثر من ألف لغة، ومعظم هذه اللغات التي ترجم اليها الانجيل تمت في القرنين الأخيرين فقط أي

القرن التاسع عشر والقرن العشرين، بل لقد كان من جراء وجود ترجمة للإنجيل في لغة من اللغات التي لم تكن قد كتبت بعد بشكل ثابت أن ساعدت الترجمة على تثبيت المصطلحات اللغوية وطريقة الكتابة بهذه اللغة، وهذا فضلاً عن التأثير الثقافي والديني والحضاري بطبيعة الحال.

وأول ترجمة للكتاب المقدس فيما نعلم هي الترجمة اليونانية لكتاب العهد القديم منذ القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد. وقد شاع آن ذاك أن الذين توافدوا على اعداد هذه الترجمة عددهم سبعون أو اثنان وسبعون ومن هنا عرفت هذه النسخة المترجمة بالنسخة السبعينية، وقد كان الدافع وراء هذه الترجمة وجود مستعمرة يهودية كبيرة في مدينة الاسكندرية لم يكن لأفرادها علم باللغة العبرية، وكان لابد من توفير هذه الترجمة اليونانية حتى يستطيعوا قراءة النصوص الدينية وفهمها وتطبيقها. ولكن هذه النسخة اليونانية لكتاب العهد القديم لا يمكن أن تكون مطابقة للنص العبري الذي نقلت عنه، ففيها نقل حرفي لا يكاد يفهمه غير اليهود المدركين لمعاني الأصل في العبرية وفيها أيضاً تجاوزات لا يمكن تبريرها في وقتنا هذا.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ومع ما في هذه الترجمة اليونانية من قصور ومغالطة وتضارب إلا أن تأثيرها على التاريخ المسيحي واليهودي كان تأثيراً بالغ المدى، ولعل تأثيرها على التاريخ المسيحي كان أكبر منه على التاريخ اليهودي لأن اليهود بعد تحطيم الهيكل في مدينة القدس في العام السبعين بعد الميلاد قد رجعوا الى النصوص الأصلية في اللغة العبرية وتمسكوا بها ولم يرضوا بالبدل اليوناني الذي وجدوا فيه تلاعباً وتحريفاً لم يكونوا على استعداد لتقبلها.

ولعل هذا هو السبب الذي جعل المسيحيين يتمسكون بالنسخة السبعينية التي لم يرض عنها اليهود أو يعترفوا بصحتها، وتم ذلك على الأقل في القرون الأولى للمسيحية، بل ان كتاب العهد الجديد يتضح فيه تأثير النسخة السبعينية للعهد القديم التي كان في وسع آباء الكنيسة أن يقرؤوها في لغتها

اليونانية بينما لم يكن في وسعهم أن يتبعوا الأصل العبري .

وفي القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد بدأت التراجم اللاتينية في الانتشار وقد عهد البابا داماسوس الأول Damasus الى لجنة يرأسها جيروم Jerome في تحقيق النص اللاتيني المعروف باسم فلجيت Vulgate وهو النص الذي ظل سائداً في الكنيسة الكاثوليكية في غرب أوروبا لمدة تزيد على الألف عام . ولكن هذا النص كان أيضاً عرضة للاثام من جانب عدد من العلماء في القرون الوسطى الأوروبية بل ان بعضهم تصدى لغربلته وتنقيته من الزيف والشوائب التي دخلت عليه في صورته الأصلية كما تصورها . وظهرت عدة نسخ ، منها نسخة أمر بها البابا كلمنتيت الثامن Clementine VIII أعدت في سنة ١٥٠٩ وتمت مراجعتها في سنة ١٥٩٢ . وفي سنة ١٩٠٧ قام البابا بيوس العاشر Pius X بتعيين لجنة دولية لتحقيق النص مرة أخرى ونشر المجلد

الأول من هذا النص المحقق في سنة ١٩٢٦ .
وقد كان للترجمة أثرها في الفكر الأوروبي المسيحي على مدى قرون طويلة ، كما كان لها تأثير على تطور اللغات التي انفصلت عن اللاتينية ، وحتى حين خرج دعاة الاصلاح الديني من البروتستانتين على الكنيسة الكاثوليكية ورؤسائها ، ظلت الترجمة المعتمدة من قبل الكنيسة الكاثوليكية هي المصدر الذي اختلفوا اليه وكان احتكامهم له عاملاً كبيراً في تثبيت أثره حتى على اللغات واللهجات الحديثة في أوروبا الغربية كلها .

أما في اللغة الانجليزية فلم تظهر ترجمة الانجيل بشكل معتمد إلا في القرن السادس عشر . فكتاب العهد الجديد ترجمه الى اللغة الانجليزية لأول مرة وليام تندرل William Tyndale ونشره في عام ١٥٢٥-١٥٢٦ وقد رجع في الترجمة الى الأصل اليوناني ثم أخذ تندرل بعد ذلك في الرجوع الى الأصل العبري لكتاب العهد القديم توطئة لنقله الى

اللغة الانكليزية — ولكن المنية عاجلته قبل أن يفرغ من ترجمته .

وبعد ترجمة تندال ظهرت ترجمة أخرى لمايلز كفرديل Miles Coverdale نشرت في سنة ١٥٣٥ وكان الاعتماد فيها على غير النصوص العبرية واليونانية السابق ذكرها، لقد كان الاعتماد على تراجم أخرى كانت منتشرة اذ ذاك . وقد بلغ من سوء هذه التراجم أن ظهرت الحاجة الى ترجمة يتفق عليها رجال الدين جميعاً فكان ظهور الإنجيل العظيم Great Bible الذي نشر في سنة ١٥٣٩ ولكن هذه الترجمة لم تقض تماماً على التراجم التي سبقتها، بل دخلت اجزاء من هذه التراجم مرة أخرى في النسخة الجديدة للإنجيل العظيم التي أطلق عليها انجيل الاساقفة في عام ١٥٦٨، وحتى هذا الانجيل لم يقض على الرغبة في ترجمة جديدة تجمع مزايا التراجم السابقة وتتجنب عيوبها .

ومن هنا ظهرت النسخة المرخص بها من قبل الملك جيمس James في سنة ١٦١١ وهي النسخة التي فرضت نفسها على تاريخ الشعوب الناطقة باللغة الانكليزية، من النواحي الدينية والأدبية والفكرية، حتى عندما تعرضت للنقد بين آونة وأخرى . وكل ما هناك أن هذه النسخة ظلت تراجع على فترات فظهرت في بريطانيا نسخة تمت مراجعتها ونشرت فيما بين عامي ١٨٨١ و ١٨٨٥ وتبعتها نسخة أمريكية ظهرت في سنة ١٩٠١ . وتلاحقت تراجم أخرى كثيرة في القرن العشرين تضمنت مصطلحات وتعابير مما يشيع في اللغات الدارجة كما أنها عمدت الى التبسيط والشرح حتى تصل المفاهيم الدينية للجماهير المختلفة في القرن العشرين .

وتعتبر ترجمة الانجيل عملاً محفوفاً بالمخاطر نظراً للحساسيات الدينية من ناحية ونظراً لدقة النص وصعوبته في التعبير من ناحية أخرى، وتحتاج ترجمة الانجيل الى جانب هذه المحاذير والمخاطر التي يشترك فيها الانجيل مع النصوص الأدبية والفنية الخالدة الى معرفة بلغتين قديتين هما اليونانية

والعبرية والقدرة على التمييز بين الآرامية والعبرية. وتاريخ التراجم المعتمدة للانجيل هو تاريخ للغات الاوروبية التي نقل الانجيل اليها، ولطول الانجيل وتنوع أغراضه نجد تأثير الترجمة على اللغات الأوروبية تأثيراً كبيراً متشعباً واسع المفعول.

ويمكننا الوقوف على مدى الصعوبات التي يقابلها مترجم الانجيل من التقديم الذي تصدر النسخة المعتمدة التي ظهرت في سنة ١٩٤٦ ثم في سنة ١٩٥٢ والذي يتضمن الكلمات التالية :

« ان الكتاب المقدس ليس مجرد وثيقة تاريخية ينبغي الحفاظ عليها بل هو أكبر من أن يكون مجرد أثر أدبي خالد في اللغة الانكليزية لا ينقضي اعجابنا وتعلقنا به، انه سجل للتعامل الالهي مع البشر، انه تنزيل من الله واطهار لارادته، انه سجل لحياة المسيح الذي هو كلمة من الله ولن يتحقق فهم رسالته على أكمل وجه للذين ينظرون اليه باعتباره تراثاً ينتسب الى الماضي أو للذين يمتدحون فيه أسلوبه الأدبي بل لابد للاحاطة بكنهه من التعرف على كلام الله وفهمه، وهذا الكلام لا يجوز فيه التعمية بسبب استخدام عبارات لم تعد واضحة أو لم تعد تفيد نفس المعنى بعد أن فقدت معناها القديم تماما، ولذا يجب أن يكون كلام الله في صورة مباشرة بسيطة لا تستعصى على فهم الناس في حاضرهم ».

القرآن

وإذا كان تاريخ التراجم الخاصة بالأنجيل قد تميز بالصعوبات والمشاق والتحرج والرغبة في معاودة الترجمة ومراجعتها واعتمادها فإن ترجمة القرآن أو بالأحرى ترجمة معانيه قد أثارت عدة قضايا جوهرية منذ البداية، فعقيدة علماء المسلمين المحافظين كما يقول مارما ديوك بكثول في مقدمته التي طبعها دار الكتاب اللبناني في بيروت سنة ١٩٧١ « وعقيدتي أيضاً أن القرآن لا يمكن ترجمته من لغته العربية التي نزل بها الى أي لغة أخرى، ولهذا فالقرآن هنا

في هذه الترجمة قد نقل إلى الانجليزية حرفياً تقريباً، وقد بذل أقصى الجهد في اختيار اللغة المناسبة. ان هذه الترجمة لا تعدو أن تكون محاولة فقط لنقل معاني القرآن الى الانكليزية مع الحفاظ ما أمكن على جزء من جماله اللفظي. وهيات أن تحل هذه الترجمة محل القرآن في لغته الأصلية ولم يقصد بها أن تكون كذلك».

ونخبرنا المستشرق الانكليزي الراحل آرثر آربي Arthur J. Arberry في مقدمة الترجمة التي قام بها ونشرتها (دار ما كميلان في نيويورك والتي صدرت طبعها الخامسة في سنة ١٩٧٣) أن أول ترجمة ظهرت في أي لغة من لغات أوروبا الغربية هي الترجمة التي قام بها روبرتس رتنينس Robertus Retenensis في القرن الثاني عشر الميلادي بتحرير من بطرس المجل Peter the Venerable والتي انتهت منها في سنة ١١٤٣. وقد قدر لهذه الترجمة أن تنتشر على نطاق واسع على الرغم من أنها كانت تنسخ بخط اليد. وهذه الترجمة اللاتينية نفسها هي التي طبعها بعد ذلك بأربعة قرون في مدينة بال Basle بسويسرا، وكان الناشر ثيوفور بيلياندر Theoder Bibliander (بوخان) من مدينة زيوريخ. وقد ظهرت في الطبعة عدة أخطاء في الفهم والقراءة كانت ظاهرة للعيان ومع ذلك فقد ظلت هذه الطبعة هي المصدر الرئيسي لكل التراجم التي أنتشرت في أوروبا.

وفي سنة ١٦٤٧ تمكن تاجر فرنسي من الذين كانوا يتعاملون مع المسلمين في الوطن الشامي الكبير من إعداد ترجمة فرنسية لم تلبث أن ظهرت ترجمة لها في اللغة الانكليزية بعد ذلك بعامين، وجاء على غلاف الكتاب الذي احتوى الترجمة الانكليزية هذه:

«هذا القسran مترجم من العربية الى الفرنسية على يد السيد ريه

Ryer الذي يعمل في الاسكندرية مفوضاً من ملك فرنسا. وقد تم نقل الترجمة الى اللغة الانكليزية حديثاً من أجل خاطر الذين يريدون النظر في مثل هذه الترجمة ومع الترجمة ملحق بسيرة محمد ومعها أيضاً تحذير أو نصيحة لأولئك الذين يودون الاستفادة منها أو التحقق مما إذا كان في قراءتها خطر عليهم».

هكذا كانت بداية التراجم القرآنية في اللغة الانكليزية، وهكذا كان سوء النية والجهل وسوء الفهم متوفرًا منذ البداية، حتى لتقرأ في اللغة الانكليزية القديمة سيلاً من السباب والشتائم التي كان الباعث الرئيسي فيها هو الخوف من الإسلام، وينعكس هذا في المقدمات الضافية التي تطمئن القارئ الانكليزي إلى أن القرآن المترجم الى اللغات الأوروبية الأخرى لم يفلح في صرف المسيحي عن مسيحيتة. ومع ذلك فالذي يظهر على غلاف القرآن أنه «لا يمس إلا المطهرون». ومع هذه النعمة البغيضة في التهوين من شأن القرآن لم تغفل هذه المقدمات التنويه بخطر الإسلام وأنه يسيطر على جزء كبير من العمورة، ولذا يجب التصدي له ووقف تأثيره الضار.

وما أن حلت سنة ١٦٩٤ حتى ظهرت الطبعة العربية للقرآن التي قام على نشرها ابراهيم هنكلمان Abraham Hincklmann في مدينة هامبورج الالمانية، ومن هذه النسخة العربية المطبوعة مع مضاهاتها بالترجمة الفرنسية السابقة وترجمة لاتينية قام بها الأب ماراتشي Maracci في بادوا بايطاليا عام ١٦٩٨، توفر جورج سيل George Sale على ترجمته هو الى الانكليزية، والتي ظهرت أول طبعة لها في سنة ١٧٣٤ مصدرة بهذه المقدمة:

«أعتقد أنه لا حاجة بي الى تبرير هذه الترجمة أو إثبات فائدتها ولو من باب حب الاستطلاع أما أولئك الذين يخشون على الديانة المسيحية من مثل هذه الوثيقة (يقصد القرآن) فلا أعتقد أنهم يحسنون الظن بديانتهم أو

يعرفونها حق المعرفة .. ولن تشغلني هنا الأسباب التي وراء استقبال القانون الحمدي هذا الاستقبال المنقطع النظير (فالذين يظنون أنه انتشر بحد السيف وحده أنما يخدعون أنفسهم). ولن أبحث في الوسائل التي جعلت أما لم تتعرض فقط لسيوف المسلمين تعتنق هذا الدين، بل جعلت أقواما يدخلون في الاسلام بعد أن جردوا العرب من فتوحاتهم ووضعوا حداً لسيادتهم وقضوا على حياة خلفائهم.

ومع ذلك فيظهر أن هناك شيئاً في هذا الدين غير الموجود عند عامة المؤمنين بالأديان الأخرى هو وراء هذا التقدم المذهل الذي أحرزه الاسلام..... وما أبعد الكتاب من أتباع المذهب المسيحي الكاثوليكي عن أصابة أي خير بما يكتبونه في تفنيد الديانة المحمدية، فهؤلاء الكاثوليك في غمرة دفاعهم عما يوغلون فيه من عبادة الاصنام والتسك بالدجل والخرافات لا يمكن ألا أن يتسببوا في أقبال الناس على الديانة المحمدية بشكل أكبر وذلك بدافع من الكراهية لديانة أولئك المسيحيين الكاثوليك الذين يعطون لأتباع الديانة المحمدية كل الحجة عليهم... وليس هناك من يستطيع النيل من القرآن بنجاح إلا البروتستانت، فإنني أومن بأن العناية الإلهية قد ادخرتهم لاحتراز النصر على الإسلام».

وقد بقيت ترجمة سيل Sale للقرآن مائة وخمسين عاماً مما مكن لها نشر تأثيرها على نطاق واسع. وظلت تلك الترجمة هي التي يعرف بها قراء الانكليزية حقيقة القرآن حتى نهاية القرن التاسع عشر، وحتى في عصرنا هذا ما زال هناك كثيرون لا يعرفون من القرآن إلا ما زودتهم به هذه الترجمة.

إلا أن ظهور طبقة المستشرقين في القرن التاسع عشر وحرصهم على قراءة النص العربي والتحقق من معناه ومبناه وتقصيلهم لكل شاردة وواردة لها صلة بالنص قد ساعد على الاستخفاف بترجمة سيل ونبذها في نهاية الأمر، وقد

حلت محلها بعد ذلك ترجمة رضويل J.M. Rodwell الذي غير في ترتيب السور حتى تطابق التسلسل التاريخي الذي نزلت به . وكان تبريره لعمله هذا «أن ترتيب السور في هذه الترجمة مبني على ما جاء في الأحاديث النبوية من ناحية وعلى النظر الدقيق في مادة كل سورة وصلتها بسياق الأحداث في حياة النبي محمد من ناحية أخرى ... فهذا الترتيب أملاه النقد الفاحص والتحليل الدقيق لكل سورة من السور، ويمكن اعتباره مقياساً يقاس عليه ومثالاً يحتذى به ما لم تكن هناك أسباب وجيهة للخروج عليه» (١)

وقد ظهرت الطبعة الأولى لترجمة رضويل في سنة ١٨٦١ وتولت نشرها بعد ذلك مكتبة إفريمان Everyman's Library في سنة ١٩٠٩، وتتميز ترجمة رضويل بأن طريقة المترجم في ترجمته تتم عن تقدير لنبي الإسلام لم يكن موجوداً من قبل في تراجم القرن السابع عشر التي تتسم بالحق والكراهية العمياء أو تراجم القرن الثامن عشر التي تشوبها نغمة الغرور والاستعلاء .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وقد أعرب لنا ستانلي لين بول Stanley Lane-Poole عن رأيه في ترجمة رضويل وترجمة سيل قبلها في كتابه «دراسات في مسجد» Studies In A Mosque الذي نشرته دار خياط في بيروت سنة ١٩٦٦، وإن كان الكتاب قد كتب في سنة ١٨٨٣. ولكنه قبل أن يفعل ذلك أخذ ينعي على القارئ الانكليزي جهله بالقرآن وعزوفه عن قراءته مع أنه لا يكف عن الحديث عنه، لأن عدداً من شعوب المستعمرات الانكليزية تدين بالاسلام وتقرأ القرآن .

فقد ظلت ترجمة سيل Sale حتى الآن هي المصدر الوحيد — عملياً — لما نعرفه أو نجعله عن القرآن في انجلترا . وميزة هذه الترجمة أنها سبقت التراجم الانكليزية الأخرى كلها بقرن من الزمان، وحتى عندما صدرت

تراجم أخرى فإنها احتفظت بمكانتها باعتبارها النسخة المعتمدة لدى القارئ العادي. وترجمة سيل ليست ترجمة سيئة ولكنها عديمة الحيوية بشكل لا يطاق. صحيح أن الترجمة مطابقة حرفياً للنص الأصلي عادة، ولكن افتقار سيل لأسلوب أدبي متميز وعجزه عن حفظ الروح الموجودة في النص العربي ولو بقدر ضئيل، وطريقته المملة في ترتيب السور والفقرات مما جعل العين الكلييلة تبحث عبثاً عن وقفة أو مكان للراحة... جعلت ترجمته من أشق ما يمكن في القراءة حتى بين مثيلاتها من التراجم» (ص ١١٦).

ولذلك حمل لين بول مسؤولية العزوف عن القرآن لسيل Sale بسبب ترجمته تلك، وأختص رضويل بالثناء لأن ترجمته فيها إحساس وشاعرية وجمال.

وقد استعرض لين بول ترتيب السور في القرآن ولاحظ أن مسألة الطول والقصر هي الفيصل عند المسلمين، ولا ينبغي أن تكون كذلك عند القراء الانكليز، اذ يجب أن ترتب السور حسب توقيت نزولها، وهذا يحى الشعور بالملل والكتابة عند القارئ الانكليزي ويعتقد لين بول على عكس ما كان يراه الكاتب الاسكتلندي الذائع الصيت في القرن التاسع عشر توماس كارليل أن القرآن ليس كمًا مختلطاً عسيراً على الفهم بل فيه أفكار منظمة بشكل تدريجي يمكن تتبعه، وعلى الرغم من إعجاب لين بول بالمصطلحات التي ترجمها لين Lane's Selections لأنها تقرب محتويات القرآن الى القارئ وتنظمها له موضوعاً بموضوع إلا أن متابعة التسلسل التاريخي لنزول القرآن يفيد القارئ في الوقوف على تطور الاسلام وحقيقة الظروف التي أحاطت به وبانتشاره، كما كان يرى لين بول.

ثم جاء مترجم آخر هو الاستاذ أي. هـ. بالمر E.H. Palmer وهو صاحب موهبة لغوية فذة في رأي لين بول واستطاع بسبب هذه الموهبة

أن يضيفي على ترجمته ظلالاً من روح النص العربي، وهنا يترجم لين پول على بالمر الذي قضى رداً من حياته مخالطاً للبدو والمسلمين في المشرق العربي فخير أحوالهم، وتمرس على التفاهم معهم بلغاتهم، ولكن هذه الخبرة لم تجده فتيلاً حين حم القضاء وقتل في صحراء مصر.

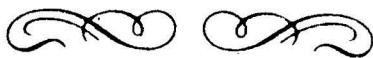
ويؤكد لين پول في نهاية تقييمه لترجمة بالمر أنها على الرغم من بعض الأخطاء الموجودة فيها «تعتبر أول محاولة ناجحة لنقل روح الكتاب المقدس في الإسلام الى اللغة الانكليزية» (ص ١٢١) وقد نشرت ترجمته هذه في مجلدين نشرا في عام ١٨٨٠ أي قبل مقتله بسنتين.

وقد قدر لترجمة رضويل التي نشرتها دار دنت J.M. Dent & Sons ولترجمة بالمر التي نشرتها مطبعة جامعة أوكسفورد في سلسلة الروائع العالمية أن تنتشر على نطاق واسع في العالم الذي يتحدث الانكليزية. اذ كان القارئ يفضلها على ترجمة لاحقة للاستاذ رتشارد بل Richard Bell أستاذ كرسي اللغة العربية بجامعة ادنبره باسكتلندا والتي نشرها فيما بين عامي ١٩٣٧ و ١٩٣٩، اذ كانت هذه الترجمة ثقيلة الوطء على القارئ لكثرة الحواشي والتعليقات وتفكك النص الى جزئيات تستوقف القراءة وتمنعها من السيوالة والسلاسة.

واليوم ليس في أيدي القراء الانكليز خير من ترجمة الراحل الأستاذ آرثر آربري الذي كان رئيساً لقسم الدراسات اللاتينية واليونانية بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة من سنة ١٩٣٢ إلى سنة ١٩٣٤ وقد ظل منذ سنة ١٩٤٧ حتى وفاته شاغلاً لكرسي الأدب العربي بجامعة كامبردج بانكلترا وهو يقر في بداية المقدمة التي كتبها لترجمته بأن من المستحيل ترجمة القرآن، لأن البلاغة العربية وجرس الألفاظ والعبارات في اللغة العربية لا يمكن نقلها بحال من الأحوال الى اللغة الانكليزية، ولكنه حاول قدر الجهد وقدر ما تتسع له لغته الانكليزية أن يحتفظ لترجمته بشيء من الجمال والموسيقى لم

يتوفرا في تراجم أخرى ظهرت مؤخراً. ولا شك أنه حاول أن يوحى الى القارئ الانكليزي بالخروج عن نطاق عالمه ويهيئه للدخول في عالم الكتاب العربي الأول الذي ترك طابعه على الثقافة العربية كلها وما زال.

يقول آربري في مقدمته لطبعة سنة ١٩٦٤ التي نشرتها مطبعة جامعة أوكسفورد (حاولت أن أستخدم لغة واضحة غير مصبوبة في قوالب معينة، وتحاشيت أسلوب التراجم الانكليزية للكتاب المقدس الذي سار عليه من سبقوني في الترجمة فيما عدا شيء واحد أخذته عنهم عامداً متعمداً وهو شيء لا فكاك منه اذا أردنا تحاشي اللبس، وذلك هو مراعاة الفرق بين المخاطب في المفرد والمخاطب في الجمع) (ص ١٢ من المقدمة).



(١) من المقدمة التي كتبها المستشرق آربري لترجمته التي أصدرتها دار ماكميلان للنشر في مدينة نيويورك — الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٣. ص ١٤.

الثقافة العربية والترجمة



د. علي

الراعي

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

قبل أن نببحث موضوع الثقافة العربية والترجمة لنحاول أولاً أن نحدد موقف اللغة العربية والانتاج العربي والترجمة العربية بازاء مواقف لغات وأدب العالم. من حيث الانتشار تحظى اللغة العربية بموقف لا بأس به على الاطلاق فان عدد المتحدثين بها يمثل ٢,٧ من مجموع سكان العالم متساوية في هذا مع اللغة الفرنسية ومتراجعة قليلاً عن اللغة الايطالية أكثر من ٢,٧

تلي هذا البحث لأول مرة في ندوة الترجمة التي نظمها قسم اللغة الانجليزية وآدابها بجامعة الكويت في خريف ١٩٧٨ ، ثم نشر لأول مرة في مجلة العربي العدد «٢٤٥» (ابريل ١٩٧٩) واذن كاتبه مشكوراً باعادة نشر بحثه في هذا الاصدار الخاص نظراً لارتباطه بالموضوعات الاخرى .

ومتقدمة عن اللغة البرتغالية ٢,٥ ٪ وعلى هذا فإن اللغة العربية في موقف يسمح لها بالانتشار العالمي لو تهيأت الظروف المناسبة فهي موجودة في قارتي آسيا وأفريقيا وهي اللغة الرسمية والفعلية لقطاع عريض من الأرض والبشر يمتد من الخليج العربي شرقاً الى المحيط الأطلسي غرباً ويتجه شمالاً ليشمل فلسطين المحتلة والأردن وسوريا ولبنان وجنوباً الى السودان هذا الي جوار أنها لغة دينية لبلاد غير عربية مثل ايران وباكستان وافغانستان والهند واندونيسيا وتركيا وغيرها. ولكن هل يهيء هذا الانتشار الكبير للغة العربية ظروفًا تسمح لها بأن تكون عالمية بالفعل ؟

الجواب لا .. على الأقل في الوقت الحاضر وذلك لعدة أسباب :

أولها أن اللغة العربية تتداول في بلاد فقيرة خرج معظمها منذ سنوات قليلة من ربة استعمار أوروبي شرس حاول في بلاد عربية عديدة أن يحو اللغة العربية والثقافة العربية محوًا مثلما حدث في الجزائر حيث كاد أن يجعلها لغة ثانية بعد لغة المستعمر لا يتكلمها إلا المتدينون كما هو الحال في المغرب وتونس ولبنان.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

والسبب الثاني لقلة نفوذ اللغة العربية فهو أن انتاجنا الثقافي والعلمي لن يبلغ أن يحمل العالم على تعلم لغتنا عن طريق ما قدمناه من اسهام في شتى الميادين وسبب هذا التخلف الثقافي والعلمي والفني هو سوء الاحوال الاقتصادية في البلدان العربية عامة وانتشار الأمية وعدم توفر حرية التعبير وهجرة العقول الممتازة الى خارج الوطن العربي والاتجاه الى تدريس العلوم والآداب الأساسية بلغتها الأصلية دون محاولة ترجمة هذه المعارف جميعاً إلى اللغة العربية/إضافة الى ما تقدم فنحن نكبل انفسنا بقيود من صنع أنفسنا حيث نجح عن وضع سياسة واضحة وثابتة للترجمة من لغات العالم التي تقوم على استقصاء دقيق لحاجات الشعوب العربية وتسعى الى سد هذه الحاجات عن طريق الترجمة من اللغات العالمية وسبب هذا الاهمال تدني حقل الترجمة

في البلدان العربية جميعاً وسادته الفوضى والتكرار والعشوائية في اختيار النصوص مما بدد جهداً ومالاً كبيرين وأشاع البلبلة في عقول الناس .

ومن جهة أخرى اخذنا نفقد المترجمين الموهوبين من أمثال محمد مندور وسامي الدروبي ولم يظهر بعدهما وبعد غيرها من الموهوبين جيل يمكن أن يحل محلها والنتيجة الكلية لهذا أنه في الوقت الذي تسد حاجاتهم الى النقل عن البلاد المتقدمة تقل وسائل هذا النقل تدريجياً ويسود سوق الترجمة صنف من الناس لا هو مؤهل ولا قادر على التأهيل فضلاً في أن الأجور التي يتداولها هذا النفر من المترجمين ازاء عمله من الضآلة بحيث لا تسمح له بالاعتماد على الترجمة في عيشته ولو كان الأمر غير ذلك لربما استطاع هذا الجيل من المترجمين ان يحسن من مستواه ويزيد من ثقافته لخيرته أولاً ولخير الترجمة ثانياً . ولكي اعطي صورة واضحة عن فداحة الأثر الذي تتركه فينا قلة الترجمة وسوءها اعرض الاحصاءات التالية : تنصدر اسرائيل قائمة المترجمين الكبار بين الدول وتأتي في أول القائمة اذ تبلغ نسبة الكتب المترجمة فيها الى جوار الكتب المنتجة محلياً ٤٨ ٪ أي أقل قليلاً من النصف أما نحن فإننا قد وضعنا أنفسنا بتقاعدنا وعدم فطنتنا في قائمة صغار المنتجين نسبة الترجمة في مصر هي ٧,٤ من الإنتاج الكتبي وهي في العراق ٦,٧ وفي لبنان ٣,٢ وسبب تصدر اسرائيل قائمة الترجمة في العالم واضح كل الوضوح ان هذه الدولة تسعى الى دعم نفسها وتثبيت امكانيتها وهي تستخدم لغة متدنية الانتماء كما أن حاجتها كثيرة ومتباينة والإنتاج المحلي لا يكفي فهي لهذا تلجأ الى الترجمة التي هي بمثابة السماد الفعال للأرض قليلة الإنتاج ومما يلفت النظر ونعني بصدد الحديث عن اسرائيل انها تترجم من الكتب الأدبية ما يوازي ٦٠ ٪ من عدد الكتب المترجمة فليس ثم ما يدعو دولة ناشئة الى القول بأن حاجتها هي مادية وتكنولوجية وحسب كما يحلو للبعض في بلداننا العربية أن يقول زاعماً أن أعباء الحياة المادية للإنسان هو المعول وغير ذلك مضیعة

للوقت والمال وبناء على هذا الرقم نجد نسبة الكتب الأدبية في مصر ٣٨٪ من مجموع المترجمات ونسبتها في العراق ٦٪. الترجمة إذن هي الوسيلة المثلى لمن هو في دور الانشاء أو هو في دور النمو فكيف نخطط لسياسة ثقافية تعيد الى الترجمة الى العربية دورها المجيد الذي كان لها أيام العباسيين؟ ينبغي لنا أن نتبين أولاً أن الكتب المترجمة بضاعة ليست رابحة ولا هي مربحة فهي في حاجة دائمة الى سند من الدولة كما أن عدد الكتب التي ينبغي أن نترجمها هو من الكبر بحيث لا يستطيع الناشئ الفني أو حتى شركات النشر الكبرى القيام به بل أن الدول النامية لتجد عبئاً في أن تنفق على الترجمة ما ينبغي لها أن تنفق خاصة تلك الدول التي سارعت الى توثيق الاتفاقية الدولية لحماية حقوق المؤلف فوقع على الكتاب المترجم فيها عبء آخر فادح هو ضرورة الحصول على إذن المؤلف قبل الشروع. في الترجمة وضرورة اعطائه نسبة من ايراد الترجمة وقد كان من الواجب على تلك الدول أن تتبنى سياسة واقعية تقوم على أساس الطريق المزدوج فتترجم دون أن تدفع مقابلاً وتسمح للغير بأن يترجم كتبها دون مقابل، ان الترجمة في لغات الغير دون إذن ودون دفع تسمى في المحافل الدولية «طباعة القرصنة» لكن إذن، لنسلك سلوك القرصنة فترة من الزمن ٢٠ أو ٣٠ أو ٥٠ عاماً فلطالما نهب قراصنة الغرب ثرواتنا ووصلونا الى حد الكفاف، وأقل ما نفعله لاسترداد بعض مالنا المنهوب هو أن نترجم دون مقابل، ان الكاتب الفرنسي «روبير اسكارابيه» ظهر سخطه على طباعة القرصنة هذه ويصفها بأنها شيء مؤسف على الصعيدين الاخلاقي والاقتصادي ولكن يستطرد فيقول ان زوال هذه الطباعة جدير بأن يضعف التبادل الثقافي بين الشعوب ثم يضع اصبعه على سبب قيام هذا اللون من الطباعة فيقول ان هذه القرصنة المطبعية موجودة في البلدان الضعيفة النقل أو ذات الأسواق المحصورة حيث يصعب على الناشرين اضافة اجر المؤلف الاصيلي الى نفقات الترجمة فإن قام الناشر للترجمة بتحميل حقوق المؤلف الاصيلي على نفقات الترجمة فإن هذا العبء لا يقع إلا على المترجم

فليس من سبيل الى رفع ثمن الكتاب المترجم لأن هذا يحد من انتشاره وبناء عليه يتعين على المترجم وحده أن يتحمل هذا العبء ومن ثم نعود وندور في الدائرة المفرغة دورة أخرى.

فنحن لا نترجم بالقدر الكافي لان مترجمنا ليسوا مؤهلين وهم ليسوا مؤهلين لأننا لا ندفع لهم ونحن لا ندفع لهم لأن حكومتنا لا تعطينا وحكومتنا لا تعطينا لأن الترجمة غير مهمة والترجمة غير مهمة لأنها لا تعطي نتائجاً جيداً وهي لا تعطي نتائجاً جيداً لأن مترجمنا غير مؤهلين وهم غير مؤهلين لأننا لا ندفع لهم.. الخ. ودعونا نناقش الآن مسألة الترجمة هذه. هي الأمانة التي يحملها الإنسان على كاهله، ذلك أن المترجم الأمين هو سفير في مهمة دبلوماسية وعرة ان عليه يعرف لغته ولغة الدولة التي قدم اليها أوراق اعتماده وعليه أن يكون لبقاً في النقل فاهماً لما هو وراء الكلمات من ظلال ومعان مهموسة وأخرى غير معتبر عنها لا يعرفها إلا من عاشر خيال الناس الذين يترجم عنهم.

الترجمة اذن هي سفارة الوهرة بين ثقافتين وبين شعبين ومهمتها الجليلة هي أن تغرف من كنوز العلم والأدب والمعرفة ومن كنوز الفن، فتعطي من يحتاج من مال ومن عنده الكفاية، فإذا ركزنا على هذا الدور الذي لعبته الترجمة في الثقافة العربية، فلنذكر اهتمام الامويين والعباسيين بنقل علوم الامم التي دخلت مملكة الاسلام أو التي هزمت على أيدي جنوده، فنقلت كتب فارسية وهندية ويونانية الى العربية وكانت تتناول موضوعات متباينة بينها الطب والفلك والهندسة والزراعة والأدب وقد تحولت حركة الترجمة هذه الى ديوان ومكتبة للترجمة سميت «دار الحكمة» ثم تحولت دار الحكمة في عهد الخليفة المأمون الى معهد كبير ألحق به مرصد مشهور وكان المأمون يطلب الى الملوك الذين هزموا على أيدي جنوده ان يسلموا كنوز العلم والمعارف التي لديهم كي ينقلها مترجموه الى اللغة العربية. والطريف في هذا ان المأمون

كان يطالب مثل هذا الطلب الى من هادنه وصادقه ايضا فنجده يطلب الى امير قبرص ان يرسل اليه خزانة اليونان وكانت مجموعة في مكان لا يعرفه الا الخاصة فأرسل امير قبرص هذه الكنوز الى المأمون الذي فرح بها ودفع بها الى الترجمة وجعل احد اعوانه المثقفين وهو سهل بن هارون خازنا للمكتبة الجديدة. ومن الطريف ايضا ان نجد العرب انذاك يأخذون بمراجعة الترجمة ضمنا لدقتها وكان كل من سلم وسهل الهارون ممن يراجعون النقل وينقحون فيه اما البرامكة، فقد عنوا باعادة ترجمة بعض الكتب اليونانية المترجمة التي ترجمت قبل عصرهم ضمنا لمزيد من الدقة والاتقان ومن امثلة ذلك الكتاب «المجسطى» لبطليموس، فقد ندب له يحيى بن خالد البرمكى اباحان مسلما صاحب بيت الحكمة فاتقنا ترجمة الكتاب واجتهدا في تصحيحه وكان من نتيجة هذا التوسع الدائب والمدرّوس والحكيم ان تأثر العقل العربي بعلم كانت جديدة عليه فأخذ يتمثلها ويضيف اليها ولهذا أصبح العقل العربي في العصر العباسي الأول عقلاً متفلسفاً وعقلاً علمياً واخذ هذا العقل يتجاوز مرحلة النقل عن الغير. الى الابداع على نحو ما أضاف الخوارزمي الى علم الجبر وما انتج غيره من علوم الكيمياء والطب والجغرافيا والعلوم الاجتماعية والدروس المستفادة من هذا كله هو ان الدول لا تتقدم اعتبارا ولا مجانا بل هي تسير قدما بفضل عقل متفتح وسياسة رشيدة وقدرة على استشراف حاجات الامم بوضع الخطط اللازمة لهذه الحاجات. واذا كان بعضنا يزعم أن ظاهرة وزارات الثقافة التي اخذت تنتشر في العالم العربي انما هي ظاهرة منقولة عن الغرب وعن الكتلة الاشتراكية بالذات فإننا نقول له ان وزارات الثقافة لها جذورها العميقة في دار الحكمة العربية وان ما تحظى به هذه الوزارات من نجاح غير منكور حيث ما توجد في ارجاء الوطن العربي يرجع الى ان انشاءها يستقر الى ما هو كامن وراسخ في وجدان الشعوب العربية منذ ان نهضت حتى الان.

ما هو الموقف اذن؟ وكيف نعيد للترجمة هذا العصر الذهبي الغابر؟ ان قال احد ان امة العرب تخلو من المال فان الثروات الظاهرة والمطمورة في تراب هذا الوطن تكذب قوله، وان قال الآخر اننا غير قادرين على التخطيط قلنا له ان دار الحكمة قامت بفضل الرغبة في قيامها اولاً وبفضل سياسة رشيدة اغدقت عليها الأموال وبفضل عقول متفتحة لم تخش ان تنقل عن الغير ولم تتردد ان تلتبس العلم عند اصحابه بلا محظورات، فقد نقل العرب المسلمون عن المسيحيين وعن الهنود ومن غير اصحاب الديانات السماوية ولم يترددوا في ان يجعلوا ما نقلوه عرضة للنقاش الواسع الخصب على نحو ما كان من امر المتكلمين وعلى رأسهم المعتزلة الذين عمقوا الفلسفة في جميع دقائقها. لقد كانت لنا جهود مشرفة في العصر الحديث بدأت بنقل رفاعة رافع الطهطاوي لما شاهده من مظاهر الحياة في باريس وما نقله من نتاج هذه الحضارة في السياسة والفكر ويلي ذلك انشاء مدرسة اللسان التي طلعت بالترجمة وتعليم اللغات ثم ترجم احد لطفي السيد احمد كتب ارسطو في المنطق فأحدث به في حياتنا حدثاً كبيراً وترجم غيره عيون الأدب الغربي في حقول القصة والرواية والمسرحية مثلاً فعمل خليل مطران بمسرحيات شكسبير وبفضل هذه الترجمات عرف العرب المحدثون هذه الفنون جميعاً وادخلوها في أدبهم ولولا الترجمة ما عرفنا القصة القصيرة متمثلة بالكاتب تشيكوف ولولا الترجمة لما رحنا نكتب الرواية الضخمة على شاكلة الحرب والسلام لتلستوى او الروايات النفسية العميقة. ان انجاز محمود تيمور في القصة والرواية وانجاز توفيق الحكيم في المسرح والرواية والسيرة، والسيرة الذاتية مدين لاحتكاك العقول العربية بالعقول الغربية احتكاكاً خلاقاً يستهدف الخلق ولا يقف عند حدود النقل. وهذا كله بعض فضل الترجمة على الثقافة العربية وانني ادخل في عداد الترجمة ثمار الترجمة والاحتكاك والمعايشة في البلدان المترجم عنها.

غير انني لم ارد بعد على السؤال الذي اطلقته منذ قليل كيف نعيد الى

الترجمة عهدا ذهبي الغابر. ان الاجابة على هذا السؤال متاحة وبسهولة لمن يسير على درب دار الحكمة ومدرسة دار اللسن والترجمة الكاملة لاعمال شكسبير ومشروع الالف كتاب ومشروع روائع المسرح العالمي وفي مصر وفي الكويت وكل مشروع من هذا النوع يستهدف ارساء قيم واساليب الصناعة الثقيلة في حقل الثقافة، ان الصناعة الثقافية هي الصناعة التي تنتج آلات تصنع آلات والترجمة هي الصناعة الثقافية التي تنتج ثقافة التي تنتج مثقفين.



الترجمة كدراسة جامعية

د. محمد اسماعيل المواني

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

إذا كانت السياسة المرسومة لأقسام اللغة الانجليزية أو الفرنسية في الجامعات العربية هي أن تخرج نسخاً، زاهية أو باهتة، من نظائرها الانجليزية أو الفرنسية فما أتردد لحظة في أن ألعن الترجمة والمترجمين. ففي هذه الحالة لا يكون مكان للترجمة أو للمترجمين، وفي ظل سياسة كهذه يكون التعرض الدائم والمستمر للانجليزية أو للفرنسية منطوقة ومكتوبة ومقروءة ومذاعة في البيت كما في المدرسة، في اللعب كما في العمل، في النوم كما في اليقظة — أقول أن هذا التعرض المستمر يكون المثل الأعلى لتحقيق الغاية المرجوة ألا وهي تصنيع شاب أو شابة، استزرع في عقله أو عقلها لغة غريبة وأدب أجنبي لا يخالطه أي نبت قومي، كانت هذه هي سياسة الفرنسيين

أيام احتلالهم للجزائر وللمغرب. وهي نفسها لم تزل سياسة الكثير من المدارس الانجليزية والفرنسية التي تعمل في شتى أنحاء العالم العربي. وهي نفسها أيضاً، السياسة المكشوفة أو المستترة في أقسام اللغات والآداب الأجنبية في جامعاتنا العربية مع فارق واحد هو أن تلك المدارس الابتدائية والثانوية أكثر نجاحاً بكثير في تنفيذها من الجامعات العربية لأسباب لا تخفى على القارئ.

ترى جامعاتنا أنها تخرج متخصصين في اللغة الانجليزية وآدابها أو في اللغة الفرنسية وآدابها. في اللغة؟ ربما. إذ من الممكن أن نتصور عرباً يستطيعون بالقابلية والاجتهاد أم يمضي الى آخر الشوط لينصح في لغته الانجليزية أو الفرنسية أو كليتها متساوياً في القدرة مع أي من أبناء تلك اللغة المتعلمين. أما في الأدب فالأمر يختلف تمام الاختلاف. فلنخرج جامعة عربية متخصصة في الأدب الانجليزي أو الفرنسي يستطيع أن يقف على قدم المساواة مع نظيره له متخرج في جامعة انجليزية أو فرنسية تدعو الجامعة الى الكثير أو الى درجة عالية من الاتقان في فهم اللغة الانجليزية في مختلف أشكالها ومراحل تطورها ونموها. ثانياً الى معرفة جيدة بالحياة الانجليزية في شتى عصورها وفي ناحيتها الاجتماعية والفكرية. ثالثاً الى التعرف على أهم الروائع الفنية والمؤلفات الأدبية والدراسات الأكاديمية التي أنتجت في ذلك الأدب— ويوجد منها المثات. وأخيراً وليس اخراً تأتي الملكة النقدية التي بدونها تصبح كل تلك المعارف حملاً يثقل الكاهل.

وما لم يحصل الخريج العربي كل هذه الكليات فلا يجوز أن يعتبر متخصصاً في الأدب الانجليزي. وليس الا مثل هذا المتخصص يستطيع، حين يتصدى للبحث ان ينتج شيئاً أصيلاً يضيف به اضافة حقيقية الى الدراسات الانجليزية.

ولا بد أن نعتز أن خريجاً على هذا المستوى نادراً ما تخرجه جامعاتنا

مع ذلك فإن فشلنا في تحقيق ادعاءاتنا أو مزاعمنا ليس هو كبرى المشاكل التي تواجهنا. ان مشكلتنا الكبرى تكمن في أننا نحاول أن نفعل شيئاً لا داعي اليه في الحقيقة. الدراسات والبحوث في الأدب الانجليزي تنال حظها الوافر وزيادة في مئات من الجامعات على يد آلاف من الاساتذة الجهابذة في بريطانيا وأمريكا وكندا وأستراليا وفي غيرها. مصيبتنا أننا نحاول أن نلحق ونكون كالذين يحملون التمر الى هجر و"يبيعون المية في حارة السقاين"

خربجونا باستثناءات محدودة، مطلوبون للعمل في أنحاء الوطن العربي حيث نمو الثقافة يعتمد الى حد بعيد على وسائل اتصالها بالغرب. ومن أشد هذه الوسائل فعالية الترجمة مفهومة بأوسع معانيها.

ومن تجربتنا التي امتدت حتى الآن قرابة قرن ونصف القرن نستطيع الحكم ونحن واثقون أن الذين جعلوا اللقاءات الثقافية بيننا وبين الغرب مثمرة ليسوا هم الذين ذابوا في التعليم الأجنبي وفقدوا صلاتهم بالتراث القومي بل الأمر على العكس من ذلك. الذين برزوا في هذا الميدان، ميدان تطعيم الثقافة العربية بلقاح من الخارج هم الذين وضعوا علمهم الأجنبي في خدمة الثقافة القومية بحكم وعيهم بالاحيرة: الطهطاوي، النقاش، شكري، العقاد، المازني، مطران، جبران، طه حسين، أحمد شوقي نفسه. حتى اذا اقتصرنا على تاريخنا في الاتصال الفكري بالغرب على المائة سنة الأولى فن الممكن أن تتضاعف هذه الأسماء اضعافاً.

في وضع أقسام الادب الانجليزي والفرنسي في جامعاتنا لا يتيسر للطلاب حتى للنابهن منهم، أي تعليم يمكن أن يؤهلهم للمشاركة الجادة والفعالة في العملية الثقافية في مجتمعاتهم. خربجونا خواجات من الدرجة الثالثة أو الرابعة سقطوا، كما يقول التعبير الانجليزي، بين كرسيين. في الخارج لا يعدونهم متخصصين في الأدب الانجليزي وفي الداخل لا يعتبرونهم متخصصين في شيء. هذه الحقيقة المرة جابهتني منذ صيفين وكأنما كنت

أجهلها من قبل. في صيف ٧٧ ظهر مجلد سميك به قوائم مصنفة بأسماء وألقاب رجال العلم والثقافة في مصر، نوع من الدليل للحياة الفكرية. وبطبيعة الحال تحتل مكانا بارزا في هذا الدليل هيئات التدريس بالجامعات. ولما كنت منتميا لجامعة عين شمس فقد دفعني الفضول الى تصفح الدليل لكي اعرف من من زملائي هناك قد دخل التاريخ. ولم اجد اسما كبيرا أو صغيرا بأقسامها العلمية ما عدا قسمي الأديين الإنجليزي والفرنسي. في بادئ الامر ظننت أن ثمة خطأ مطبعياً قد وقع وما أكثرها في هذه الأيام. وتابعت التصفح والبحث في خمس أو ست جامعات أخرى: القاهرة الاسكندرية، أسيوط، طنطا، المنصورة، الزقازيق، فلم أجد أي ذكر أو اشارة الى هيئات التدريس في هذين القسمين. فحزنت، لا على حظي، ولكن من أجل نفر من الزملاء يؤهلهم جهدهم العلمي لأن يحتلوا مكانا في ذلك السجل. اذن لم تكن مسألة خطأ مطبعي كما تصورت في بادئ الامر ولكن اغفال مقصود. وأترك لكم تفسيره. ولكنه عندي ليس له الا تفسير واحد وهو أن الأساتذة العرب في أقسام اللغات والآداب الأجنبية بالجامعات العربية يعملون في أرض لا يرفرف عليها علم. فلا أحد يعترف بأن لهم تخصصاً. وليس الذنب كله ذنبهم.

البرامج الدراسية السارية في تلك الأقسام نقلها الى التربة العربية منذ خمسين سنة أساتذة أجنب لا علم لهم بوجود شيء اسمه الثقافة العربية. وقد تعربت هيئات التدريس بها في الخمسينات أي تسلمها أساتذة عرب لكنهم لم يمكنوا أنفسهم مشقة تعديل هذه البرامج لكي تلائم الوضع الجديد. ونتيجة لهذا التقصير نجد أنفسنا الان ندب في نفس الدروب القديمة بخطى عرجاء.

كثير من الجامعات الأجنبية تملك أقساما تتخصص في دراسة اللغات الأجنبية وآدابها. والحرص على انشاء هذه الأقسام ينبع من الايمان بوحدة التجربة الانسانية. فالذي يجري في بلدنا ليس كله مما لا يهم مصالح بلد

آخر. وما حدث في إيطاليا عصر النهضة أو ما حدث بجنوب فرنسا في القرن الثاني عشر كان وما يزال موضع اهتمام المثقف الأوروبي المتوسط. والعلم بتاريخ الحياة الفكرية في فرنسا أو ألمانيا تجربة تجمع بين الفائدة والمتعة لدى الرجل الانجليزي والعكس صحيح. ومن الممكن اذا نجحت تجربة فنية في بلدنا أن تنقل بنجاح الى بلد آخر بشرط أن تجد الشخص الكفاء لتفسيرها وعرضها.

وبالطبع يمكن الرد على ذلك بأن التبادل الثقافي بين الأقطار الأوروبية يركز في نجاحه على أساس من التجانس الثقافي بين هذه الأقطار ولكن حتى وان لم يوجد مثل هذا الأساس فدواعي التبادل الفكري لن تقل. أكسفورد وكامبردج أسست كل منها كرسيها للدراسات العربية في عامي ١٦٣٥ و ١٦٣٦ على التوالي، وذلك قبل ان تنشأ كراس لدراسة اللغات الأوروبية الحديثة بآمد طويلة. ولا احد يستطيع أن يزعم أن تاريخ الأدب الانجليزي الذي اشترك في تأليفه كل من «جوى وكازاميان» أهم من تاريخ الأدب الفارسي الذي كتبه براون. فالكتابان كلاهما ثمرة دراسة متمعة مستفيضة وكلاهما مكتوب بأسلوب شيق جذاب. ومن المستشرقين من أصبحت أسماؤهم تجرى على كل لسان في العالم الغربي، ومن هؤلاء المستشرقان الانجليزيان جب وآربرى، والفرنسي «ماسهيون» الذي كان خير من قدم للغرب شعر التصوف وشعرائه ونظرياته. وهذا يسوقنا الى حقيقة لها اهميتها كبرى. هؤلاء المستشرقون، مهما كان علمهم ومبلغ اجادتهم للغة التي تخصصوا في دراسة أدبها، كتبوا كتبهم هذه الرائعة بلغاتهم القومية انجليزية كانت أو فرنسية أو ألمانية والا فكيف كان لهم أن يخاطبوا أقوامهم؟

جامعاتنا، عدا جامعة الأزهر قبل تطويرها في عهد عبد الناصر، أسست على غرار الجامعات الأوروبية والانجليزية والأمريكية، فلماذا لا نتبنى أيضاً فلسفتهم؟ وفيما يتعلق بأقسام اللغات الأوروبية وآدابها، لماذا لا نتبنى أهدافاً

موازية؟ وأعني بذلك أن تخرج جامعاتنا دارسين قادرين على خدمة مجتمعاتهم، وذلك بأن ييسروا لها خبرتهم بالثقافات الأجنبية، وبعبارة أخرى، أن يؤديوا دور الوسيط بين الغرب والعالم العربي فيعرفوا كلا منهما بالآخر؟ وللتأثير في مواطنهم لا بد لأساتذتنا أن يخاطبهم باللغة العربية. قبل أن يصروا على كتابة أبحاثهم ودراساتهم بالانجليزية وان يتناولوا فيها موضوعات انجليزية بجهة موجهة الى قارئ انجليزي لا يقرأها، فعناهم يستحقون ما يقابلون به من إهمال سيستمر طالما هم مستمرين في التفاهم أو سوء التفاهم بالانجليزية. وغني عن القول هنا أن ضمن الاطار المقترح لاعادة تحديد أهداف أقسام الآداب الأوروبية، تجد الترجمة كمادة دراسة جامعية مكاناً طبيعياً لها.

وقبل أن أنتقل الى المرحلة التالية من كلمتي هذه أود أن أصحح خطأ شائعاً وأن أزيل لبساً كثيراً للحدوث، الهدف المقترح في هذه الندوة لن يؤدي الى تخفيض المستويات في تعلم اللغة الانجليزية. بالعكس. فالخطة المقترحة سوف تحتاج الى معرفة اشد تدقيقاً في الأدب الانجليزي أو الفرنسي، والى برنامج اشد ضراوة لدراستها كلفة، الى جرعات أكبر من القواعد الأجرومية ومن علوم المعاني والبلاغة أكثر مما تعطى حتى الآن، استدعو الحاجة الى مزيد من التأكيد على مناطق في التاريخ والفكر لا يكاد يمسها الدارس في النظام الراهن. وربما استدعو الحاجة الى مزيد من الاهتمام بقدرة الطالب على فهم النصوص وتعمق معناها بدلاً من الاهتمام بذلاقة اللسان وطلاقة الحديث الفارغ من الفكر والمليء بالأخطاء.

كثير من الناس، بمن فيهم أساتذة جامعيون، يفترضون أن كل من عرف لغة أجنبية يستطيع أن يترجم. بالتأكيد! ولم لا؟ أنه يستطيع أن ينقل الجملة Omo washes whiter الى اومو يغسل أكثر بياضاً، يغسل ماذا؟ واكثر بياضاً من ماذا؟ على قدر علمي لا يوجد في قواعد

البلاغة العربية ما يميز مثل هذا الایجاز. مثل هذه الترجمة ليس لها أي معنى الا لشخص جالس امام التليفزيون يشاهد ملابس بيضاء ناصعة تبرز من الماكينة بعد غسلها وتجفيفها. فاذا أمكنا أن نتخيل مجتمعا لم يعرف غسل الثياب بواسطة الماكينة، لكنت هذه العبارة مستغلفة على فهمه. واذا فالماكينة أو صورتها كما تظهر على شاشة التليفزيون أو على صفحة ورق تشكل السياق الذي لا غنى عنه لفهم معنى هذه الجملة: او مو يغسل اكثر بياضا.

اعترف بأن هذا المثال قد تشوبه بعض التفاهة. لكنه صحيح فيما يتعلق بالمستويات العليا في الثقافة: في التاريخ وفي علم الاجتماع وفي السياسة وفي الاقتصاد والقانون والاثرو بولوجيا والتربية واللغة والفلسفة، وعلى وجه الخصوص في الفنون والآداب. وفي النقد الأدبي يلعب السياق الثقافي الدور الحاسم في تحديد المعنى المراد من عبارة ما. وأي ترجمة لا تحقق أي درجة من النجاح اذا لم يأخذ المترجم في حسبانته كلاً من سياق النص الأصلي وسياق النص بنقله الى لغة أخرى. ولا أحد يستطيع أن يأخذ في الحسبان شيئاً لا يعرفه ولا وعي له به. وهذا هو السبب في انه ليس بصحيح تلك الدعوى التي تقول بأن كل من عرف لغة أجنبية استطاع أن يترجم، إلا إذا اعتبرنا من قبيل الترجمة اللغة الخواجاتي، عربية كانت أو انجليزية.

الترجمة المثلى للنصوص الأدبية تتطلب، الى جانب المعرفة بالمعاني المعجمية للألفاظ، معرفة بموضوعات كثيرة جدا. فترجمة نص من النقد الأدبي الانجليزي تتطلب معرفة بميدان النقد الأدبي الانجليزي كله، واذا كانت الترجمة الى العربية كان على المترجم أن يكون ملماً بالنقد العربي أيضاً. وقد نجد ترجمة ليست لها علاقة شكلية بالصيغة اللغوية في النص الأصلي. خذ مثلاً هذا المثل الانجليزي *Charity begins at home* يمكن ترجمته ترجمة حرفية فتقول «الاحسان يبدأ بالبيت». وقد نقول: «الجار أولى

بالبر». وقد نبعد أكثر وأكثر عن لفظ الأصل فنقول: «الاقربون أولى بالمعروف». واترك للقارئ أن يقرر أي هذه الترجمات أبلغ في إيصال المعنى.

وقد مررت على امثلة من مترجمات قام بها جامعيون وجامعيات، كنت أرى فيها الألفاظ وأفتقد المعاني. واضطرت، لكي أستجلى شيئاً منها، أن أضع الأصل جنباً الى جنب مع الترجمة. هذا النوع من الاداء عقيم ومفسد للغرض الذي من أجله شرعت الترجمة. شرعت الترجمة أصلاً من أجل اولئك الذين لا يعرفون اولا يجيدون لغة أجنبية. ولهذا كان من المقومات الأولى لصحة الترجمة قدرتها على الاستقلال الذاتي، أي أن يستغني بها القارئ عن نصها الأصلي.

إذا فهمنا الترجمة بهذا المعنى، فإن النص الذي يدرس للطلبة لا يكفي فيه أن يكون مجرد قطعة ذات طول معين يتطلب نقلها الى اللغة الأخرى. بل الواجب أن تكون مختارة من كتاب ما تمثله والكتاب يمثل كاتباً، والكاتب يمثل قطعاً ما من قطاعات الثقافة. وهذا تصبح محاضرة الترجمة فرصة يناقش فيها ذلك العنصر الثقافي الذي يتمثل في النص المختار. والنقاش الذي يجري حول النص سيكون بطبيعة الحال نقاشاً سريعاً ولكنه منشط للذهن ومثير للشهية الثقافية. نقاش من هذا النوع يضمن اقبال الطلبة على المحاضر لأنه يضيف بعداً جديداً الى المفهوم التقليدي لمحاضرة الترجمة على انها مجرد تدريب لغوي. ولا يعني هذا بالضرورة أن تتحول محاضرة الترجمة الى تلقين للمعلومات العامة أو لأصول النقد الأدبي. ربما يحدث ذلك اذا كان النص المطلوب ترجمته شعراً وربما لا يكون للنقاش تلك الأهمية اذا كان النص بعيداً عن ذلك. والآن كيف يقيم الطلبة من حيث حماسهم أو اسهامهم في الحوار الثقافي الذي تتيحه الترجمة؟ هذا سؤال مهم ولكن ليس لدي وقت للدخول فيه هنا.

وموضوع آخر لا أجد الوقت كافياً للخوض فيه تفصيلاً هو الأسباب التي من أجلها يوجد في كل لغة مفهومات خاصة بها، وسوف نسميها هنا الخصوصيات اللغوية وهي ليست قاصرة على اللغات العامية وإن كنت أجد في اللغة اليومية الدارجة تربة خصبة لتفريغ ما سميناه «بالخصوصيات اللغوية» اننا نجد مثل هذه التعبيرات في لغة التاريخ وفي الكتابات الأدبية. مثلاً «خسر الجلد والسقط» «عض على بنان الندم» وتوجد هذه التعبيرات في صور شتى استطاع علماء اللغة أن يميزوا بعض أشكائها مثل: الأمثال والحكم والتوقعات، وجمل ماقل ودل، والاصطلاحات الخ.. وهذه كلها تشترك في صفة واحدة هي أنه لا يوجد لها مقابل جاهز في معجم اللغة الأجنبية.

ومن المعلوم أن ترجمة الأمثال الانجليزية الى العربية ليست كلها في سهولة ترجمة المثل القائل Birds of feather..... . فها هو مثل آخر تذكر فيه الطيور أيضاً One swallow does not make a summer ليس من اليسر إيجاد مقابل عربي له.

والآن لنعكس العملية ونحاول نقل أمثال عربية الى الانجليزية. طبعاً المثل «عصفور في اليد.. الخ» له مقابله الحرفي والصحيح بالانجليزية. ولكن ما الرأي في «وافق شن طبقه» أو في «القول ما قالت حزام»: نقل هذه الأمثال الى لغة مقبولة بالانجليزية يحتاج الى تفكير وإلى خبرة واسعة جداً باللغتين.

ولننتقل الآن الى أمثلة من الاصطلاحات اللغوية Idioms . في مسرحية كانديدا لمؤلفها برناردشو يرد المصطلح Calf love ، وأذكر أنني وجدت في ترجمة مطبوعة كمقابل له «حب العجول» وهو لا علاقه له بحب العجول ولا يصل الى فحولة هذا النوع من الحب وإنما يعني الحب الذي يقع بين الصبيان والصبيات ويكون سريع الزوال بقدر ما هو سريع الحصول

ولو قبلنا منطق هذا المترجم، وهو منطق حرفي كما رأينا، لترجنا Cupboard-love بالحب الذي يجري في خازنة الأواني الصينية أو وراءها والحقيقة أنه لا علاقة له بذلك وإنما هو الحب الذي يديه شخص نحو شخص آخر ولا سيما الغني، طمعاً في ماله.

وهكذا فالأجنبي عن لغة الأصل يجد نفسه منساقاً الى فهم الأمثال والاصطلاحات استناداً على ألفاظها، وعليه يكون اصطلاح مثل Butter-fingers يعني أوتوماتيكياً «اصابع طرية» أو «اصابع مثل الزبدة» والحقيقة أنها لا تعني هذا ولا ذاك. في كل لغة الاف من مثل هذه الاصطلاحات وما دامت اللغة حية استمرت في تفريخ المزيد منها.

وقد يكون الموقف، في الترجمة من العربية الى الانجليزية، أكثر تحدياً. البرفسور لاندو، أول دارس أرخ للمسرح المصري باللغة الانجليزية، عثر على مسرحية عنوانها حمار وحلاوة فترجم هذا العنوان الى: The donkey and the sweets. وأصعب من هذا بكثير اصطلاحات مثل «فرحه بكشك» و«عامل من الحبة قبة» و«عامل قع» و«عاملية ملطشة» الخ. آسف على اقتصاري على العامية المصرية فانا لا أعرف غيرها. لكن العالم العربي زاخر بمئات اللهجات الاقليمية فاذا جدت ظروف استدعت نقل كلام يستخدم مثل هذه الاصطلاحات الى لغة أجنبية فإن المترجم لن يجد في المعاجم كبير العون.

خصوصيات اللغة الانجليزية من حيث نقلها الى العربية، وخصوصيات العربية من حيث نقلها الى الانجليزية، هذان مجالان لا يقدر عليها شخص بمفرده. فهما بلغ هو أو هي من الاجتهاد فلن يستطيع أن يغطي الا شبراً صغيراً في فدان. ولتغطية الفدان كله تغطية مرضية لا بد من تشكيل وتشغيل

فرق كثيرة، للخروج بموسوعات تصلح مراجع عامة. فإين توجد هذه الفرق ان لم توجد في الجامعات؟

لقد انجز المستشرقون والمستعربون الكثير في اتجاه هذه الغاية، وما يزال هناك الأكثر الذي ينتظر الانجاز، وهنا نجد بابا واسعا مفتوحا أمام «المختصين» من خريجيننا البارزين الذين يطمحون الى التدريس في الجامعات، وأمام الذين يدرسون بها فعلاً ويطمحون الى الدرجات العليا الأكاديمية. والآن وقت التلخيص.

سوف أخاطر بما يبدو متناقضاً وأقول أن أي تعليم أجنبي لا يرد المتعلم الى تراثه القومي تعليم عقيم. الجامعات العربية في الوقت الراهن، ولسنين طويلة في المستقبل ليست بأكثر من وسائط تفسر المكتشفات الغربية في العلوم والتكنولوجيا للعرب. أما الذي اقترحه على أقسام اللغات والآداب الأوروبية بها فيزيد على ذلك في الطموح بعض الشيء. إذ أن هذه الأقسام بالاضافة الى كونها قادرة على تأدية نفس الخدمة أي تيسير المعرفة بالآداب والفنون الغربية لبني وطنهم فإنها أيضاً تستطيع أن تساعد في اعطاء الغرب صورة أصدق عن ثقافة وحضارة العرب والمسلمين. ولما كانت الترجمة هي أهم وسيلة للمواصلات في هذا الطريق ذي الاتجاهين، فمن حقها أن تحتل مكانا مشرفا ومساويا لمكانة المواد الأخرى في الدراسة الجامعية.

كان هذا الجزء الأول من نظريتي مقبولا، ووضع موضع التنفيذ بما يجر اليه ذلك من اعادة النظر في البرامج الدراسية الحالية واحتاج الأمر لبعض الوقت قبل أن تتخذ البرامج شكلها النهائي، يكون الجزء الثاني من نظريتي هو أنه من الآن والى أن تتعدل الأوضاع، يجب أن تفهم الترجمة بمعناها الواسع الذي يسمح، أو بالاحرى، يفرض عليهم «شن غارات» على الشفافتين العربية والانجليزية. هذا بالطبع الى جانب استخدام محاضرات

الترجمة مقياساً لقدرة الطلاب على التعبير بالعربية، ومقياساً لمبلغ تحصيلهم في اللغة الانجليزية وفهم الترجمة بمعناها الواسع يعني من جانب السلطات الجامعية السماح للقادرين من الطلاب الحصول على درجة الماجستير بل والدكتوراه بترجمة وثيقة هامة وبالتقديم المطول اليها وبالتعليق على نصوصها سواء كانت هذه الوثيقة في ميدان الفنون والآداب أو العلوم الاجتماعية.





د. سمير البربري

ARCHIVE

إذا كان من الممكن أن يتفهم المرء أعمال الروائيين والرسامين والنحاتين والموسيقيين خارج حدود أوطانهم فإن الشاعر كما يقول پول فاليري Paul Valery « الشاعر الفرنسي » لا يمكن أن يفهمه بعمق أو يحس به إلا أهل وطنه، فهو جزء لا يتجزأ من لغة أمته.

وتكن صعوبة ترجمة الشعر في أن شكله أساسي في رسالته ومعناه. ومن الصعب نقل الشكل دون المساس بالمضمون، فالاثنان متلازمان. ويرى الشاعر الانجليزي شيلي Shelley « نتيجة لذلك أن ترجمة الشعر محاولة عقيمة تماماً مثل نقل زهرة بنفسج من مكان نبتها لزهريّة. فالعود لا بد أن ينمو من البذرة والا فإطرح زهرة، وتلك هي تبعة لعنة بابل (دفاع عن الشعر) » A Defence of Poetry « ١٨٢١.

وكثيراً ما يعكس الصوت المعنى في الشعر، كما أن الوزن والقافية بخلقها انماطاً إيقاعية لها دلالتها الأدبية تشكّلان عقبة أمام المترجم، وأثر الصوت هذا هو أساس مشكلة ترجمة الشعر وكذلك النثر الشعري. والجناس والتورية مثال واضح على ذلك (لاحظ مثلاً مدى صعوبة ترجمة رواية لجويس، وذلك لشغفه باللعب بالألفاظ). ومن الصعاب أيضاً دلالة كلمة أو عبارة على أخرى في ذات اللغة، ناهيك عن الصور الشعرية التي تنبع من البيئة. ويعتمد مدى تغيير الشكل للمحافظة على المضمون على البعد اللغوي والثقافي بين لغتي الترجمة، فالترجمة من الانجليزية الى الألمانية تستدعي تغييراً أقل في الشكل عنه في الترجمة من الانجليزية الى العربية مثلاً. وبالرغم من صعوبة ترجمة الشعر فلم يحجم المترجمون عن القيام بها، بل دفعتم للمحاولة أكثر وأكثر. ويرى الشاعر الانجليزي أودن « Auden » أن الشعر ليس كله غير قابل للترجمة. فنغم الكلمات وعلاقاتها الإيقاعية، والمعاني واقتتراناتها التي تقوم على الصوت كالقافية والجناس والتورية لا يمكن ترجمتها. ولكن الشعر في رأيه ليس كالموسيقى صوتاً فقط، فالصورة الذهنية تشبها واستعارة قابلة للترجمة، كما أن لكل شاعر أصيل وجهة نظر فردية في الحياة وهذه من الممكن نقلها. (يد الصباغ ومقالات أخرى [١٩٦٣] ص ٢٣)

« The Dyer's Hand, and Other Essays »

ومن الضروري أن يكون المترجم ضليعاً ليس فقط في اللغتين المعنيتين بل أيضاً في استيعابه لقيم الثقافتين. وهذا يعني أن يكون على دراية تامة بالأحاسيس والمشاعر والاقتترانات والأفكار التي تربط لغة البلد بجياتها وتقاليدها. وإجمالاً فن يريد أن يتذوق العمل الأدبي على الوجه الصحيح عليه أن يقرأه بلغته الأصلية، ناهيك عن خلفية القارئ نفسه.

وفي مقال للناقد الانجليزي الشهير س.م. باورا C.M. Bowra

عن ترجمة الشعر اليوناني واللاتيني الى الانجليزية (١) عبر أربعة قرون، يوضح أن هناك رأيين في ترجمة الشعر: أولهما يقضي بأن على المترجم أن لا يحفل

بغير المعنى وأن يتقيد بالأصل حرفياً ولا يعبأ بنقل السمات الأدبية للنص الأصلي. ومن نماذج هذا الضرب من الترجمة ترجمة جب Jebb لسوفوكليس Sophocles (١٨٨٣-١٨٩٦) وترجمة لانج وليف ومايرز Lange, Leaf, and Myers للالياذة (١٨٨٣)، وهي ترجمات دقيقة لدرجة كبيرة تعنى فقط بما تعنيه الألفاظ، وبأسلوب النثر الشعري تحاول أن تنقل شيئاً من طبيعة النص الأصلي. ومن الصعب على القارئ الآن أن يستسيغ هذه الترجمات فقد كتبت لقراء كانوا على المام جيد باليونانية وكان بإمكانهم الرجوع للنص الأصلي إذا ارادوا ذلك، وكانت الترجمة بمثابة ديباجة فقط للعمل نفسه.

والاتجاه الآخر في ترجمة الشعر للصنعة فيه الشيء الكثير، فهو يرمي إلى أن تكون الترجمة عملاً فنياً في حد ذاتها، فهي لا تعطي المعنى الأصلي تماماً ولكن تهتم بنقل قوة الأصل وروحه وإلى حد ما شعريته. ومن أحدث هذا النوع ترجمة تشابان Chapman الحرة للمحمتي هوميروس Homer (١٦١١-١٦١٥) والتي تعد فاتحة سلسلة من الترجمات أبرزها ترجمة بوب Alexander Pope ثانياً للالياذة (١٧٢٠) وللأوديسا (١٧٢٦). وقد حاول بوب في ترجمته أن ينقل الحرارة والسرعة وخفة الحركة التي يتسم بها شعر هوميروس وكذلك بلاغته ونفاذ بصيرته ومخاطبته العين والاذن. وقد اكتسب هذا النوع من الترجمة أهمية إضافية باندثار دراسة اليونانية واللاتينية والتركيز هنا ليس على ما يقوله الشاعر ولكن على كيفية القول هذا. ويندرج تحت هذا النوع ترجمة لا تيمور Lattimore للالياذة (١٩٥٢) وترجمة همفريز Humphries لانيادة فيرجيل (١٩٥١) The Aeneid of Virgil فقد كان هدفها أن يصنعا بلغتهما ما صنعه كل من هوميروس وفيرجيل بلغتهما. ولكون هذه الترجمات أعمالاً أدبية في حد ذاتها فبالإمكان أن يستسيغها ويطرب لقراءتها حتى أولئك الذين لا يعرفون شيئاً عن الشاعرين.

وقد يتساءل المرء عن ماهية الأداء النموذجي في ترجمة الشعر (آخذين في الاعتبار استحالة بلوغ المثاليات)، ونعني الأهداف التي يضعها المترجم نصب عينيه والتي من خلال ما حققه منها نقيس مدى نجاحه أو إخفاقه في مهمته. يجب عليه بادئ ذي بدء أن ينقل مادة النص الأصلي بأمانة، لا يضيف لها أو ينقص منها أو يغير من شكلها باعادة تنظيمها أو تحويلها حتى تناسب أفكاراً معينة دخيلة عليها. وبناءً على ذلك فإنه بالرغم من براعة ترجمة

فيتزجيرالد Fitzgerald لسوفوكليس Sophocles (١٨٨٠-١٨٨١) اذا ما حكمنا عليها كشعر انجليزي، إلا أن دمجها لمسرحيتين عن أوديب في عمل واحد وحذفه بعض الفصول التي لا تروق له ولا تنسجم مع خطه، يجعلانه دليلاً سيئاً لسوفوكليس، على الرغم من أنه وفق في نقل روعة سوفوكليس في بعض الفقرات. وعلى أي قارئ لا يتقن اليونانية أن يأخذ ترجمة فيتزجيرالد بالحدز. وهذا الحكم ينطبق أيضاً على غير فيتزجيرالد من رجال الأدب الذين يتصدون للترجمة ويقومون بحذف ما لا يروق لهم أو ما يعتقدون أنه غير ضروري، واستباحته ما لا يستباح.

ومن المشاكل الأكثر حدة في ترجمة الشعر تلك التي تتعلق بأوزانه. فن الأفضّل أن تجرى الترجمة على وزن الأصل. ولكن في هذا استحالة بصدد الشعر اليوناني واللاتيني، فالأوزان في اللغتين مبنية على مبدأ الكم حيث المقاطع تنقسم الى قصيرة وطويلة. أما في الإنجليزية فهي تقوم على مبدأ النبر. وربما قال قائل أن الشعر المرسل Blank verse الذي كتب به

ملتون Milton ملحمة الفردوس المفقود Paradise Lost هو المقابل للبيت السداسي التفعيلات hexameter من البحر الداكتيلي عند اليونان والرومان ويُحدث الأثر المطلوب. ولكن ليست هذه هي الحقيقة فالفاقد كثير وخاصة في مشاهد المعارك التي تتطلب أوزاناً سريعة الايقاع. وتعد سرعة الحركة في الالباذة وما يقترن بها من وضوح الفكر وجلاء التعبير من أسباب تمتع المرء بقراءتها بلغتها الاصلية. وقد حدا هذا بلا تيمور الى أن

يحرص على تحاشي الكلمات المهجورة والعويصة والوعرة في ترجمته وإن يتعد عن المزخرف منها.

وتكن المشكلة الثانية في روح الترجمة، فبعض الترجمات تعكس وجهة نظر المترجم أكثر من وجهة نظر الشاعر نفسه. وما نتوقه من المترجم هو أن يعكس الأصل بأمانة الى أقصى درجة يستطيعها، وطالما التزم بهذا المبدأ وامتنع عن أن يدس خصوصياته في الترجمة قلت شكوانا منه. وغنى عن البيان أن براعته تكن في أن يجعلنا نرى هوميروس وفيرجيل كما هما حقيقة، رغم أنها منقولان الى لغة أخرى. وبالطبع، الحكم هنا ذاتي الى حد ما، حيث أنه يصعب الاجماع على الصفات الأساسية للشاعر موضوع الترجمة. ومما يلفت النظر أن فيرجيل يشكل صعوبة خاصة لكل من يحاول أن يرصد روح شعره المحيرة الغامضة ومعانيه المخبوءة، فهو لم يكن أبداً مباشراً أو بسيطاً. وما يبدو سهلاً لأول وهلة يظهر بعد مراجعة أنه معقد صعب. فشعره خافل بالاستعارات الغامضة واللبس والافاضة والمجانسة الاستهلاكية alliteration وتجانس الحركات assonance ، ورغم أن ترجمة همفريز اضاغت بعضاً من ثراء فيرجيل الفني والتجانس الصوتي الذي يربط الكلمات ببعضها البعض، إلا أنه تمكن في غالب الأحيان من أن يجعل أبياته تحيا كشعر وأن يحافظ على حس فيرجيل الأدبي ونكهته الأصلية.

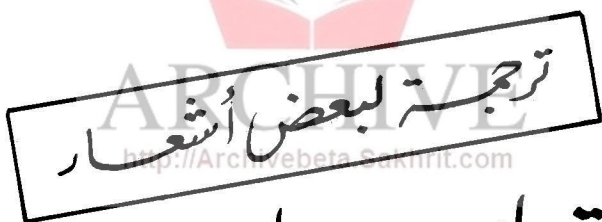
وحرى بالذكر هنا أن مترجم الشعر يجب أن يكون أكثر من مترجم، يجب أن يتمتع بحس أدبي وأن تكون لديه سمة شاعرية، ومن أسباب توفيق لايمور في ترجمته انه قد استوعب الأصل تماماً ووقف على لب المعاني ومن ثم أعطانا قوة هذا الشعر وحافظ على جاذبيته بنقل اهتمام هوميروس بالحدث ذي المغزى. ولا يشترك فيرجيل مع هوميروس في جعل الحدث هو الأساس ولكن رؤيته له هي الأهم، كما أن كل كلمة تتشرب من شخصيته، وهذا يترك المترجم أمام صعوبة جمة في أن يقف على مراميهِ واصدائه. وقد اظهر

همفريز نفس قدرة لا تيمور في قراءة النص قراءة كاشفة لمعظم جوانبه. كما أنه يرتفع لمستوى صوره العظيمة.

يبقى أن نقول أنه علينا ألا نتوقع الكثير من الترجمات وينحصر مطلبنا فقط في أن تعطينا فكرة واضحة وجيدة بعض الشيء عن مضمون وروح النص الأصلي. وغنى عن البيان أن كل جيل بحاجة لترجمات جديدة خاصة به حيث أن أي تغييرات ولو طفيفة في مدلول الألفاظ يجعل من الترجمات التي تمت ولو حتى في الماضي القريب عتيقة وغير مستساغة. ورغم أن بعض الروائع تمتد إلى ما بعد زمانها إلا أن معظم الترجمات لا تعمر طويلاً.

نكتفي بهذا، فلست هنا في مقام الاسترسال في مناقشة قضية ترجمة الشعر ولنجرب ترجمة بعض من اشعار الأديب الانجليزي توماس هاردي،

» Thomas Hardy « (١٨٤٠-١٩٢٨) الى اللغة العربية.



توماس هاردي (٢)

١ - «أنظر في مرآتي» (٣)

أنظر في مرآتي،
أطالع جلدي البالي،
واقول، «يا الهي! ليت
فؤادي اصابه نفس الذبول!»

عندئذ ، لا أبالي
بالقلوب التي غدت باردة تجاهي ،
وانتظر وحدي راحتي الابدية
هاديء البال .

ولكن هيهات ! فالدهر حتى يشقيني ،
لَصَّ مني البعض وأبقى الآخر حيث هو ؛
ليز هذا الهيكل الهش في المساء
بخفقان ظهيري .



٢ - «الصوت» (٤)

ARCHIVE

يا امرأة لاعنى افتقادها ، أترك تناديني ، تناديني ،
تقولين أنك الان ما عدت كما كنتِ
عندما غدونا غرباء ،
بل صيرتِ كما كنتِ في البدء ، حين كان يؤمنا صحوا .

أأنتِ الذي اسمع ؟ دعيني ابصر ك اذن ،
واقفةً وانا اقترب من المدينة
حيث كنتِ بانتظاري : نعم ، كما كنتُ اعرفك حينئذ ،
حتى لذات الفستان الازرق الهوائي !
أو هل هو النسيم ، بتراحيه

يسافر عبر المروج الرطبية نخوي هنا،
وانت بانقضائك الى العدم،
ما سمعتُ شيئاً من جديد من قريب أو بعيد ؟
ها آنذا اجر خطوى،
ومن حولي تسقط الاوراق،
والريح تتسرب عبر الشوك من صوب الشمال،
والمرأة تنادي.

ديسمبر ١٩١٢

٣ - « الفراق » (٥)



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Scribit.com>

لم لم تعطِ إشارة تلك الليلة
انه بعد فجر الغد بسرعة،
وهدهوء، كما لو كنت لا تبالين،
انك سوف تمضين، الى الاعالي وتختفين
حيث لا استطيع ان اتبعك
بجناح خطاف
لأغتم نظرة قبل فوات الآوان !

ما ودعتني الى اللقاء،
ما أدت شفتاك النداء الرقيق،
أو ابديت رغبة في حديث، بينما
رأيت الصباح يجمد على الجدار،

ما تحركتُ ، ما ايقنتُ
ان فراقك العظيم
سيقع تلك اللحظة ، ويبدل كل شيء

لَمْ تجعليني اترك البيت
واعتقد لبرهة اني آراك
في نهاية ممشى الغصون المائلة
حيث تعودتِ الفسحة هناك عند الغسق،
فيشير غياني
خواءُ المنظر المثائب
في الرطابة الظلماء!

أنت هي من عاشت
بالقرب من الصخور ذات العروق الحمراء في الغرب القصي،
انت ذات الرقبة البجعية وانت تمتطين [جوادك]
على قة «بينى» الكشه،
ثم توقفينه بالقرب مني،
تتأملين وتنظرين إلى،
بينما ابتسمت لنا الحياة

لَمْ اذن القطيعة بعد ذلك،
ولم نفكر في تلك الأيام الفاتئة
وقبل غيابك ما حاولنا السعى
لبعث هذه الفترة من جديد؟ كان الاخرى ان نقول

« في جو هذا الربيع الصافي
سنعود معاً ،

اماكن بالأمس زرناها » .

إيه ، إيه ! ما عاد يجدي الكلام ،
ما من تغيير . ما كان قد كان .
لست سوى رجل يحتضر يمضي نحو المصير
على وشك الغرق ... آه لو تدركين
ان الفراق الزؤام

ذاك الذي ما تنبأت به أي نفس —
ولا حتى أنا — قد هَدّني هكذا !

ديسمبر ١٩١٢



٤ — «ألوان مائة» (٦)

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

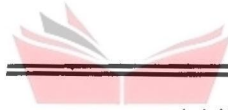
وقفنا بجوار بركة في ذات يوم الشتاء ،
والشمس بيضاء ، كما لو أن السماء قد عنفتها ،
ووريقات قليلة على المرج الهزيل ،
رَدِيت من الدردار ، رمادية اللون .

عيونك في كانت كعيون جالت
في الغاز مملّة لسنين خلت ؛
ولعبت كلمات بيننا غادية رائحة
عمن خسر أكثر بحبه للآخر .

الابتسامة على وجهك كانت الشيء الموات
فيها من الحياة فحسب ما يعطيها شدة لتفنى ؛
وعلتك تكشيرة المرارة محتاجة
كطائر شوم علق ...

منذ ذلك الحين، والدروس اللاذعة، بأن الحب خداع،
تعتصره الاغلاط، قد صورت لي
وجهك، والشمس التي لعنتها السماء، وشجرة،
وبركة تحفها وريقات كالحات.

سنة ١٨٦٧



٥ - «في الكنيسة» (٧)

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

«والان للرب الاب»، وهو يختم،
وصوته يجلبل حتى قرميد السطح :
وكل مستمع يغص وهو ينحني ويركع،
ويغمر الشعور المماشى المكتظة .
وينسل الواعظ الى غرفته،
ويغلق الباب ويظّنه ان احداً لا يراه،

ويؤارب الباب بحركة ناعمة،
تلميذته في درس الانجيل،
تعبده كواحد دون تصنع أو خداع،

ترى وثنها واقفا وعلى وجهه ابتسامة الرضا
يعيد امام المرأة تمثيل
كل حركة منبر في مشهد صامت فطين
تلك التي الهبت جمع المصلين .

سنة ١٩١١

٦ - «في حانوت الالفشة» (٨)

«وقفتُ خلف الحانوت، يا غاليتي،
ولكنك لم تلحظي.
لا تبالي، فعندما يسلمونك ما عرضه عليك
سوف لا ادري عن ذلك، صدقيني»!

اخذ يسعل ويسعل بينما هي تمتنع وتقول،
«أوه، ما رأيك تأتي الى هناك—
لماذا لم تتكلم؟ — «حسنا، آثرت الصمت، ومضيت عنك
حتى لا تلحظين اني كنت هناك.
«كنت تتفرجين على اشياء رائعة— مطلوبة على وجه السرعة
لأرملة، على آخر مودة»
وادركت انه سوف يقلقك ان تقابلي الرجل
الذي سوف يجمد ويستحيل الى رماد

«وَيُحْشَرُ فِي صَنْدُوقٍ قَبْلَ أَنْ يُلْبَسَ
عَلَى أَحَدِ طَرَاظِ مَلَابِسِ الْحِدَادِ»
كَمَا فَصَلُوها. وَحَتَّى لَا أَفْجِعَكَ،
تَرَكْتُكَ لِرَيْنْتِكَ».

٧ - «الرجل الذي قتله» (٩)

«لَو تَلَقَيْنَا
فِي حَانَةِ قَدِيمَةٍ عَتِيقَةٍ،
لَجَلَسْنَا سَوِيًّا وَأَتْرَعْنَا
الكثير من كُؤُوسِ الشَّرَابِ !
ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

«وَلَكِنْ حَيْثُ اصْطَفَيْنَا كَجَنْدِ مَشَاةٍ،
وَجْهًا لَوَجْهِ مُحَدِّقِينَ،
رَمَيْتَهُ بِالنَّارِ كَمَا رَمَانِي،
وَأَرْدَيْتَهُ قَتِيلًا حَيْثُ كَانَ،

«أَرْدَيْتَهُ قَتِيلًا لِأَنَّهُ -
لِأَنَّهُ كَانَ عَدُوِّي،
بِكُلِّ بَسَاطَةٍ: عَدُوِّي بِالطَّبِيعِ كَانَ؛
هَذَا وَاضِحٌ وَضُوحُ الشَّمْسِ؛ بَيَدُ أَنَّهُ

«فكر في الانخراط ، ربما
ارتجالاً — كان كما كان الحال بي—
عاطلاً عن العمل — باع متاعه —
لا سبب غير هذا .

«نعم ؛ انها لحرب عتيقة عجيبة !
تقضي على حياة شخص
كنت تدعوه حيث البار،
أو تحسن إليه بربع دينار» .

سنة ١٩٠٢



(١) “Translation from the Classics”, *The Sewanee Review* LXI (1953), 481-92.

(٢) يذهب بعض الشعراء والنقاد المعاصرين من امثال فيليب لاركن « Philip

Larkin » ودنالد ديفي « Donald Davie » الى ان تأثير هاردي على الشعر الحديث يعادل ان لم يفق تأثير كل من اليوت Eliot وييتس Yeats انظر كتاب

Donald Davie. Thomas Hardy and British Poetry (London, 73)

كما ان هاردي حاز من قبل على اعجاب الشعراء عزرا باوند (Ezra Pound)
و. ه. اودن (W.H. Auden) وديلان توماس (Dylan Thomas) وليس هذا

مجال الخوض في هذا الموضوع.

ومما يميز شعر هاردي انه يفيض بالصور المجازية وانه غير مفرط في الخيال، وكذلك
اسلوبه الطبيعي البعيد عن التصنع وإيقاعه الصوتي الذي يعبر تعبيراً صادقاً عن الوجدان
وأصالة الشاعر فيه. وتقوم معظم قصائده الغنائية على الحدث مما يكسبها حدة درامية.

(٣) يلاحظ القارئ هنا أن الانسان هو ضحية الدهر الذي هذ جسده وابقى على شباب قلبه. بساطة الاحاسيس وعدم الانفعال تضفي جالاً على القصيدة. وهناك وجه شبه بين هذه القصيدة وقصيدة الشاعر بيتس « Yeats » « اعتقدت انه ليست هناك حاجة لمزيد »، والتي تعتبر رداً على قصيدة هاردي فهي تأخذ الجانب الآخر من صراع الجسد/ الروح.

(٤) توفيت زوجة هاردي الاولى «إما» (Emma) في ٢٧ نوفمبر من نفس العام. ومن العجيب أنه بعد فقدة لها تحول الجفاء الى حب جارف وكتب في رثائها مجموعة من القصائد الغنائية يستعيد فيها الماضي، وتعتبر باجماع النقاد من أبدع ما كُتِب في شعر الحب، ومن بينها «الصوت»، «بعد رحلة» «وفي الريح والمطر» «وصخرة بيني» «والفراق» «وفي كاسل بوتزل». ومن الواضح أن فكرة «البعد يحى الحب» من الأفكار الاساسية عند هاردي وخاصة في رواياته، وقد كتب عنها احد كبار النقاد كتاباً كاملاً. كما يلاحظ القارئ أن بعض الشخصيات في الروايات من أمثال سوزان « Susan » الزوجة التي باعها هنشارد بالمزاد في عمدة كاستربردج، « The Mayor of Casterbridge » وفاني روبين، « Fanny Robin » ضحية زير النساء تروي

« Troy » في بعيداً عن الجمهور الصاحب « Far from the Madding Crowd » تكتسب قوة بعد مماتها لم تكن لديها في الحياة.

ويلاحظ القارئ المقاطع بين هذه القصيدة (بين الأول والآخر مثلاً). وفي الأصل الانجليزي يعكس الوزن والايقاع (وهما هنا يضيغان في الترجمة) احاسيس الشاعر عندما يدرك أن ما يتأديه هو مجرد طيف زواجه وانها قد فارقتة الى الأبد وقد اختلط صوتها بصوت الريح. ومن الملاحظ أن المقطع الأخير— كالشاعر نفسه— كبير الايقاع بطيئه، كما أن الخريف— كخلفية زمانية— معادل موضوعي لحالته النفسية ومن العناصر التي تفتقد في الترجمة نموذج القافية الثلاثي « (call to me, all to me,” etc.) » وموسيقية القصيدة.

(٥) تصور القصيدة صدمة الشاعر لموت زوجته الفجائي، وإدراكه للظلمة من حوله واسترجاعه لذكريات خطوطها وجهها الأول الذي اعقبه جفاء، وله معها ذكريات جميلة في موطنها كورنول جنوب غربي انجلترا بمنطقة صخرية على ساحل البحر. وكانت «إما» مولعة بركوب جوادها عند تلة «بيني». برع الشاعر في استعمال الصور الشعرية وفي تبديل النغمة في القصيدة التي هي خليط من مشاعر الحزن والوحشة والحسرة والامل. كما جمعت بين الماضي والحاضر. وتنتهي القصيدة بتقبل الشاعر لقدره. يلاحظ القارئ أن استخدام الشاعر أسلوب المحادثة يضيف طبيعية على القصيدة.

(٦) موضوع القصيدة هو الحب اللذيذ المؤلم وتبين براعة الشاعر في مزج الطبيعة بالمشاعر الانسانية. ويسودها جو من الأسى والحسرة التي تعادل الألوان المسيخة بعد هجر الحبيبة له. برع

الشاعر في استعماله الصور الشعرية، فاختيار الشتاء له مغزاه وكذلك البركة فهي ليست نهراً أو بحراً أو بحيرة بل مياهاً راكدة والشمس بياضها قد فقدت حرارتها وتبدو الطبيعة على العموم ميتة مما يعكس الحب المحتضر. ويبدو الحبيب لمحبوبته كألفاز قديمة والابتسامة على وجهها هي شيء موات. ومقارنة التكشيرة بالطائر الشؤم المالحق تشبيه يصور حركة الوجه وما فيه من تهديد وخيبة أمل. ومن المعتقد أن القصيدة تعكس أزمة حب عاشها هاردي مع قريبة له وكان في مقتبل عمره وقتئذ. والحب عند هاردي هش لا يدوم ونهايته غالباً غير سعيدة. ومن الجدير بالذكر أن كلمة شجرة الدردار بالانجليزية « ash » تقترب من « ashes » أي الرماد، رماد الحب، وهذا مثال لما تعجز الترجمة عن أن تنقله للعربية. والشجرة هذه رمز قدم للسعادة ولكنها لا ترمز هنا للسعادة فالأوراق قد ذبلت ولم تعد خضراء بل هي رمادية كالحة.

ومن الملاحظ أن في الأصل الانجليزي مجانسة استهلاكية (روى الصدارة) وهذه بالطبع تضع في الترجمة، ووظيفتها توكيد بعض الكلمات وليست لمجرد الزخرفة.

(٧) القصيدة من مجموعة «أهاجي الواقعة» « Satires of Circumstance »

الخمس عشرة. ماذا نتصور رد فعل التلميذة لما رآته؟

(٨) مما تُظهره هذه القصيدة — وهي من «أهاجي الواقعة» — غرور المرأة بفتنتها وعدم اخلاصها

(رغم أن هاردي قد رسم صورة للمرأة في رواياته الإيجابية فيها يفوق السلبي). وعلينا أن نأخذ في الاعتبار أيضاً قيام الرجل بالتجسس على زوجته وإن الشك فيها غير مقبول؛ فكلاهما إذن موضع نقد.

(٩) القصيدة على لسان جندي من العوام عائد إلى إنجلترا من حرب البوير في جنوب إفريقيا،

ونقل إحاسيسه بهذه البساطة يضيف على القصيدة واقعية أكثر. ويلاحظ القارئ في المقطع الثالث تكلم الشاعر من الكليشيات في التعبير والتي على الناس أن يقبلوها كما هي دون نقاش. تدل كثرة علامات الترقيم في الفقرتين الثالثة والرابعة وكذلك التكرار والقافية

الداخلية (السجع) على حيرة المتكلم وهو يحاول تبرير لا معقولة الحرب. تبين القصيدة موقف الشاعر من الحرب وكان يشاركه هذا الاتجاه شعراء آخرون من أمثال نيوبولت

« Newbolt » في قصيدة «المتطوع» (١٩٠٢) وولفرد بلنت « Wilfred

Blunt » في قصيدة «الريح والدوامية» (١٨٨٣) وولفرد أون « Wilfred

Owen » في قصيدته «لقاء غريب» (١٩٢٠). وتشترك تلك الأخيرة مع قصيدة

هاردي في فكرة التشابه المبني على التناقض بين «العدو» «والصديق». يقول أون في قصيدته «أنا العدو الذي قتل، يا صديقي». ولهاردي قصيدة أخرى عن الجندي المجهول بعنوان «الطبال هودج» (١٩٠٢) الذي يموت من أجل قضية لا يفهمها وفي بلد غريب

عليه، وتحت نجوم أجنبية لا يستطيع تسميتها وهذا مقطع منها:



« ومع ذلك كقطعة من هذا السهل المجهول

سيصير هودج الى ابد الابدین ؛

صدره ودماغه المحليان الشماليان

سينموان في شجرة جنوبية ،

وستسود كواكب غريبة النظرات

نجمه ابدیا » .

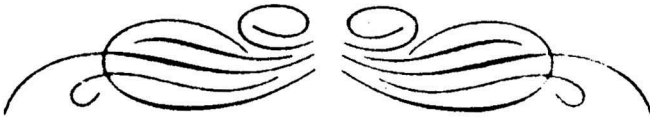
وربما كانت هذه القصيدة أكثر تمثيلاً للجندي المجهول من قصيدة الشاعر روبرت بروك

» Rupert Brooke « الجندي » (١٩١٤) .



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>



قصيدة من قصيدة

ترجمة الشعر الاسلامي

بحسب الدكتورة
زيونة ياسمينه عمر

ترجمة
عبد الفتاح جبر

يجب ان تولّد القصيدة قصيدة أخرى من اجل أن يكون لها صدى فعال. ليس هناك ترجمات كاملة (شاملة) حيث ان اللغات تختلف ولكل منها نظام من الرموز يميّز الثقافة اللغوية التي تمثلها. ولهذا فيجب على المترجم ان يعي القواعد والمصطلحات الخاصة بتلك الثقافة اذا ما حاول ترجمة أو اعادة صياغة

قصيدة ما. ولقد عبّر «تي. اس. اليوت» عن ذلك ببراعة عندما أشار الى ان «اشياء قليلة ممكن ان تحدث لأمة ما هي أهم من ابتكار صيغة جديدة من الشعر».

هذا هو — بدقة — احد الأسباب التي تحول دون نقل حديث شعري تام ومحدّد من اللغة «أ» الى اللغة «ب» كما انه يحول دون سبر غور الجوهر لدرجة تبين شخصية المفاهيم، والمضمون، ووحدة الصوت الداخلي، والتناسق التام في الترابط السمعي والبصري. وهذا ينطبق ليس على النثر فحسب بل وعلى الشعر ايضا حيث ينبغي تأكيد الفكرة لأن مترجم الشعر يستخدم الحقيقة الجذرية، حقيقة الاستقلالية اللغوية، حقيقة أن لكل لغة قواعدها المميزة.

كما أن هذا الاختلاف يرتبط بمدى الحذّة والتركيز والصورة الفنية والخوف النفسي. وبدقة فإن أخطار الترجمة هنا أكثر وضوحاً وإن الضرر الذي يلحق بالقصيدة جلي تماماً بسبب ان اللغة الشعرية تنشق من جوهر اللغة نفسها. ولهذا السبب أكد روبرت فروست ان ما يبقى بعد المحاولة هو (غير الملموس وغير المحسوس) هو القصيدة الاصلية أو الخاصة، ولهذا فإن مفهوم «غير قابل للترجمة» قد برز الى الوجود كأحد التعريفات الملازمة للشعر.

وبالرغم من هذه البديهة، استمر المترجمون منذ الماضي ولا يزالون في ترجمة الشعر من لغة لأخرى، لصياغة قصيدة من أخرى. وفي هذا السياق يجب أن نتذكّر أن القصيدة هي اللغة التي تعبّر بحجة عن خبرة شخصية، وإن هذه اللغة الفردية والمتخصصة مشحونة بدافع الحاجة الفردية وتتصف بطاقة خاصة وامانة تامة. ولذلك فليس هناك من صيغة أخرى معادلة لها تماماً أو مماثلة ولا يمكن لقصيدة أخرى أن تلبّي حاجة الشاعر لأن ينشد القصيدة أو أن تكون دافعاً للشعراء لأن يقولوا الشعر، وأكثر من ذلك فإن القصيدة تتجسّد باتقان في صيغتها النهائية، حيث لا يوجد مثلها من قبل لأن بناءها هو عمل

فريد يعبر عن تجربة سابقة مجهولة.

وكما يحدث في تفسير الرسم — على اعتبار انه تقسيم الفراغ بين الذات والفراغ الفني الكلي، فيمكن تصوّر القصيدة على أنها محاولة الشاعر لتقسيم التجربة بين نفسه وبين الذوات الأخرى، وهنا يمكن التساؤل، كيف يمكن ترجمة الشخصية المستقلة الى شيء آخر سواها؟.

ويظهر هذا التناقض الظاهري في جوهر التاريخ الحديث لترجمة الشعر والذي تسبب في تغيير مفاهيم ترجمة الشعر في القرن العشرين تماما كترجمات «ايزرا باوند» الشعرية. ان تعاليم، وامثلة «باوند» وانجازها هي اساس للنمط والحريات في الصفة الشعرية الحديثة والتي تثير الجدل كما يمكن اعتبار كل كتابات «باوند» ضربا من الترجمة في تطور هام كمحاولة لانتزاع الأهمية القصوى من النص الاصيلي. ولقد اشار «تي. اس. اليوت» انه من الخطأ تناول عمل «باوند» الاصيلي وترجمته كلاً على حدة، وهذا الخطأ يتضمن خطأ اعظم بشأن طبيعة الترجمة. وكرسول متجول بين حضارات بعيدة واماكن متباعدة في العقل البشري. نجح «باوند» نجاحا باهرا في استنباط خليط مشوش من القيم التي استطاع صهرها في تماسك ووحدة عجيبة. وهذا المعنى استطاع «باوند» تثوير لغة الترجمة، وعلى الأخص ما تعنيه الترجمة في الموقف العاطفي (١).

ولقد كان لاعادة الصياغة هذه صدى في اعادة تمثيل العمل الاصيلي في الموقف العاطفي والنعمية والنبرة في الترجمة الحديثة. ويتجاوز تأثير «باوند» النص الذي ترجمه شخصيا والسؤال الهام الذي يطرح نفسه هو هل هذه «الترجمات» لـ «باوند» ومن اتوا بعده مثل: «روبرت جريف»، «ستانلي كونيتنس»، «دبليو. اش. اودن»، «ماريانامور»، «ماكس هيوارد»، «جورج فريزر»، و«كريستوفر لوج» تعتبر ترجمات صحيحة بما تعنيه الكلمة؟ أم انها كما عبر عنها «درايدن» والى وقت قريب «روبرت

لويل» تقليد ، حيث يتيح المترجم لنفسه الحرية ان يغير الكلمات وبالتالي يتغير المعنى، وبأن المترجم ينتقي بعض الایحاء العام والایماءات من النص الاصيلي ثم يعيد العمل الاصيلي كما يحلوه ؟ في مقدمة كتابه (٢) يرد «روبرت لويل» على تحدي الترجمة الشعرية ويعترف بأنه لم يكن مبال بالمعنى الحرفي إلا أنه كرس جهده لاستخلاص الموقف العاطفي. وفي معظم الأحيان فإنه نجح في محاولة نقله الى لغة أو ثقافة أخرى، ويضيف أن معظم الترجمات الشعرية تصل الى حد الاسى وتصبح أقل امتاعاً من الترجمات النثرية الحرفية. ويبدو أن هذه الترجمات تعيش في عالم من النقاء لم يتوصل له الشعر المعاصر. وتعتبر هذه المصاعب جريئة وأمينية في نفس الوقت ويمكن تشبيه هؤلاء المترجمين بالمحنطين ولا يمكن أن يكونوا شعراء وتعتبر قصائدهم المترجمة «طيورا محنطة».

ويعتقد لويل ان الترجمة الشعرية — والتي يسميها «تقليدا» يجب أن تكون مبدعة وصادرة عن خبرة وتحتاج لأسلوب وحظ ومهارة في الصياغة كالقصيدة الاصلية تماماً.

ويبين شاعر من كامبردج يدعى «عمر شهريار باوند» وهو «ابن ازرا باوند» في قصائد عربية وفارسية (٣) — انني استخدم عدة ابيات من قصيدة واحدة، أو صيغة معادة من وجهة نظر أخرى، أو تركيبة من قصيدتين لنفس الشاعر.. ثم لا اتردد في استبدال النص الأدبي الغربي والتلميحات الاجتماعية بما يوازها في العربية والفارسية وغايتي من ذلك: قصيدة مقروعة واعادة اكتشاف. ان ما بينه «عمر باوند» ببصرنا بعمل الشاعر الداخلي، والباحث، والمترجم الذي يحاول اعادة اكتشاف قصيدة باعادة خلق قصيدة من قصيدة أخرى.

يمكن أن تكون تجارب «باوند» الفردية ذات اهتمام لدى المترجمين. وهذا يرجع الى طبيعة المشكلات التي تثيرها، مثل تدخل الخيال الرمزي

والعواطف الثقافية المميزة عند الترجمة من العربية الى الانجليزية. ولقد قطع «عمر باوند» وقبله كثيرون مثل البروفسور «اي. جي. براون» و«نيكلسون و. ذ. ج. اربري» مغاظة التقاليد الشعرية والتي تقسم هذه التقاليد الادبية الشرية. وفي الواقع ان مهمة ترجمة الشعر العربي الى الانجليزية مهمة هائلة وكانت مصدر اغراء لا يقاوم لكثير من المستشرقين وربما يكون مفيداً— ضمن هذا الاطار— ان نتحرى عن بعض المصاعب التي تواجه المترجمين في هذا المضمار والتي تنتج— بشكل رئيسي— عن مصاعب واضحة في القواعد والتقاليد الشعرية الموروثة في اللغتين العربية والانجليزية. لقد حاول فريق من الباحثين والشعراء من جامعتي اوكسفورد وكامبردج الانجليزيتين ان يترجموا شعرا من اللغات الاسلامية مثل العربية والفارسية والتركية والاوردو وغيرها الى ما يعادلها في اللغة الانجليزية بطريقة مقروءة ورائعة، ولقد حدث ذلك في الستينات والسبعينات تحت رعاية مؤسسة الثقافة الاسلامية. وكان للدكتورة زيتونة كاتبة المقالة— الشرف بالمشاركة في هذه الندوة الشعرية من عام ١٩٦٥— عام ١٩٧٣. ولقد تم اختيار الشعر بطريقة دقيقة لتلائم الترجمة الى وسيلة لغوية أجنبية، فثلاً لقد ابدى فريق الترجمة تقديرهم لأن بعض الخيالات والرموز الشعرية اثبتت امكانية ترجمتها وان بعض التأثيرات الصوتية— أو الموسيقى الشعرية— مثل البحور الشعرية، والقافية والايقاع الداخلي كانت ملائمة للصيغ الشعرية الانجليزية. ولقد اشتملت المعايير الأخرى لاختيار النصوص الشعرية طول القصيدة والخلفية التاريخية، والاشكال الشعرية المختلفة— مثل القصيدة والغزل وذلك لتوضيح التنوع الغزير للشعر الاسلامي. ولقد تضمنت الخطوة الاولى لهذه الترجمة الجماعية اختيار الباحث للنصوص الموثوق بها، ثم يقرأ هذا الباحث النص الشعري بصوت مرتفع حيث يتم تسجيل الايقاع والتأثيرات الصوتية على شريط في محاولة لترجمة النص الأصلي ترجمة صادقة وحرفية قدر الامكان.

واكثر من ذلك، كان يسبق ذلك تعقيب هام مفيد عن خلفية (موضوع القصيدة وتطوره) وعن الشاعر والخواشي والملاحظات التفصيلية عن محور القصيدة وتراكيبها، فثلاً سواء كانت القصيدة عادية أو غزلية صوفية ومهما كان تركيبها اللغوي بالنسبة للشاعر المترجم عنه فإن أهم المعالم التي تم تأكيدها كانت مسألة الالتباس أو الغموض في القصيدة، ولم يأل الباحث جهداً في ترك غموض أو التباس القصيدة على حاله. وترك للشاعر حرية اختيار ما يحتاجه من مرادفات لعنصر الغموض هذا.

ولما كان هذا مجهوداً دولياً الذي ضمّ باحثين من أقطار مختلفة من العالم مثل إنجلترا، وأمريكا، والعالم العربي، وإيران وتركيا وغيرها، حيث عملوا في ترابط تام مع شعراء من أكسفورد وكامبرج، فإن النصوص المنتقاة من القصائد الاصلية مصحوبة بالترجمات المذيّلة والتسجيلات قد اثبتت انها ملائمة كوسيلة للتخاطب الشعري. لقد حدث هذا التبادل التمهيدي للنصوص والأشرطة قبل أن يتم الاعداد لهذه الندوات حيث وضع الشاعر والمترجم هذه الترجمات في مركز الاهتمام، وكان المبدأ عندئذ هو الحصول على أدق ترجمة شعرية بلغة شعرية انجليزية جميلة. ويرجع نجاح الصيغة النهائية للقصيدة في ترجمتها الانجليزية الى مدى عمق الحس الادبي للشاعر الذي يقوم بالترجمة، وقدرته على الاحساس بمميزات نط الشعر الاسلامي الذي كان يقوم بترجمته وعلى هذا فإن الناتج النهائي هو تعاون ما بين ثقافة دقيقة وعبقورية شعرية خلاقية والذي نتج عنه مجلد متعدد لمقتطفات من القصائد الاسلامية بترجمة انجليزية.

ولقد واجهت فرق الترجمة في هذه الندوة الشعرية الاسئلة القديمة عما تحتفظ به القصيدة وما تفقده من لغة لأخرى ومن عصر لآخر ومن بيئة لأخرى واخيراً من عقلية لأخرى ولقد تقرّر بعد مناقشة مستفيضة ان بعض ملامح النص الاصيلي تبقى بينما تفقد ملامح أخرى في الترجمة. كما اننا

حاولنا ايصال روح الموقف العاطفي ومضمون النصوص الاسلامية الاصلية حيث كان الهدف الرئيسي الاستحواذ على صوت كل من الشعراء الاصليين . وفي الحالات التي لم يكن منها مفر، اتفقنا على ان نضحي بالشكل ، والقافية والبحر الشعري ، والسبب في ذلك هو أن اللغة العربية مميزة تماما عن اللغة الانجليزية لانها لغة سامية وليست آريّة، كما أن خريطة الدلالات والاصطلاحات المنطوقة والخيالات المجازية وباختصار التقاليد الشعرية تختلف بشكل كبير مما يؤثر على نقاء الخط الشعري .

وبالنسبة للسؤال بشأن شكل القصيدة، فالقصيدة العربية النموذجية تكتب من اليمين الى اليسار و يقسم بيت الشعر العربي الى نصفين متكاملين ، حيث يدعى الجزء الاول «الصدر» والثاني «العجز»، كما يتحد الجزآن في نموذج من القافية وهذا يؤكد القافية الاحادية للنصف الثاني من البيت والذي يستمر لآخر القصيدة .

وبالنظر الى حقيقة ان للغة الانجليزية قافية محدّدة ومتأصلة على نقيض من وفرة القوافي في اللغة العربية فلقد ادرك أنه لا يمكن تعديل نماذج القافية المختلفة حتى تناسب اللغة الانجليزية بدون ائتلاف تأثير وصدق القصيدة ككل .

كما أن هناك اختلافا معينا بين بعض بحور الشعر في نظم المقاطع في اللغة العربية والانجليزية فبحور الشعر العربي كمية وهي ستة عشر بحرا بعضها ذو مقطع طويل والبعض ذو مقطع قصير، وكل منها له مجموعة من الأشكال المتغيرة، ولأن هذه الاصوات ليس لها ما يعادلها في اللغة الانجليزية، لهذا يصبح من المستحيل تحويل هذه البحور الشعرية وابعائها الى الانجليزية .

وعدا من هذه الاختلافات البنائية في الشكل، كان المترجمون مدركين للاختلافات الدقيقة في المضمون والناجمة عن الاختلافات الثقافية والعرفية .

ولقد ادرك «بيترليفي وجورج فريزر» ان هناك مميزات خاصة لشعر ما قبل الاسلام وذلك عندما قاما بمجهود مشترك لترجمة شعر من «المفضليات». وكان سبب هذه المميزات الظروف الخاصة للحياة البدوية في الصحراء. وبحكم التركيبة البدوية للمجتمع تميز الشعر بكونه غير فردي يحتضن بالبسالة والشجاعة أكثر من كونه استيطاني الطبيعة. ويمكن سحره للجمهور في خيالاته الحسية أكثر من مخاطبته للعقل. وأكثر من ذلك كان لدى البدوي حصيلة عظيمة من المفردات لكل أوجه الحياة، وعلى وجه الخصوص كان يستخدم أكثر من مرادف للكلمات التالية «الجمال، الحصان» وحيوانات ونباتات تلك الحقبة والمنطقة. ولقد شكل صهر اللهجات المختلفة في لغة الشعر العامة، تحدياً لأي مترجم للشعر العربي المبكر. كما تم إعطاء الشعراء موجزاً بشأن شكل القصيدة والذي كان غريباً للآداب الغربية، لأن كل سطر منها يجب أن يكون تاماً بحد ذاته، ويحتمل أن يكون القصد من ذلك مساعدة الذاكرة، مع أنه ليس بذي نفع كبير بالنسبة لإعطاء صورة للقصيدة ككل، ولهذا كان التأثير في البداية غير متماسك. ولقد كان تتابع الأفكار من خلال الأجزاء الرئيسية غريباً من جهة منطقية ونفسية للقراء الأوروبيين.

وبهذه الملاحظات وبيعض المعلومات عن الأهمية التاريخية وخلفية القصائد والشعراء «للمفضليات» استطاع «ليفى وفريزر» من تحويل الترجمة الحرفية لأبيات من شعر «ثابت بن جابر» الى انشودة بطولية من الشعر والتي تعتبر أكثر الصيغ الشعرية الغربية للقصيدة. وحتى تتضح الاختلافات الدقيقة جداً للمخاطبة الشعرية نذكر هذه الملاحظة التي ساقها «فريزر» مع ترجمته والتي تعتبر عن بحث الشاعر الإنجليزي عن نص معادل في اللغة الإنجليزية، والمثال يقول: ثبت ان هذا اسهل مما تتوقع، وله صلات كثيرة بالشعر «الانجلو ساكسوني، والكمرك، والايرلندي» البطولي كما ان له صلة بقصائد «بوردر» الغنائية الحديثة تقريباً ولشعر «هومر»، وفي كل الشعر البطولي البدائي من

اي تاريخ يعتبر الفخر وشعور الاسى والغضب والاعجاب والحُب من علامات الشخصية البطولية. بينما تختلف الفكرة الانجليزية بشأن البطل حيث انه الشخص الذي لا يفاخر والذي لا يعبر عن عواطفه القوية مباشرة. ولقد بين «برنارد شو» في مقدمته لكتاب «ارض جون بل الأخرى» ان البطل الانجليزي الحديث هو الذي يتفق مع مبدأ الايجاز والتكتم وهذا ايرلندي يدعى «الدوق ولنجتون» بينما كان «اللورد نلسون» وهو معاصر لولنجتون سريع البكاء، ويتفاخر بسخف وكان يظهر بمظهر سخيض ايضا نحو «الليدي هاملتون» وكان يطلب من «هاردي» ان تقبله على فراش موته والصورة الأخيرة هذه مماثلة لصورة البطل البدائي.

واذا كانت عبارة «رجل شعور» تبدو غريبة، فتذكر ما يائها في التوراة القديمة «والان كان عيسى رجل شعور» كما انه كان صيادا عظيما ورجلاً ذا عواطف وشهية قوية. وكان في النهاية مستعداً للفقو عن يعقوب بدافع كرمه، ولقد ذكرت في السطر الاخير قول «هاملت» لـ «هوراشيو» :

لقد كان رجلاً... خذه على ما هو عليه... فلن اعثر على مثيله ثانية. وكلمة «رجل» في هذا السياق تشتمل على أكثر مما تتضمنه كلمة رجولة من شجاعة وقوة وأكثر من كلمة «الانسان» بما تعنيه من الرقة الانسانية الشاملة.

اكتشف «ليفى وفريزر» كما اكتشف سابقوهم مثل «عمر باوند» عند ترجمتهم الشعر العربي للانجليزية، ان هناك حدوداً واضحة لترجمة القافية والايقاع والموسيقى من العربية للانجليزية يفرضها اختلاف طبيعة اللغتين. فاللغة العربية تهتم بالكيفية أي المقدار وتزخر بالقوافي بعكس اللغة الانجليزية. ففي القصائد القديمة مثلاً قافية واحدة تستمر خلال القصيدة كلها، وفي أحيان أخرى يوجد هناك تسون قافية تقريباً لنفس الصوت. وحتى لو امكن اعادة صياغة هذه القصائد بالانجليزية، فإن تأثيرها على الاذن الانجليزية

يمكن ان يكون ترتيبا لدرجة ما . ولذلك فعلى المترجم ان يكف عن محاولة ترجمة كل تلك التأثيرات الصوتية على الرغم من الحقيقة بأن افضل الشعر العربي هو موسيقى الى حد كبير ولا يوجد له معادل في الايقاع والتفعيلة .

ان مهمة ترجمة معاني شعراء البادية هائلة حقا وغير مجزية للمترجم الطموح فأحيانا يكون المعنى تلميحيا ، وغالبا يقتضي معرفة بالتراث القديم ، كأن توجد كلمة تثير كثيرا من الخيالات ولها ارتباط بالاسلوب التقليدي . وعلى العكس من الشعراء الغربيين ، فان لدى الشاعر العربي قناعة بأن القارئ على علم بمخزون الاستعارات وهو بهذا الاقتناع يقوم برسم خيال مطوّل مبني على الاستعارة المعروفة سلفاً . ويمكن للمترجم اكتشاف هذا المخزون من الخيال والافكار الغربية للشعراء وحتى الاساليب استمرت لفترة طويلة ، وذلك بالرجوع للندوة الشعرية الخاصة بتلك الفترة .

وتثير هذه المسألة أهمية التقاليد الشعرية في الترجمة ، ولقد اكتشف الشعراء الاوروبيون والامريكان بأن هناك انماطا من التعابير الشائعة لدى الشعر العربي كله ، وبالتالي فهي مفهومة في النص العربي . وعلى أية حال ، فاذا ما ترجمت تلك الانماط ترجمة حرفية من العربية الى الانجليزية فإنها تكون غير مفهومة او ربما تحمل معنى مختلفا عما قصده الشاعر إلا اذا كان القارئ على علم مسبق بها . ومن بين هذه الكلمات تلك التي تعني الوقت مثل دهر ، وزمن وايضا الايام وغالبا تستخدم كلمة الليالي لتعني تعاقب الوقت وهذه الكلمات تتوافق مع ما يمكن ان يترجمه المترجم الانجليزي بالقدر ، أو الحظ .

ويظهر ان عدداً معيناً من التعابير البدوية قد اصبحت « كليشاهات » على مرّ السنين ومن هذه التعابير الصيغة التي تقال عن ان شيئاً ما « لله » والتي تتعلق بالالوهية . ولقد كان البدوي يشعر بأن أي شيء غير عادي سواء كان مخيفاً أو مثيراً للاعجاب فهو يحتوي على عنصر غير طبيعي أو خارق ، ولكن

كمثال، ففي العصر العباسي يبدو الظرف خاو من قوته الاصلية وتحوّل الى شكل تقليدي للتعبير عن الحيرة أو التعجب: «كم غريباً... كما رائعاً... كم مخيفاً...».

كما ثبت ان الاختلافات في قواعد اللغتين يشكل تحدياً لفريق الترجمة فالضمير محذوف في اللغة العربية وهذا يعتبر مهما للمعنى في الانجليزية فمثلاً: «الحب» يمكن تفسيرها على انها تعني «حبي» أو «حبك» وليس «كالحب» بمعناه الاشمل. ومن الأشياء المتكررة ايضاً استبدال المضاف اليه أو الجار والمجرور بالاطناب باضافة «من» أو «لـ» مثال: «الحب من» بمعنى حبي أو «حب لسوى». وأكثر من ذلك ادرك المترجمون والشعراء ان التعابير التي تحتوي على حروف جرّ يمكن ان تنفصل عن الاسم الذي تصفه وتسبقه، كما ادرك المترجمون ان هناك حاجة لاختيار اسلوب خاص غير الاسلوب الادبي والذي كان سائداً بسبب الضرورات التقليدية، ويجب ان تكون اذن المترجم شديدة الحساسية للغة لكي يكتب قصيدة معاصرة تنتج عن ترجمة شعرية مجدية. ويجب ان تكون الترجمة الناجحة لقصيدة من القرن الاول الاسلامي قصيدة ناجحة من القرن العشرين. فمثلاً من المستحيل غالباً ان تعرف فيما اذا كان المحبوب ذكراً أو انثى في الشعر التقليدي العربي وذلك لأن الخيالات المصاحبة والمستخدمه كوصف بالكاد ما تتغير. وهذه الظاهرة المحيرة معقدة أكثر بسبب حقيقة أن الضمائر التي تعود على الذكر وصيغ الافعال تستخدم غالباً في الشعر العربي حتى عندما يكون المقصود بها مؤنثاً، وان الاستخدام الادبي التقليدي لضمائر الغائب المذكورة حتى عندما تعود على المؤنث حيّرت العديد من المترجمين الغربيين وأوجدت لديهم اعتقاداً بشأن فيما اذا كانت فكرة الحب الشاذ مقبولة اجتماعياً في البلاد العربية القديمة. وعلى أية حال يمكن التأكيد على ان فرق الترجمة ادركت ذلك بسبب التقليد الشعري، وعليه يمكن الافتراض بأن الشخص المقصود امرأة شابة اذا لم يكن هناك اسم علم أو أي اشارة تثبت العكس.

وفي ندوة اكسفورد الشعرية، واجه الشعراء والمترجمون الغربيون صعوبات في مجالات غير تلك الناتجة من اعتبارات قواعدية، حيث اكتشفوا ان بعض النغمات اللغوية لا يمكن ترجمتها ترجمة صحيحة، كما في الامثلة: الاستعارة التي تدل على الابتسامة وهي ناصعة جدا كالبرق واسنانها كاللؤلؤ أو حبات البرد مرتبة بتناسق ويتحدث الشاعر العربي عن شفاه وابتسامة محبوبته، لكنه في الغالب يتحدث عن ريقها بينما يتحدث الشاعر الانجليزي عن ابتسامتها. ويرجع الشاعر العربي للأسنان بكلمة (ثنايا) والمقصود بها عادة الاسنان الامامية أو «ثغر» وتعتبر الاسنان — بالنسبة له — كالحاجز في الفم. وكثير من الخيال مبني حول هذه التشبيهات الغزلية، وربما يبدو الشعر العربي غريباً أو حتى مضحكاً اذا ما ترجم ترجمة حرفية. ومثال آخر من هذه الأساليب المألوفة يكفي لاثبات هذه النقطة، وهي من ديوان الشاعر العباسي الضرير بشار بن برد في القرن الثامن الميلادي والتي يصف فيها عظام محبوبته سلمى كعود قصب السكر، وليس كعظام الجمل، واذا ما أدنيت منها بصلاً تغلبت رائحة المسك على رائحة البصل.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

والى جانب التحدي الذي واجهه المترجمون في مجال شعر الحب، فإن الحاجز الثقافي الذي يقسم مترجم الشعر الديني، وخاصة الشعر الصوفي يشكل خطراً كبيراً، ولقد واجه «جون وين» الذي أصبح فيما بعد، استاذ الشعر باكسفورد، و«اليزابيث جينجز» الشاعرة الانجليزية المعروفة، مشاكل لغوية التي ربما تكون ذات أهمية في بحثنا لدور التقاليد الشعرية في الترجمة. وبالنسبة لدور الأسلوب الشعري وجد الشعراء الغربيون انه فقال على مستويات عديدة من الغموض — خاصة الميتافيزيقي — وعلاقة الله والعالم بالفرد، وكذلك فإن المستوى السياسي لموقف اجتماعي في زمن معين، وتجربة الشاعر الشخصية هو في نفس الوقت المستوى العاطفي الذي يترجم النواحي الشخصية والسياسية والاجتماعية الى اصطلاحات عاطفية.

أولاً، فإن الغزل — أو صرخة الظبي — كان معيباً بالحلب نفسه، بمفاتيح ومحاسن المحبوب، وكذلك بمزاج الحبيب وبالجمال الفني، وعلى أية حال فبمرور الزمن فإن أفكار الانسان الفلسفية والاجتماعية والسياسية والحسية والروحية قد عبّر عنها هذا الشكل الادبي المعدّل، حيث اتحدت فيه المقابلة بين هذا المزيج الشفوي النادر والذي تميّز بالاختصار الشديد — والمتناقضات بالقياس وهذا تسبب في توتر مميّز والذي يعتبر روح شعر الغزل، ولهذا الأسباب فإن الغزل في اللغة الاوروبية يتطلب من القراء عناية فائقة غير مألوفة في التاريخ الهندي الفارسي وصوره، ولذلك فإن التوتر والاختصار في القصائد الاوروبية والكلمات المرتبة في الشعر المترجم تعطى خيالاً جليلاً أحياناً أو صرخة مؤثرة والتي تأتي عبر الترجمة ولكن لا يمكن اعتبارها ناجحة.

يعتبر الغزل — اساساً — صيغة شعرية قصيرة، بالرغم انه غالباً ليس مرتبطاً تماماً بالحلب والذي يحتل نفس المكانة التي تحتلها القصيدة المسماة «سونيتيه» في الشعر الغربي، وعلى عكس «السونيتيه» فإن الغزل ليس مرتبطاً بطول معين، لكنها دائماً ما تكون قصيرة حيث تتكون من مجموعة من مقاطع مؤلفة من بيتين من الشعر، ولها قافية وتمتاز بال تكرار، ولا تتبع هذه الأبيات احدها الاخر في تطور طولي حيث لا يؤدي الشطر الاول من البيت للشطر الثاني مباشرة، أو الثاني للثالث وهكذا. كما لا يمكننا القول ان كل بيت يشكل قصيدة صغيرة جداً مستقلة ومرتبطة بباقي القصيدة بصورة عامة، على ان ذلك يبقى العلامة القرينة أكثر من الافتراض انه يحاول التطور تدريجياً فهو لا يحاول ان يفعل ذلك تماماً. فاشعار الغزل تبدو عادة حديثة جداً عندما توضع في ابيات ثنائية بالانجليزية. والسبب ربما يكون في ان الشعر الانجليزي الحديث يشجع نفس صفة عدم الاستمرار هذه. والنتيجة ليست مثل مجموعة من «الجيكو» المطبوعة على نفس الصفحة وتحت نفس

الموضوع. فان علاقة كل مقطع بآخر علاقة تعتمد على المكان، وكل المقاطع تلتقي عند نفس المركز.

ولقد نجح «جون وين» و«اليزابيث جينينجز» في مخاطبة روح ونغم وأسلوب ومضمون النصوص الشعرية الاصلية بالعربية والفارسية والاردية وذلك باستخدام اللغة الانجليزية الحديثة، وبأذن شاعرية سبرت غور الاعماق الخفية للقصائد بتلك اللغات وهذا ما أعطى النموذج الانجليزي المعاصر القواعد الخفية وشخصيته الفريدة، ولقد تأتى ذلك للشاعرين أثناء محاولتهما معرفة الحس الفردي لدى الشعراء المسلمين.

لقد تطورت هذه الفروق الدقيقة من الوسائل المختلفة مثل الكتب والتراث الشعري الانجليزي، ومع انه يمكن القول بأن اللغة الانجليزية التي تدرس بالجامعة كثيبة، رغم انها صحيحة وفقا للقاموس وغير ملائمة شعريا، فضل بعض المترجمين ان يختاروها من اجل ما يمكن تسميته «الترجمة الانجليزية» والتي تمتاز بأنها هادئة، ومرتبة ومتراصة ومن الصعب ان تخطيء، لكن بينما ينتقل هذا الرأي الخاص بهيئة الاذاعة البريطانية للترجمة بدقة، إلا أنه يخلو من الحيوية وليست له شخصية مميزة. وليس له — في نفس الوقت — القدرة على معالجة فن التكافل الدقيق لدى الشاعر والذي بواسطته يحاول ان ينقل طبيعة أو بالأحرى النغم المحلي للشاعر العربي القديم في نبرة حديثة، وباختصار فإنه يعجز ان يكون صدى لخفقات القصيدة الاصلية. ولهذا السبب شدد استاذ الشعر «جون وين» مرارا على ضرورة استخدام العامية، ولغة التخاطب اليومي في ترجمة الشعر. كما اكد على ان دور المترجم متواضع جدا، وان عمله مجرد تقدير للشاعر الميت وان المحصلة النهائية لا يمكن أن تكون متقنة تماما. فلدى الشاعر معرفة بالفترة الزمنية وبالمدخل للنص، ولأولئك الباحثين الذين سبقوه. وبالنسبة للشعر الفارسي فلقد عبّد المتحمسون أمثال «جرتروود بيل» و«ادوارد فيتزجيرالد» الطريق لـ «روبرت جريفز»

أما بالنسبة للشعر العربي فلقد اضاف الباحثون امثال «شارلز ليال» و«وليام جونز» و«ولفريد بلنت» اضافات نفيسة. ولقد ادرك كل هؤلاء المترجمين البارزين ان اللغة مثل الطين أو الفولاذ تتطلب فنا حتى تخلق الموضوع المطلوب، وفي الحالة الخاصة بترجمة الشعر، ان يقلدوا بتواضع الموضوع المبتكر سلفاً.



(١) الموقف العاطفي (Tone) ان الكلمة الانجليزية قد شكلت بعض التحدي للمترجم حيث انه لا يوجد لها ترجمة دقيقة ولقد لجأنا الى ترجمتها بالمعنى العاطفي— وقد فضلناها على ترجمتها بـ «الوقع الصيغي».

ان كلمة Tone في الادب يمكن تعريفها بأنها موقف الشاعر أو الكاتب تجاه موضوعه، وجهوه، أو ذاته، انها تعني التلوين العاطفي أو المعنى العاطفي للعمل الفني أو القصيدة وهو جزء مهم جداً من المعنى الكلي— وفي لغة الكلام يمكن التعرف على Tone في نبرات صوت المتكلم فمثلا يمكن أن تكون لهجة الكلام في صيغة التعجب أو اليأس الخ.

Imitation (٢)

Arabic and Russian Poems (٣)

الترجمات العربية لرائعة شكسبير

« هاملت»

ARCHIVE

عبد الفتاح جاد

نبدأ مقالنا عن نقد ترجمة الاستاذ الكبير جبرا ابراهيم جبرا بمقدمة مختصرة لتاريخ ترجمات هاملت التي ظهرت بالعربية فقد ظهرت لأول مرة على يد طانيوس عبده (١٩٠٢) ولم يترجم طانيوس عبده هاملت عن اللغة الاصلية وهي الانجليزية ولكن عن ترجمة فرنسية غير دقيقة. وهناك كثيرون ممن ترجموا

هاملت قبل طانيوس عبده. فقد ترجمها قبله الكاتب والشاعر الشهير أمين الحداد الذي ترجمها عن الانجليزية ولكنها لم تنشر. ثم ترجمها جورج ميرزا الذي اضطر لانكارها بعد ان شوهت على المسرح التجازي. وهناك ترجمة لنجيب الحداد لم تنشر لعدم اقتناعه بالمبلغ الذي عرض عليه لقاء ترجمته.

هذه الترجمات كانت لا تتقيد بالنص فالترجم يحذف بعض المناظر تارة وتارة أخرى يختصر الفصول ويضيف بعض الاغاني ويغير من تسلسل الحوادث بل لجأ البعض الى تغيير خاتمة المسرحية مثلما فعل طانيوس عبده الذي ظن أنه من الأفضل أن يغير خاتمة المسرحية التي ارتضاها شكسبير لبنائه الدرامي والتي تنتهي بمصرع بطل المسرحية امير الدنمارك وولي عهدها هاملت وارتقاء فورتنبراس امير النرويج العرش بتأييد من هاملت نفسه بدلاً من هذه النهاية نجد أن طانيوس عبده — ارضاء لاذواق جمهور العامة في ذلك الوقت ينهي المسرحية بظهور الشيخ مطالباً هاملت بارتقاء عرش والده الذي سلبه عمه متمنياً له العيش السعيد على الأرض والبركة من السماء (١).

ولعلى اتفق مع الدكتور محمد يوسف نجم فيما ذهب اليه من انه من العبث اخضاع ترجمة طانيوس عبده للنقد الجاد كما نفعل مع الترجمات الجادة (٢)، لأن طانيوس عبده وغيره من مترجمي عصره كرسوا أنفسهم لإدخال (التحسينات) على روائع الأدب العالمي عند نقلها الى العربية (٣).

ولقد أدى الحب الفطري عند العرب للموسيقى والغناء وكذلك تأثر المسرح المصري الى درجة كبيرة بالاوربا الايطالية الى حشو هذه الترجمات الاولى بالمقطوعات الغنائية لارضاء الجماهير لذلك حرصت الفرق التمثيلية على ضم مشاهير المغنيين الى صفوفها مثل الشيخ سلامة حجازي الذي ما تزال تذكر أغانيه في أدوار هاملت وروميو. لقد كان الغناء يعتبر العمود الفقري لأي مسرحية حتى انه عندما أصر النقاد على المطالبة بالتخلي عن عنصر الغناء وامتنثل سلامة حجازي لمطلبهم وادى دوره في ترجمة طانيوس بدون غناء ثار

الجمهور واضروا على سماع هاملت يغني(٤).

والغريب أن ما حدث لمسرحيات شكسبير في مسرحنا العربي حدث مثله في مسارح فرنسا وروسيا وبولندا والهند عندما ترجمت مسرحياته الى هذه اللغات للمرة الاولى، والاغرب من هذا أن عرض مسرحيات شكسبير (محسنة) شي مألوف في انجلترا نفسها. (٥)

وعندما ازداد عدد القارئين باللغة الانجليزية واصبح شكسبير معروفا لدى العرب، وانحسر نفوذ البسطاء من رواد المسرح بدأت تظهر ترجمات تنحون نحو الدقة والأمانة. كان ذلك عند نهاية العشر سنوات الاولى من القرن العشرين. (٦)

بدأت هذه الترجمات، الجادة، بالقاضي محمد عفت الذي ترجم العاصفة (١٩٠٩) وماكبث (١٩١١) واستمرت في الظهور بعد ذلك، وتزايد احترام العرب لمسرحيات شكسبير عندما ازداد اهتمامهم بها كأعمال ادبية — كما ازداد اهتمامهم بأعمال شكسبير عندما عرضت على المسرح بعد تخلصها من الاستغلال التجاري. وعندما ظهر ممثل جاد مثل جورج ابيض طلب من خليل مطران (١٨٧٢ — ١٩٤٩) ان يمدّه بترجمات جيدة لشكسبير ولم يكن مطران دقيقا في ترجمته، وفي الحقيقة فإنه لم يترجم عن الاصل الانجليزي كما هو مفروض ولكنه اعتمد على الترجمة الفرنسية لجورج دوفال (٧). وقد اعطى مطران لنفسه الحق في ان يختصر ويدمج المناظر والفصول ويغير من تسلسل الحوادث بل انه تمادى الى درجة حذف بعض الشخصيات. وقد تصدى ميخائيل نعيمة لنقد ترجمة مطران لمسرحية تاجر البندقية ووجه له اللوم على اهماله وتسرع واعتماده على الترجمة الفرنسية ثم وجه النصح لمطران ان يراعي في ترجماته القادمة ان مسرحيات شكسبير كتبت اساساً لكي تمثل على خشبة المسرح مما يستلزم من المترجم ان يتحرى لغة قابلة للتمثيل وان يراعي البعد عن الالفاظ المهجورة (٨). ومن المحتمل أن يكون مطران آخر المترجمين

الذين يترجمون عن ترجمات فرنسية لشكسبير، فقد ترجم بعد ذلك محمد السباعي **كور يولاش** عن الانجليزية في ١٩١٢، ثم ترجم **هاملت** — بعد خليل مطران — سامي الجريديني عن الانجليزية ولم يحذف أو يدمج شيئاً سوى الأغاني فقد اعتاد أن يكتب (أوفيليا تغني) ثم لا يذكر الأغنية، ولا شك أن هذا الحذف يسيء الى العمل الذي يجب أن ينظر اليه كوحدة عضوية.

وبظهور ترجمات جبرا ابراهيم جبرا (١٩٦٠)، والدكتور عبد القادر القط (١٩٧١)، والدكتور محمد عوض محمد (١٩٧٢) لمسرحية **هاملت** ندخل في مرحلة جديدة تتسم بالأمانة في النقل والدقة في الترجمة.

وقد ظهرت في سنة ١٩٦٣ ترجمة للدكتور الطاهر الخميري (تونس) وهي ترجمة جزئية أي انها تسقط الكثير من النص الأصلي مما يقلل كثيراً من قيمتها.

وقد ترجمت **هاملت**، دائماً نثراً وكان الهدف من ترجمة طانيوس عبده ومطران هو تقديمها للفرق التمثيلية في ذلك الوقت. ويعتبر النثر — كوسيلة للتعبير الدرامي — أكثر ملاءمة من الشعر فالترجمة شعراً — وهو وسيلة التعبير في **هاملت** شكسبير — تتطلب التغلب على صعوبة كبرى وهي محاولة الالتزام بقافية معينة خلال العمل كله (٩).

ولا شك أن الترجمة من الانجليزية الى العربية تعترضها مشاكل عدة لا سيما اذا كان العمل المتصدى لترجمته مسرحية مثل **هاملت** لكاتب عملاق مثل شكسبير ولعله من المناسب هنا أن نتعرض، بالمائة سريعة، لبعض المشاكل التي يواجهها مترجم **هاملت**. فالسؤال الأول الذي يواجهه المترجم هو: ما هي وسيلة التعبير التي على المترجم أن يستخدمها لتحقيق غرضه (نثر أم شعر وأي أنواع الشعر)؟ وهل يلتزم المترجم باستخدام نفس وسيلة الكاتب؟ وهل يمكن للمترجم أن يستخدم نفس وسيلة الكاتب في إطار لغته

هو؟ وإذا تعذر ذلك فما هي الوسيلة التي ينبغي استخدامها؟ فسرحية هاملت مثلاً كتبت بالشعر المرسل (Blank verse) ومن الصعب استخدام نفس الوسيلة في اللغة العربية لاختلاف عدد المقاطع (Syllables) في اللغة المنقول إليها عنها في اللغة المنقول منها لذا يرى الكثيرون أن استخدام النثر هنا هو الوسيلة الأكثر ملاءمة لتجنب صعاب المحافظة على الموسيقى والقافية وغيرها (١٠).

والسؤال الثاني الذي يواجه المترجم هو هل يلتزم بترجمة النص التزاماً كاملاً فلا يحذف منه شيئاً؟ والرأي عندي أن ترجمة النص كاملاً هي مسألة أمانة أولاً وأخيراً وخاصة إذا كانت الترجمة معدة للنشر والاطلاع فلا يحق للمترجم هنا أن يحذف أو (يحسن) فأى حذف أو تعديل هو بمثابة تشويه للعمل الفني الذي يعتبر وحدة عضوية. ثم إن العمل الفني محسوب بميزاته وعيوبه على الكاتب نفسه وليس على المترجم.

ومن المشاكل التي تقابل المترجم مشكلة ترجمة الكلمات المحددة (Concrete or individual words) واعتقد أنه من الأصوب أن تترجم هذه الكلمات إلى المرادف المحدد لها طالما يحافظ هذا المرادف على المعنى. فعندما يصرخ الملك ملوديوس محاولاً التوبة متسائلاً:

Is there not rain enough in the Sweet heaven to wash it white as snow?
(3.3.45,46)

نجد أن الدكتور القط يترجمها إلى:

ليس في السماء الحبيبة ما يكفي من المطر لكي يغسلها حتى تعود بيضاء من غير سوء.

فهو لم يترجم كلمة « Snow » بل استخدم كلمات أخرى غير محددة (من غير سوء) لترجمتها وفي رأيي — الذي يحتمل الصواب والخطأ — أنه من الأفضل لو أن المترجم استخدم المرادف المحدد (تعود بيضاء كالثلج)

للمحافظة على جمال التشبيه والذي يتفق مع طبيعة البيئة.

ومع تفضيل ترجمة الكلمات المحددة بمرادف محدد إلا أن هناك حالات يفضل فيها ترجمة الكلمة المحددة بمرادف آخر ولننظر في هذا المثال فعندما يؤتب هاملت أمه قائلاً:

Let the bloated King tempt you again to bed,
Pinch Wanton on your cheek, call you his mouse (3.4.182, 183)

هنا نجد أن الدكتور القط قد ترجم « his mouse » الى « فأرته » (١١). وكذلك فعل الدكتور محمد عوض في ترجمته ١٢. وهذه الترجمة غير دقيقة، في رأيي، فرغم أن شكسبير يستخدم كلمة « mouse » والمترجمان قد اعطيا المرادف المحددة للكلمة إلا أن هذا المرادف المحدد في لغتنا العربية لا يعبر بدقة عن المعنى الذي أراده شكسبير. فالكلمة في اللغة الانجليزية تعطي انطباعاً بالجمال والعذوبة بينما تعطي (فأره) في العربية انطباعاً يثير الاشمئزاز. لذا اعتقد ان ترجمة الكلمة الانجليزية المحددة هنا بمرادف عربي محدد يدل على العذوبة والرقّة، في المفهوم العربي طبعاً، أكثر ملاءمة وهذا ما فعله الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا الذي ترجمها الى «عصفورته» (١٣) وكذلك الدكتور الخميري الذي ترجمها الى «غوالته» (١٤).

هنا نقطة أخرى يتحتم على المترجم أن يوليها عناية الا وهي المحافظة على جو أو بيئة النص الأصلي بمعنى أنه لو كانت أحداث المسرحية مثلاً تقع في انجلترا وأشخاصها من الانجليز فإنه يتوجب عليه أن يحافظ على الجو الانجليزي فثلاً عندما يخاطب هاملت صديقه هوراشيو قائلاً:

O good Horatio I'll take the ghost's word for a thousand pound....
(3.2.286)

نجد أن الدكتور القط يترجم « Pound » الى «دينار» ص ١٦٨. ومن المعروف أن الدينار عملة اسلامية واستخدام هذه العملة هنا يفسد جو

عند ترجمة عمل أدبي كبير مثل **هاملت** ترجمة جادة مثل ترجمات جبرا - القط - عوض ، فإن شرح الاسماء التي ترجع الى الكتب المقدسة والاساطير وكذلك الاصطلاحات والتقاليد الغربية على القارئ العربي في هامش اسفل الصفحة يكون أمراً ضرورياً لاختلاف التقاليد وكذلك التراث الديني والحضاري . فالقارئ وكذلك المشاهد العربي يدهش لسماعه الشيخ يدعو زواج الارملة جرتروود أم **هاملت** بشقيق زوجها «زنا بالمحرمات» حيث يعتبر مثل هذا الزواج عند العرب شرعياً ولا عيب فيه . ولا شك أن شرح هذه النقطة في هامش اسفل الصفحة وبيان ان هذا الزواج يعتبر في نظر الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية «زنا بالمحرمات» أمر ضروري .

ان من يتعرض لترجمة نص درامي (تمثيلي) يجب عليه أن يراعي تجنب المهجور من الألفاظ فإن استخدام الكلمات المهجورة سوف يربك المتفرج ويحرمه متعة الاستمتاع بمعنى كل كلمة تقال وعلينا أن نعي أن المتفرج لا يذهب الى المسرح مصطحباً معه قاموساً يستعين به على فهم معاني كلمات مثل «الزول» و«جلواذ» (انظر ترجمة مطران) .

ولعل آخر نقطة اريد أن اتعرض لها وتقابل من يتعرض لترجمة عمل قديم ذي منزلة سامية مثل **هاملت** هي اختلاف الطبعات المتعددة في تهجئة بعض الألفاظ (Cruces) ومثالاً على ذلك مناجاة **هاملت** لنفسه والتي تبدأ بـ :

O, that this too sullied flesh would melt, Thaw.... (Cambridge Edition, 1.2.129)

فكلمة « Sullied » هنا والتي وردت بطبعة كامبريدج تعتبر «عقدة» « Crux » لأن الطبعات الأخرى للمسرحية توردها « Solid » أو « Sallied » في هذه الحالة اعتمد أن على المترجم أن يقرر رأيه على

أساس حكم الجمال الفني والمنطقي.

هناك أيضاً مشكلة ما يسمى بالترجمة السورية أو الشامية « Syrian Translation » وهي ترجمة بعض الكلمات الانجليزية بترادفات تكون شائعة في جزء من الأمة العربية وغير معروفة في أجزاء أخرى مثل ترجمة « Wheel » الى « دولاب » وليس « عجلة » كما هو شائع في مصر والسودان مثلاً وكذلك ترجمة « May » الى « آيار » وحبذا لو اتفق المترجمون الى العربية على صيغة موحدة.

«مأساة هاملت أمير الدانمرك» ترجمة جبرا ابراهيم جبرا

سوف احاول في هذه الصفحات القليلة أن اتناول تلك الترجمة التي سبق أن قلت أنها من الترجمات الجادة الأمينة التي حظيت بها المكتبة العربية وذلك لما تتمتع به سمعة طيبة ربما كانت، في بعضها، تعود الى ما يتمتع به مترجمها من سمعة أدبية عالية وكونه استاذاً كبيراً في هذا المجال وارجو المعذرة في أنني سأركز لضيق المكان على بعض النقاط التي وجدتها مثيرة للنقد والتي قد يتفق أو لا يتفق معي فيها الأخوة والأساتذة في هذا المجال كما اقرر مسبقاً تقصيري في إيفاء نقاط القوة والعدوبة في الترجمة حقها فليس يقتصر عمل الناقد على تصيد الأخطاء بل أنه من صميم عمله أيضاً بيان المحاسن لذا وجدت من الضروري كتابة هذه الكلمات.

تعتبر ترجم جبرا ترجمة كاملة، «أي أن النص الكامل قد اخضع لعملية الترجمة بمعنى أن كل أجزاء النص الأصلي قد حل محلها النص المنقول اليه» ١٥. وقد حافظ المترجم على التقسيم التقليدي (الأصلي) للفصول والمشاهد فلم يقدم أو يؤخر ولم يحذف وهذه أمانة جديرة بالمترجم الجاد.

بالنسبة لأسلوب الترجمة فإننا نجد أنه يعتريه الضعف في بعض المواضع وكذلك عدم التماسك كما تحتوي الترجمة على كلمات غريبة تشكل صعوبة بالنسبة للقارئ والمُشاهد.

ولا نستطيع أن ننكر الجهود الممتاز الذي بذله المترجم مما جعل ترجمته تعتبر واحدة من أحسن الترجمات التي ظهرت لهذه المسرحية، إلا أن هذا لم يمنع من وقوع المترجم في بعض الأخطاء لسبب أو آخر فنراه مثلاً يترجم :

- The great man down, you mark his favourite flies, (3.2.L.203)

الى :

إن هوى الرجل العظيم حسبنا عليه
ما دنا منه حتى من ذباب

(ترجمة جبرا صفحة ٩٣)

والترجمة الصحيحة هي :

فأنت ترين أن الرجل العظيم اذا هوى فر منه الصديق

ولعل ذلك يرجع الى أن المترجم فكر في كلمة favourite كصفة وليس كاسم .

والان لننظر في الترجمة فصلاً بعد فصل .

ففي الفصل الأول المنظر الأول السطر ٤١ عندما يظهر الشبح يصيح
برناردو متعجباً

Bernardo: In the Same figure like the king that's dead.

و يترجمها جبرا (صفحة ٢٤) الى :

برناردو: في ذلك الشكل بعينه، كالملك الذي توفي.

والترجمة هنا وان كانت صحيحة إلا أنه تنقصها الروح وتبدو كما لو كانت مترجمة كلمة بكلمة ولربما من الأفضل ترجمة دهشة برناردو عندما تبتدى له الشبح الى

في نفس هيئة ملكنا الراحل

وعندما يتحدث هوراشيو عن فورتينبراس أمير النرويج وأنه :

Hath in the skirts of Norway here and there
Sharked up a list of lawless resolute
for food and diet to some enterprise

نجد أن جبرا يترجم «for food and diet» «الى «من اجل القوت والغذاء» (صفحة ٢٦). وبذلك اعطانا المترجم كلمتين تؤديان نفس المعنى والخطأ هنا أنه يتبين ان كلمة «diet» هنا تعني بلغة شكسبير «a day's pay» وكان يجب على المترجم أن ينتبه الى أن معنى «diet» الذي نستخدمه حالياً يسيء إلى المعنى فيلجأ الى قاموس متخصص بمعاني الفاظ شكسبير. والترجمة الصحيحة هي «لقاء قوتهم وما يدفعه لهم» (المرجع الأساسي للبحث) والمؤسف أن ترجمة الدكتور القط التي جاءت بعد ذلك وقعت في نفس الخطأ فترجمها بنفس الفاظ جبرا (القط صفحة ٥٣).

والمنظر الثاني من الفصل الأول يعطينا بعض الأمثلة على ضعف الأسلوب فعندما يخاطب الملك مجلس الحكم قائلاً:

Therefore our sometimes sister, now our queen,
Th'imperial Jointress to this warlike state, (1.11.8-9).

يترجمها جبرا (صفحة ٢٩) الى:

واذن فهذه التي كانت زوجة لأخيها

والتي هي الان ملكتنا وشريكتنا الآمرة في هذه الدولة الحربية،
واستخدام كلمة «واذن» هنا تعطي الدليل على ضعف الأسلوب وكذلك ترجمته لـ «Warlike State» الى «الدولة الحربية» ليست بالترجمة الموفقة تماماً حيث كان من الأفضل ترجمتها الى «الدولة الشجاعة» أو «الدولة الباسلة».

وفي المنظر الثاني من الفصل الأول السطر ١٣٥ يصب هاملت جام
غضبه على « This world » قائلاً:

Fie on't, ah Fie, 'tis an Unsweeded Garden.

ويترجمها جبرا (صفحة ٣٣) الى:

ألا تبا لها. تبا تبا لها. انها لحديقة لم تعشب.

نجد أن المترجم هنا قد ترجم « unsweeded garden » الى
«حديقة لم تعشب» وهذا عكس ما قصده شكسبير تماما، فالترجمة الصحيحة
هي «أنها لحديقة ملؤها العشب».

كما ترجم « baked meats » (نفس المنظر السطر ٨) الى
«خبز» — بينما معناها عند شكسبير « Pies and other Pastry » وترجمتها
الصحيحة «فطائر».

وننتقل الى المنظر الرابع من الفصل الأول لنجد هوراشيو يقول هاملت
وهما في مواجهة الشبح:

It beckons you to go away with it,
As if it some important did desire
To you alone (L.57)

فنجد ان جبرا يترجمها (صفحة ٤٥) الى:

هوراشيو: إنه يومئ اليك بمرافقته

كأن لديه ما يسره اليك فقط

فترجمة « alone » الى «فقط» قد تجعل المعنى غامضاً. والترجمة
الصحيحة هي:

هوراشيو: (إنه يومئ اليك أن تتبعه) كما لو كان يريد الافضاء إليك
وحدك بسر ما.

وفي المنظر الخامس من الفصل الأول يجبر الشبح هاملت بالأهوال التي

يلاقها في العالم الآخر وكيف ان سماع خبرها كفيل بتجميد الدم في عروقه
و:

and each particular hair to stand on end,
like quills upon the fretful porpentine. (L.19,20.)

و يترجم جبرا هذين السطرين (صفحة ٤٧) الى :

وكل شعرة في رأسك تنتصب :

كالريش المزبئر في جلد قنفذ ساخط

وترجمة كلمة « quills » الى « ريش » هنا تفسد التشبيه فهي
تعطى انطباعا بنعومة اللمس بينما قصد شكسبير معنى مضادا ولربما كان من
الأفضل أن يترجم السطر الثاني مثلاً الى :

كالشوك على جلد قنفذ ساخط

وفي نفس المنظر يخبر الشبح هاملت عن حقيقة مصرعه قائلاً :

'Tis given out, that sleeping in my orchard, (L.35.)

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

و يترجمها جبرا (صفحة ٤٨) الى :

لقد شيعوا انني كنت نائماً في حديقتي

واستخدام المترجم لـ «شيعوا» هنا وان كان صحيحاً إلا أنه عادة لا
يستخدم في هذا المقام وجبذا لو أنه كان قد استخدم «اشاعوا» .

ويمضي الشبح في رواية كيفية مصرعه وكيف أن شقيقه كلوديوس الذي
استولى على العرش من بعده قد صب في اذنيه « The Leprous
distimlment » التي يترجمها جبرا الى «قطارة الجرب» بينما صحتها
«قطارة الجذام» .

في المنظر الأول من الفصل الثاني تدخل اوفيليا على والدها في حالة

اضطراب وتقول له أنه قد حدث ما أفزعها ويسألها والدها :

Polonius: With what, i'th' name of God?

ويترجم جبرا السؤال :

ما الذي أفزعك يا هذه ؟ (صفحة ٥٦).

وليس من المعقول أن يسأل بولونيوس ابنته المضطربة الفزعة عن سبب فزعها بهذه الطريقة وقد كان من الممكن ترجمتها الى : « بالله عليك ما الذي أفزعك ؟ ».

وفي نفس المنظر يخبر فولتماند الملك بأن ملك النرويج الشيخ قد قرر بعد أن استمع ابن اخيه لنصحه :

Where on old Narway, overcome with Joy,

Gives him Threescor thousand Crowns in annual fee,

(L.72,73)

ويترجم جبرا السطر الأخير (صفحة ٦١) الى :

واوقف عليه ثلاثة آلاف دينار كراتب سنوي.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ونجد هنا أن ترجمة « Threescor thousand » الى (ثلاثة

آلاف) خاطئة لأن صحتها «ستون الف» وهذا الخطأ نفسه وقع فيه مطران من قبل والدكتور القط من بعد. كما أن ترجمته لـ « Crown » الى دينار ليست سليمة للأسباب التي ذكرناها في مقدمة المقال — وقد كان يمكن ترجمة هذين السطرين الى :

وعند هذا أجرى عليه الملك الشيخ ، وقد غمره السرور

ستين الف « كروان » كراتب سنوي

ويستمر فولتماند في حديثه قائلاً بعد سطور قليلة :

That it might please you to give quite pass

through your dominions for this enterprise, (L.77,78)

و يترجمها جبرا الى :

بأن تفضلوا وتسمحوا له بالمرور الأمين

في مقاطعتكم تنفيذاً لمهمته (صفحة ٦١)

وترجمة « your dominions » الى «مقاطعتكم» ليست دقيقة

وقد كان يمكنه استخدام «اراضيك» مثلاً ..

وعندما يختلي هاملت بنفسه يناجي نفسه قائلاً :

O' what a rogue and peasant slave am I!

(2.2.L.553)

و يترجمها جبرا (صفحة ٧٦) الى :

أي نذل أنا ، أي عبد قروي !

وهنا نجد أنه ترجم « Peasant » ترجمة حرفية الى قروي بينما هي

تعني « base » ١٦ وكان من المستحسن ترجمتها بـ «وضيع» .

وفي المنظر الثاني من الفصل الثالث عندما يسمع هاملت صوت الأبواق

والطبول تعلن قدوم الملك وحاشيته لمشاهدة المسرحية التي اعدّها هاملت

بالاتفاق مع فرقة الممثلين يقول لصديقه هوراشيو :

They are coming to the play. I must be idle.

Get you a place

(L.88-89)

و يترجمها جبرا (صفحة ٨٩) الى :

هاملت : انهم قادمون للمسرحية . فعلى بالتسكع

هاملت : اذهب ... وجد لك مكانا .

وقد فاتته في ترجمته « I must be idle » الى (فعلى

بالتسكع) « idle » هنا تعني ١٧ out of one's mind,

Crazy « وكان يمكن ترجمتها الى :

هاملت : انهم قادمون لمشاهدة المسرحية . على ان اظاھر بالجنون .
هاملت : اتخذ لك مكاناً .

يترجم جبرا (3.4.190) « Paddock » الى (سلحفاة) (صفحة ١١٠) بينما صحتها «ضفدعة» .

وفي الفصل الرابع ، المنظر الخامس يقول الملك :

Her brother is in secret come from France,
Feeds on his wonder, keeps himself in clouds,
And wants not buzzers to infect his ear
With pestilent speeches of his father's death, (L.87)

ويترجم جبرا هذه السطور الى :

لقد جاء اخوها سرا من فرنسا .

وهو يغذو نفسه بالتساؤل ، وينزوي بين السحب ،

ولا يريد صقورا تغذوا اذنيه ،

بموبؤ الكلام عن موت ابيه (صفحة ١٢٥) .

لم يوفق المترجم في ترجمة « Wants » الى (يريد) فهي تعني هنا

« Lacks » كذلك اخطأ في ترجمة « buzzers » الى (صقور)

بينما هي تعني « Scandal mongers » وليس « buzzards »

كما اعتقد المترجم وكان يمكن ترجمة هذه السطور — مثلاً : الى :

يأتي اخوها سرا من فرنسا ،

يقتات احزانه ، محلقا في السحاب ،

ولا يعدم مروجى الاشاعات الذين يسممون سمعه

بموبؤ الكلام عن موت ابيه

عندما يدخل البحار الاول في المنظر السادس من الفصل الرابع يحى

هوراشيو قائلاً :

first Sailor: God bless you, Sir

Horatio: Let Him bless thee too. ويرد هوراشيو

ويترجمها جبرا (صفحة ١٣١) الى :

البحار الاول : السلام عليكم

هوراشيو: وعليكم السلام

ولا شك ان استخدام المترجم لهذه التحية العربية الاسلامية يفسد وحدة التعبير ويعطي انطباعا بأننا امام اثنين من العرب المسلمين يتبادلان التحية وكان من الممكن ترجمتها الى :

البحار الأول : رعاك الله يا سيدي

هوراشيو: ورعاك أنت أيضاً.

في المنظر الثاني من الفصل الخامس نرى الملكة وقد استبد بها القلق على هاملت اثناء مبارزته لليرتس تقول للملك :

Queen: H's fat, and scant of breath.

ويترجم جبرا هذا السطر (صفحة ١٦١) الى :

الملكة : إنه بدين قصير النفس

وقد جانب الصواب المترجم في ترجمته لـ « fat الى (بدين)

بينما هي تعني « "Sweaty" or out of "Condition" .

وترجمتها الصحيحة «يتفصد عرقاً» ١٨.

في المنظر الثاني من الفصل الخامس يتحدث فورتنبراس عن حقوقه في مملكة الدنمارك ويرد هوراشيو قائلاً :

Horatio: Of that I shall have also cause to speak,

And from his mouth whose voice will draw on more.

(L. 389,390)

ويترجم جبرا هذين السطرين (صفحة ١٦٥) الى :

هوراشيو: ولدى ما سوف يدعوني الى الكلام في ذلك
عن شفثيه اللتين لن يجز الصوت فيها نفسا

والخطأ هنا نشأ عن اللبس الذي وقع فيه المترجم فقد التبس عليه الامر
في قراءة » Whose voice will draw on more « وظنها
» Whose voice will draw no more « وعلى

ذلك تكون الترجمة الصحيحة هي:

هوراشيو: وعن هذا الامر ايضا لدى سبب للكلام،
صادر من فة، ذلك الذي سيتبع صوته العديد من الأصوات.

فبعد موت كلوديوس، اصبح هاملت الملك، بحكم الأمر الواقع، وطبقا
للنظرية الدستورية للعصر يصبح «صوت» الملك (هاملت) ضروريا لتأييد
حق من سيخلفه على العرش في حالة عدم وجود وريث من دمه.

في النهاية أحب أن أقول أن ما ذكرته من ملاحظات نقدية - غير
كاملة - كما بينت سابقاً يرجع أساساً إلى إيماني العميق بأن أي عمل جدي
في مجال الترجمة لا يجب أن يمضي دون إعطائه الأهمية التي يستحقها وحتى
تترسخ في وطننا العربي قواعد متفق عليها للترجمة يسير على هديها من
يتصدون لترجمة أمهات الكتب الأجنبية التي ما زال وطننا العربي متعطشاً
إليها في جميع فنون المعرفة التي سبقنا العالم المتقدم في مجالاتها بمسافة بعيدة
لن نستطيع التغلب عليها. إلا عن طريق الخطوة الأولى وهي الترجمة.



Badawi, M.M., Shakespeare And the Arabs, Cairo studies, 1963-1966, p. ١ -
186.

٢ - محمد يوسف نجم المسرحية في الأدب العربي الحديث ١٨٤٧ - ١٩١٤ ص ٢٦٠ -
دار بيروت للطبع والنشر - بيروت (١٩٥٦).

٣ - Landau, J.M. Studies in the Arab Theatre and Cinema, university of Pennsylvania press, 1958 p. 112.

٤ - مجلة الكواكب العدد (٦٥) ٢٨ أكتوبر ١٩٥٢ القاهرة (انظر محمد يوسف نجم ص ٢٦٠، وايضا محمد مصطفى بدوي ص ١٨٦-١٨٧).

٥ - بدوي، م. م. نفس المرجع السابق ص ١٨٧-١٨٨.

٦ - Abdul-Hai, M., Tradition and English and American influence in Arabic Romantic Poetry: A study in Comparative Literature, Oxford, 1973, (unpublished D. phil Thesis), P.28.

٧ - بدوي، م. م. سبق ذكره ص ١٨٨-١٨٩. انظر ايضا هاملت لمحمد عوض دار المعارف - القاهرة ١٩٧٢ ص ٢٤.

٨ - ميخائيل نعيمة الف (١) دار المعارف القاهرة ١٩٥١ ص ١٦٨-١٧١.

٩ - محمد مصطفى بدوي - المرجع السابق - صفحة ١٨٨-١٨٩.

١٠ - Smith, A.H., Aspects of Translation, University College, London, 1958, p. VII

انظر ايضا عباس محمود العقاد، ساعات بين الكتب القاهرة ١٩٥٠ صفحة ١٢٠.

١١ - عبد القادر القط، هاملت، من المسرح العالمي. وزارة الاعلام الكويت سبتمبر ١٩٧١ صفحة ١٩١.

١٢ - محمد عوض محمد، هاملت دار المعارف بصر ١٩٧٢ صفحة ١٤٥.

١٣ - جبرا ابراهيم جبرا مأساة هاملت امير الدائرك روايات الهلال العدد ٢٥٤ - فبراير ١٩٧٠ صفحة ١١٠.

١٤ - الطاهر الخميري هاملت الدار التونسية للنشر اكتوبر ١٩٦٨ صفحة ٨٧.

١٥ - Catford, J.C., A linguistic theory of translation. Oxford University Press, London, 1965, p. 21.

١٦ - Cambridge Edition Glossary, P. 280

١٧ - Ibid, p. 274.

١٨ - وهو نفس الخطأ الذي وقع فيه مطران من قبل حيث ترجمها الى «بادن».

